مع امرئ القيس

بين

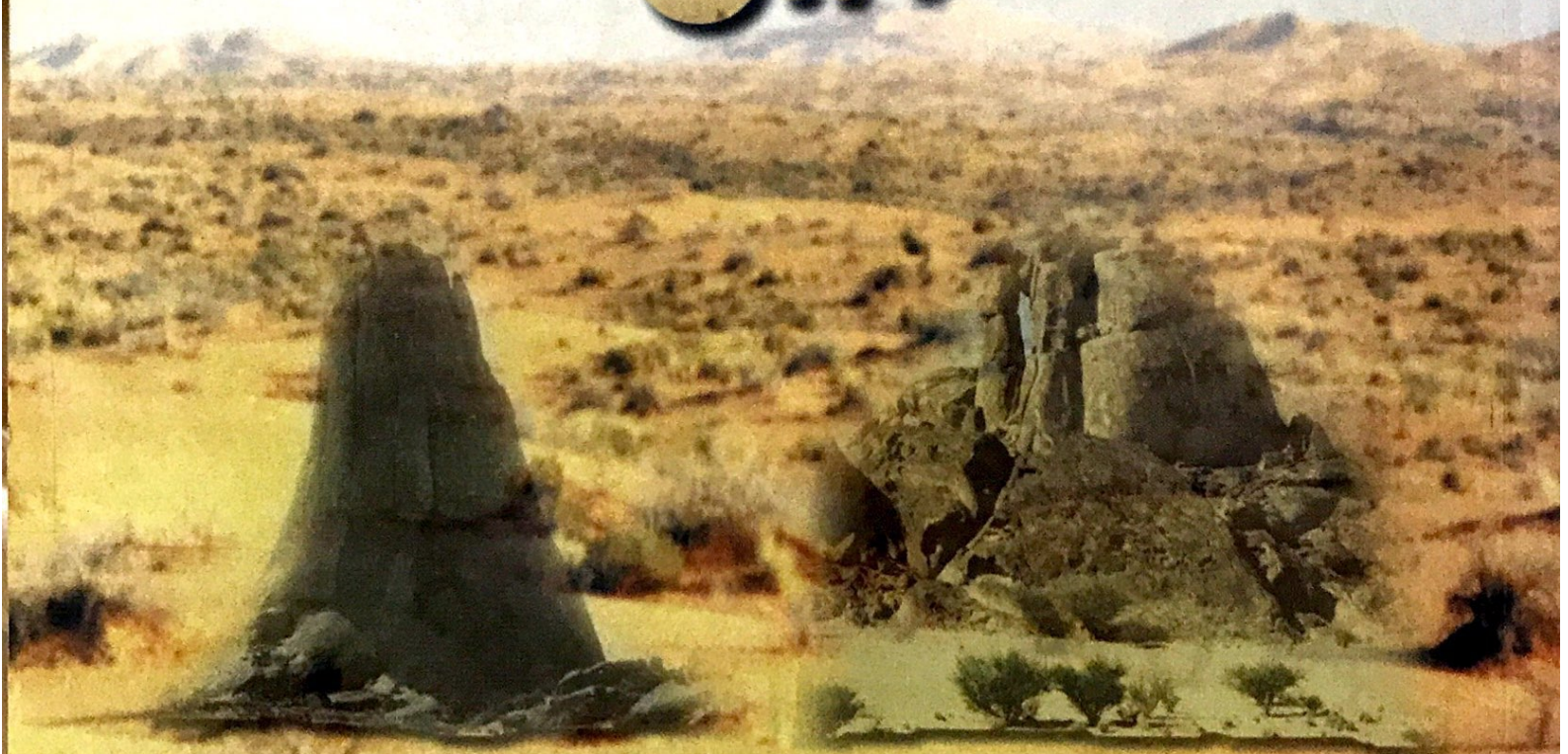

الدخول و حومل

عبدالله بن محمد الشايع

مع امرىء القيس
بين الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ

عبد الله بن محمد الشايع

ⓒ عبدا لله بن محمد الشايع ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشايع ، عبدا لله بن محمد

مع امرئ القيس بين الدخول وحومل .ـ الرياض.

...ص ؛ .. سم

ردمك ٠-١٤١-٣٤-٩٩٦٠

١ - الشعر العربي ـ نقد ـ العصر الجاهلي ٢ - امرؤ القيس ، جندح بن حجر ، ت ٨٠ ق.هـ أ - العنوان

ديوي ٨١١،١٠٠٩ ١٨/٠٦٦٧

رقم الإيداع : ١٨/٠٦٦٧
ردمك : ٠-١٤١-٣٤-٩٩٦٠

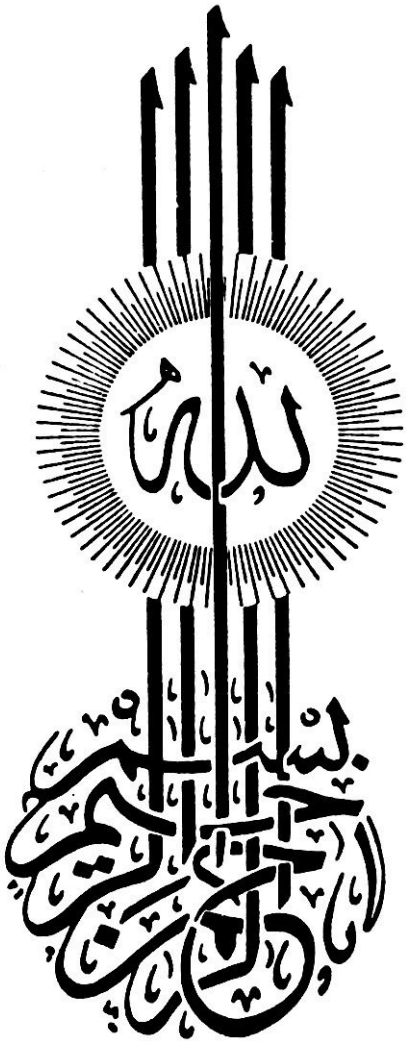
بسم الله الرحمن الرحيم

* مدخل البحث:

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وآله وصحابته الأوفياء، وأثني على علمائنا الأجلاء الأموات منهم والأحياء.

وبعد:

إن جزيرتنا العربية تحمل فوق أرضها مواضع تاريخية وجغرافية يتوق كل من ينشد المعرفة إلى التعرف على أماكنها بكل دقة.

وقد بذل علماء المنازل والديار قديماً وحديثاً جهوداً ومحاولات لتحديد تلك المواضع، فحددوا لنا الكثير منها؛ غير أن الباحث المدقق يلحظ أن بعض تلك المواضع لم تحدد أماكنها بَعْدُ، وأن البعض مما تم تحقيقه يحتاج إلى إعادة النظر فيه.

ولعل من أشهر الأماكن التي وردت في الشعر العربي تلك الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس الكندي في معلقته المشهورة مثل: الدخول، وحومل، وسقط اللوى، وتوضح، والمقراة، ودارة جلجل، وضارج، والعذيب، والستار، ويذبل، وغيرها من الأماكن.

وامرؤ القيس بن حُجْر الكندي من الشعراء المكثرين لذكر الأماكن والديار؛ حيث استوقف الصاحب والرفيق عند مروره بأماكن أنسه ولهوه، ومن ذلك قوله:

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخُول فَحَوْمَل

فَتُوضِحَ فَالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا من جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

بهذين البيتين استهل الشاعر قصيدته التي ما كاد يفرغ من نظمها حتى تناقلها العرب وتغنوا بها في أسفارهم ومجالس أسمارهم.

كما استأثرت هذه المعلقة مع غيرها من المعلقات بالدراسة والتحليل من قبل علماء اللغة والأدب العربي، وكذا علماء البلدان على مَرّ العصور.

ولعل أكثر الأماكن الواردة في معلقة امرىء القيس من حيث الشهرة موضعان: الدَّخول وحومل؛ ولهذا تعددت المواضع التي تحمل هذا المسمى في أكثر من جهة؛ مما أوقع بعض الباحثين والمؤلفين في حيرة عند التطرق للكلام عنها.

فكل أهل ناحية يزعمون أن امرأ القيس كان يقصد دخُولهم وحَوْمَلَهُم؛ الأمر الذي أسهم في عدم الدقة في تحديدهما بشكل واضح.

والمستقرىء لأقوال شراح هذه المعلقة يلحظ أنهم يكتفون بالقول:

الدخول وحومل: موضعان. دون تحديد لمكانهما.

ولعل هذا الأمر هو ما حدا بعلماء البلدان في عصرنا الحاضر إلى أن يجتهدوا في تحديد هذين الموضعين وكذا المواضع الأخرى التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته لكونها أشكلت حتى على قدماء المؤرخين وعلماء البلدان.

وقد استقر في الأذهان أن مكانهما الصحيح هو في عالية نجد الجنوبية فأخذ هذا التحديد شبه الإجماع؛ نظراً لوجود علمين في هذه الناحية يقال لأحدهما «الدخول» وللآخر «حومل» وأطلق على مابينهما «سقط اللوى».

ولا أخفي بأنني كنت ممن تأثر بهذا القول.

ومنذ ستة أعوام كان يحلو لي عندما يحل فصل الربيع أن أقضي هناك بضعة أيام مع بعض الإخوان الذين عشقوا تلك الناحية نظراً لجمال مناظرها وعذريتها بسبب بعدها عن الأماكن المعمورة.

وكنا في كل رحلة نتخذ من غار موجود في إحدى الهضاب الواقعة بين الدخول وحومل مقراً لإقامتنا.

وكانت آخر رحلة قمنا بها بتاريخ ١٤١٦/١١/١هـ وبحكم ولعي في تحديد المواضع التاريخية والجغرافية وترسم مسارات طرق الحج والتجارة؛ فقد حرصت أن أتعرف على مسار الطريق الأيسر لحاج «الأفلاج» الذي ذكرت النصوص أن ماء «الدخول» أحد موارده.

وعندما ذكر الهمداني مسار هذا الطريق وتكلم عن المواضع القريبة من الدخول قال: «ويظهر لك رأس سُحَام»

ونظراً لتواجدي في المكان قمت بجولتين شرقي هضب وماء الدخول بغية التعرف على مسار الطريق الذي قيل إنه يرد هذا الماء، وكذا التعرف على «سُحَام» الذي يبدو منه رأسه ويشاهده من يمر بهذا الجزء من الطريق فتمكنت من التعرف على مسار الطريق وتحقق لي وروده لماء الدخول.

وكنت أثناء تجوالي أتطلع إلى رأس «سُحَام» وكلما اتجهت من ماء «الدخول» متجهاً إلى جبل «الصَّاقِب» لا يظهر لي سوى رأس مايسمى في وقتنا الحاضر بـ «حَوْمَل» حيث يطل برأسه الأسحم الأسود أينما اتجهت. فلا رأس جبل يبدو غيره؛ فجميع الأعلام الموجودة هناك معروفة بأسمائها ولها عدة رؤوس لا رأس واحد.

ولعلي لا أكون متحاملاً على حومل هذا عندما أنتزع منه هذه الشهرة التي تقمصها في غفلة من الزمن لأعيده إلى لونه الأسحم المسمى به قديماً.

ولقد حاولت الدفاع عن هذا الجبل المستدق في السماء، ولكن رأسه يفضحه حيث يطل به بين فينة وأخرى فلا تكاد تسلك فجاً حتى يبدو لك رأسه الأسحم.

كان لي جلسة على ظهر ما يقال إنه «سقط اللوى» ومن هذا المكان كنت أشاهد هضب الدخول، وجبل «الصَّاقِب» ورأس «حومل» ومن التساؤلات التي أملاها هذا المشهد:

١- لماذا لم يورد الهمداني في وصفه لطريق حاج الأفلاج ذكراً لـ «حَوْمل» بينما ذكر «الدَّخُول» و«الصَّاقِب» والأعلام الأخرى مثل «صفا الأطيط» الذي قال إنه قريب من ماء الدخول مستشهداً ببيتي امرىء القيس:

لمن الديار عرفتها بسحام ... فعمايتين فهضب ذي إقدام

فصفا الأطيط فصاحتين فعاسم ... تمشي النعاج بها مع الآرام

ولم يستشهد بالبيتين اللذين استهل بهما معلقته.

أليس هذا دليلاً على أن «الدخول» في هذه الناحية غير الدخول الذي ذكره امرؤ القيس في المعلقة.

وكذلك لم يذكر ما يقال إنه «سقط اللوى» بينما الطريق يمر من جواره؟!

لا أجد جواباً عن هذا التساؤل إلاَّ أن الهمداني يرى أن الدخول وحومل في غير هذا الموضع؛ فهو ممن أشكل عليهم هذا الأمر فراح يستشهد ببيتي امرىء القيس على أماكن أخرى واقعة في «منطقة اليمامة» ورأيه هذا كآراء غيره التي كانت محل نظر.

٢- لماذا لم يذكر قدماء المؤرخين والبلدانيين «حَوْمَلَ» في هذه الناحية إذ لو كان مايسمى في وقتنا الحاضر «حومل» لذكروه مع «الدخول» المجاور له الذي تردد ذكره، ولكنهم يعرفون أن الدخول الذي وصفوه في هذه الجهة غير «الدخول» الذي ذكره امرؤ القيس في شعره؛ ولذا فإن أياً منهم لم يستشهد بقول امرىء القيس عند ذكره للدخول الواقع في عالية نجد الجنوبية.

٣- هذا المكان الذي قال المتأخرون من علماء البلدان: إن الدخول وحومل والأماكن المقترنة معهما موجودة فيه، لم يكن في يوم من الأيام من مساكن ملوك كندة كما قيل.

والواقع أن أكثر المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في شعره واقعة في عالية نجد الوسطى والشمالية فهناك مساكن آبائه وأجداده ومكان لهوه ومجونه.

لقد ترددت كثيرا في إعلام رفقاء الرحلة بما تمخضت عنه جولتي تلك؛ خشية أن أصدمهم فيما استقر في نفوسهم حول الدخول وحومل؛ فهم يعتقدون أنهم يقيمون في أحضان «سقط اللوى» الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته وعندما عدت إليهم من جولتي ألفيت الأخ عبد العزيز بن إبراهيم الشايع واقفاً في مدخل الغار يدندن بقول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فقلت له: هل أنت متأكد أن الجبل الذي يبدو رأسه أمامك هو جبل حومل الذي عناه امرؤ القيس؟!

فقال: وهل في ذلك شك؟

قلت: الشك حوله تولَّدَ أثناء غيبتي عنكم ضحوة هذا اليوم.

فقال: إذا لم يكن هذا حومل، فما عساه أن يكون؟!

فقلت: قد يكون «سُحَاماً» الذي ذكر الهمداني أن رأسه يبدو لمن يمر بهذه الناحية.

وكان الأستاذ عبد العزيز بن صالح الشايع يسمع مايدور من حوار حول «حومل» فتدخل قائلاً: لا تفسدوا علينا هذه المرابع الجميلة بهذه الشكوك.

فقلت لهما: الأمر بالنسبة لي تعدى حد الشك إلى شبه اليقين؛ فلا «حومل»

هذا هو حومل الذي ذكره امرؤ القيس، ولا سقط اللوى الذي نجلس فيه بسقط اللوى الذي وقف فيه وتذكر حبيبته فراح يبكي أسىً على الأيام الخوالي.

لقد فضلت أن أناقش هذا الأمر معهما، لاسيما وأن كلاً منهما نواقة للشعر العربي وقد يقرضه أحياناً، ولهما ولع في معرفة المنازل والديار. وقد أمضى الأخ عبد العزيز بن إبراهيم ساعات وهو يقلب صفحات المراجع القديمة التي كنت أحضرتها معي علَّه يجد بين ثنايا النصوص مايدافع به عن «حومل» وعن «سقط اللوى».

وبعد فراغه من استعراض النصوص قال: لقد بدأ الشك يساورني حول هذا الجبل المنتصب أمامنا، فلا أستبعد أن يكون مسماه القديم «سحاماً» نظراً لانطباق النص والوصف عليه.

أما بقية أعضاء الرحلة فلم يشتركوا في هذا الحوار الذي قد يجر إلى إفساد ما ارتسم في خيال كل منهم عن هذه الأعلام والمرابع الجميلة.

وواقع الأمر أنني أشدهم حرجاً؛ حيث سبق أن قمت بتصوير إحدى هضاب «الدخول» وجبل «حومل» وعلقت صورتهما مكبرة في مكتبتي، ومما يحرجني أكثر أنني سبق أن أهديت إلى أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور «عبد الرحمن الطيب الأنصاري» صورة مكبرة لهذين العلمين على أنهما الدخول وحومل اللذان عناهما امرؤ القيس في مطلع معلقته.

ولن أنسى إعجابه بمنظر ماظننت أنه حومل، ومعاودة التطلع والنظر إليه، ولا غرابة أن يشده المنظر فهو أستاذ آثار الجزيرة العربية وتاريخها قبل الإسلام ولحرصه واهتمامه الشديدين كتب بخط يده خلف الصورة تعريفاً بها وأن هذا منظر جبل «حومل».

فهل ياترى يشطب الدكتور عبد الرحمن كلمة «حومل» ويثبت بدلاً منها كلمة «سُحَام» لست أدري! فهذا يترتب على ما سيتمخض عنه هذا البحث، ومدى قناعته بما أتوصل إليه من نتائج.

لقد اطلعت على كثير من كتب التراث فلم أجد من ذكر حوملاً وكذلك سقط اللوى في ناحية عالية نجد الجنوبية؛ مما جعل الشك يتعدى إلى الأماكن الأخرى التي ذكرها امرؤ القيس، وحققها البعض على أنها قريبة من «الدخول» الواقع في هذه الجهة.

وسأبذل قصارى جهدي في محاولة تحقيق المواضع الواردة في معلقة امرىء القيس مع علمي بأنني لن أتوصل إلى قول حاسم ودقيق في تحديد بعض الأماكن التي سأتطرق للكلام عنها، ولكن من المفيد إثارة الحوار حول مالم نتوصل إلى تحديد دقيق بشأنها؛ ليبقى الباب مفتوحاً أمام الباحثين؛ فقد يأتي من له القدرة على تحقيقها، أو يظهر لنا بعض المخطوطات من كتب التراث التي تضم بين طياتها نصوصاً تدل على أماكنها الصحيحة.

وقد سبق أن حققت المواضع الواردة في آخر معلقة امرىء القيس وهي: ضارج، والعذيب، وقطن، والستار، ويذبل، وكتيفة، وتيماء، والمجيمر. وضمنتها كتابي «الثاني» من سلسلة «نظرات في معاجم البلدان» وفي هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء تكلمت عن:

الدخول، وحومل، وسقط اللوى، وتوضح، والمقراة، ومأسل، ودارة جلجل.

ولم أكن أدري حينما تكلمت عن الأماكن الواردة في الاثني عشر بيتاً الأخيرة من معلقة امرىء القيس؛ أنني سأعود إلى الكلام عن الأماكن الواردة في مطلعها؛ وإلاَّ لوحدت الموضوع في كتاب واحد.

ولعل ما حصل كان نتيجة للطريقة التي اتبعتها، وهي أنني مغرم بالتجول في أرجاء بلادنا، أتعرف على أماكنها التاريخية والجغرافية فهي مهد العرب ومنبع الإسلام، وكان تجولي على ضوء ماكتبه عنها علماء عصرنا الذين بذلوا في تحقيق أماكنها جهوداً مشكورة لن ينساها لهم جيلهم الحاضر والأجيال القادمة.

وإذا تبين لي أن أياً من تلك الأماكن لم يحقق التحقيق الواضح أو كان تحقيقه غير صائب حاولت تحقيقه قدر الاستطاعة.

وأعتبر نفسي تلميذاً لهم في هذا المجال ومكملاً لرسالتهم.

وهم بلاشك معذورون عندما لم يكن تحقيقهم لبعض المواضع تاماً؛ لأن من يتصدى لتحقيق المئات منها في زمن محدد وعلى عجلة حتمتها ظروف البحث؛ ليس كمن يحقق بضعة أماكن - مثلي - على مهل وسعة من أمره.

وبما أنني بتحقيقي للأماكن الواردة في معلقة امرىء القيس قد نقلتها من الجنوب إلى الشمال مئات الأكيال، كما حَوَّلت بعض الأماكن مثل:

الدخول، وحومل، من جبال إلى رمال؛ فعمل كهذا قد يوقع في شيء من الزلل؛ مع أني توخيت الصواب في جميع ما حققته.

ورحم الله امرءاً أرشدني إلى خطإٍ وقعت فيه - فالخطأ وارد - وحسبي أنني اجتهدت في تحقيق جميع المواضع التي بحثتها. ولا يلام المرء بعد اجتهاده، وبالله التوفيق،

المؤلف

الدخول، وحومل

الدخول وحومل

قبل أن استرسل في الكلام عن الدخول وحومل، أود أن أعطي القارىء نبذة مختصرة عن موقع «الدخول» وما يقال عنه إنه «حومل» الواقعين في «عالية نجد الجنوبية»؛ فالدخول مسماه قديم وهو يطلق على هضب أحمر جميل المنظر، وكما يطلق هذا المسمى على الهضب يطلق على الماء الواقع في الطرف الشمالي الغربي من الجبال وبالتحديد على خط العرض ٤٥ً ٢٤َ ٢٢ْ وخط الطول ٢٤ً ٤٨َ ٤٣ْ.

أما «حومل» فيقع غرباً من الدخول على بعد خمسة عشر كيلاً.

والسائر من الدخول إلى حومل يمر ببعض الهضاب المنتشرة في أرض رملية؛ الأمر الذي أكسب المكان روعة وجمالاً، كما يشاهد على يساره مرتفعاً تعلوه الرمال؛ هذا المرتفع يحجب عن الناظر مشاهدة الجبال الواقعة جنوباً.

وهذا المرتفع الممتد من الطرف الجنوبي الغربي لهضب الدخول إلى قرب جبل «حومل» هو ما أطلق عليه بعض المتأخرين «سقط اللوى».

ومن يعلو فوق هذا المرتفع الممتد يشاهد جنوباً جبل «الصَّاقِب» في وسط جفرته الواسعة، كما يشاهد الجبال المحيطة به والْمُتَنَحِيَّة عنه بعيداً كأنها تحرسه وهو جاثم في هذه الوهدة من الأرض وهذا المنخفض من الأرض هو ما أطلق عليه أحد الباحثين اسم «المِقراة».

وجبل الصاقب هو الذي ذكره الحارث بن حِلِّزة بقوله:

إن نَبَشْتُمْ ما بين مِلْحَةَ والصَّا قِبِ فيه الأمواتُ والأحياء

وملحة التي ذكرها مقابلة للصاقب من الناحية الشرقية تسمى الآن «الأَمَيْلَاح» وهي جبال فيها ماء في شعب من شعابها.

وقال أوس بن حجر:

على السَّـــيـــد القَـــرْم لو أَنَّهُ ... يقـــوم على ذروَة الصَّـــاقب

لأصـــبح رتماً دُقـــاق الحـــصى ... مـكـان الـنَّـبِـيِّ مـن الـكـاثـب[1]

والأعلام التي وصفناها واقعة شرقي نفود «عرق سبيع - رملة عبدالله بن كلاب قديماً - وأسهل طريق للوصول إليها من شرقي «الحُومِيَّات» الواقعة على طريق (الرياض - الطائف) السريع. وتبعد جنوباً قرابة مائة كيل.

انظر إلى صور الدخول وحومل والصاقب المناظر رقم (١) و (٢) و (٣).

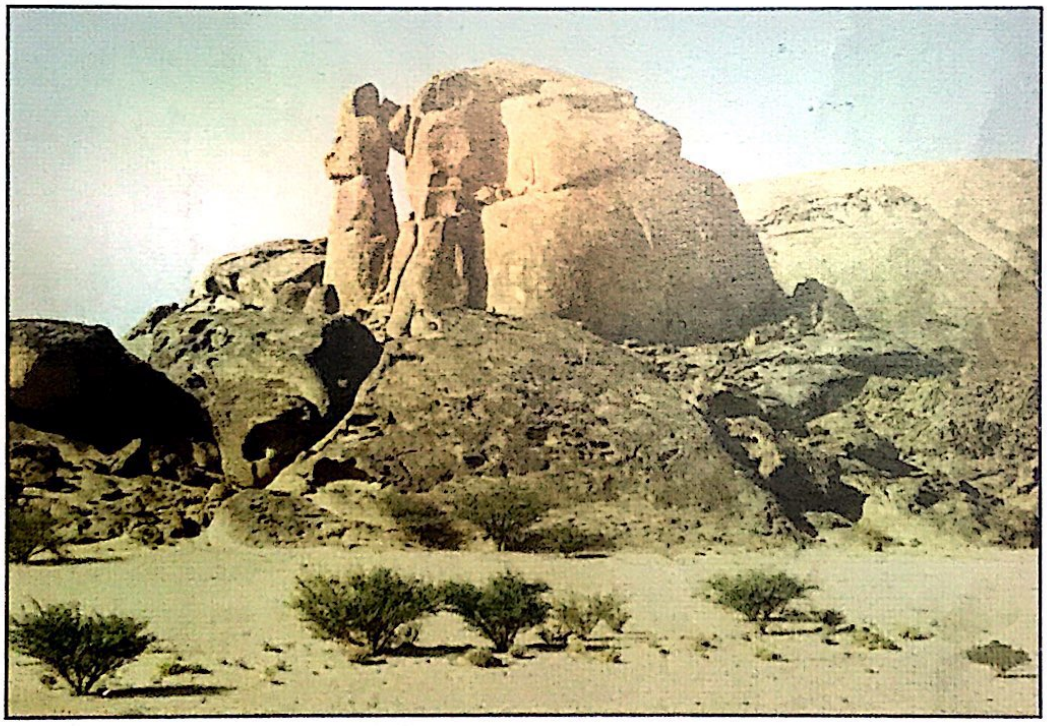

(١) منظر من الطرف الغربي من هضب «الدَّخُول».

---

(١) انظر معجم ما استعجم: ص ٨٢٣.

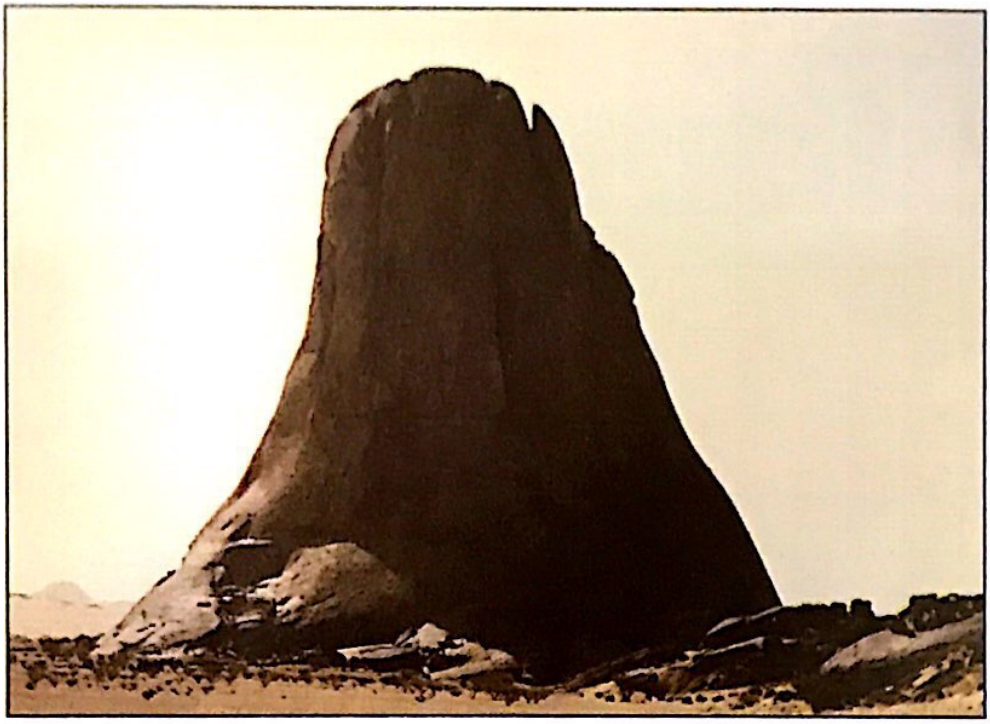

(٢) منظر جبل «حَوْمَل» من جهته الغربية

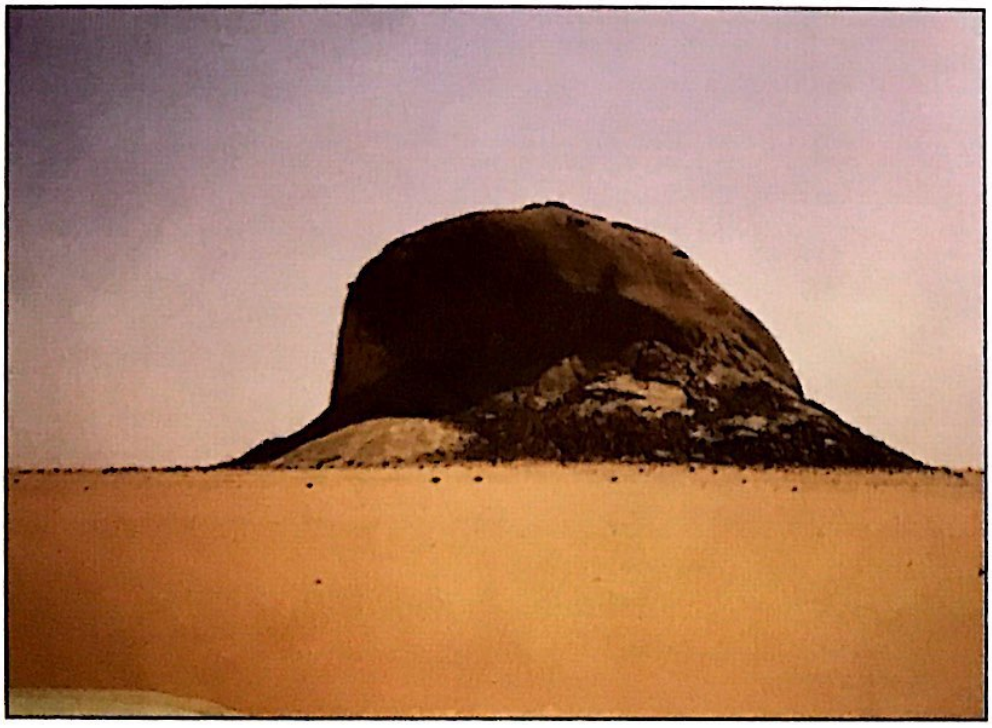

(٣) منظر جبل «الصَّاقِب»

وبعد أن وصفنا مكان الدخول وحومل الواقعين في «عالية نجد الجنوبية» يمكنني الكلام عن الدخول وحومل اللذين عناهما امرؤ القيس في معلقته فأقول:

عندما يمر الشاعر الكندي في أسفاره وتجواله في ربوع جزيرة العرب بأحد الأماكن التي سبق أن نزلها وله فيها ذكريات مع أصحابه وصويحباته فإنه برهافة حس الشاعر يستوقف صحبه ليتذكر تلك الأيام الخوالي.

فنجده يستوقف صاحبيه بسقط اللوى بين الدخول وحومل، فَيُبْكِيه تذكر المنازل والأحبة؛ مما جعل صحبه يشفقون عليه وينصحونه بأن لا يهلك نفسه بالأسى والتوجع.

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجمل

ومما يستوقفنا عند مطلع معلقة امرىء القيس أنَّ شراح ديوانه وكذلك علماء البلدان وعلماء اللغة اختلفوا في تحديد مكاني الدخول وحومل، وقد أسهب علماء اللغة في الكلام حول عطفه بـ «الفاء» بدلاً من «الواو» في قوله:

«بسقط اللوى بين الدخول فحومل»

وما يعنينا هنا هو تحديد مكان الدخول وحومل، وبما أن ما أجمع عليه الباحثون في وقتنا الحاضر أو كادوا يجمعون عليه هو أن كلاً من «الدخول» و«حومل» واقعان في «عالية نجد الجنوبية».

وقد جَرَّ الأخذ بهذا الرأي إلى تقريب بعض المواضع التي وردت في المعلقة إلى تلك الناحية مما أوقع المشتغلين بتحديد الأماكن إلى عدم تحقيق هذه المواضع في أماكنها الصحيحة.

ولعل أول من قال من المؤلفين والباحثين في زمننا هذا أن الدخول وحومل في عالية نجد الجنوبية هو الشيخ محمد بن بليهد - رحمه الله - حيث نجده يقول عند كلامه عن الأماكن المذكورة في البيتين الأولين من المعلقة (صفحة ١٦/١) من صحيح الأخبار:(ونبادر قبل أن نتحدث عن هذه الأماكن فنذكر أن أهل

المعاجم القديمة ذكروا أن هذه المواضع في اليمامة، قال ياقوت في معجمه: توضح والمقراة قريتان من قرى اليمامة، وتبعهم حسن السندوبي في شرحه لهذه القصيدة، وذكر أن جميع هذه المواضع في اليمامة. ولم أر أحداً من أهل الأخبار ذكرها في موضعها اليوم، إلا عبارة واحدة وردت في معجم البلدان أثناء ذكر الدَّخول. قال: إن الدخول بئر، ثم عزز هذا القول بقوله:

حكى نصر أن الدخول موضع في ديار بني بكر بن كلاب.) انتهى.

وقد قال بهذا القول ممن قرأت لهم من المؤلفين والباحثين كل من:

١- الأستاذ/ عبد الله بن خميس. وانظر كتابه (تاريخ اليمامة صفحة ٣٦٣/١). وكتابه (معجم اليمامة صحفة ٣٦٠/١)

٢- الأستاذ/ سعد بن جنيدل. (معجم عالية نجد صفحة ٥١٣/٢).

٣- الدكتور/ ناصر بن سعد الرشيد؛ في بحث نشر له في مجلة العرب بعنوان «المواقع الجغرافية في الشعر العربي» صفحة ٧٢٤/٨.

٤- الدكتور/ عبد الله عبد الرحيم عسيلان؛ في بحث نشر له في مجلة العرب بعنوان «دارات العرب في تراثهم الجغرافي اللغوي» صفحة ١١/٤.

ولم أطلع على رأي يقول إن الدخول وحومل واقعان في ناحية أخرى غير «عالية نجد الجنوبية» ماعدا الشيخ «حمد الجاسر» في قول له رواه الأستاذ عبد الله بن خميس بقوله:

(لقد قام جدل حول هذا الموضوع سجلت جزءاً منه في رسم «الدهناء». وممن يؤيد أن مراد امرىء القيس حومل الدهناء أستاذنا الأستاذ حمد الجاسر...

أما أنا فأرى أن امرأ القيس يقصد حومل عالية نجد..[1]). انتهى باختصار.

---

(١) معجم اليمامة: ص٣٦٠/١

أقول:

لست مع القائلين بأن «الدَّخُول» و«حَوْمَل» اللذين عناهما امرؤ القيس واقعان في «عالية نجد الجنوبية» وكذلك المواضع المقترنة معهما مثل:

«سقط اللوى» و «توضح» و «المقراة»؛ فقد تبين لي من أقوال قدماء المؤرخين وعلماء البلدان، و من الشعر العربي أن هذه المواضع لا تقع في هذه الناحية للأسباب التالية:

١- لم أقرأ نصاً واضحاً يقول بأن أياً من المواضع التي وردت في معلقة امرىء القيس واقع في جهة «عالية نجد الجنوبية».

بينما نجد بعض النصوص تشير إلى أنها واقعة في وسط عالية نجد.

٢- ورد ذكر «الدخول» الواقع في «عالية نجد الجنوبية» في أكثر من مرجع، ومع هذا لم يذكر معه «حومل» أو «سقط اللوى» ولم يقل أحد من المتقدمين إن هذا الدخول هو الذي عناه امرؤ القيس.

٣- لم يذكر القدماء أن في عالية نجد الجنوبية موضعاً اسمه «حومل».

٤- لم تكن «عالية نجد الجنوبية» من منازل ملوك كندة كما قال البعض؛ وإنما منازلهم هناك في وسط نجد وفي الشمال منه.

وسيتضح لنا هذا عند تحليل النصوص التاريخية وعند الكلام عن منازل ملوك كندة التي نشأ وترعرع فيها امرؤ القيس.

ولست أدعي بأنني سأتوصل إلى رأي جازم في تحديد جميع المواضع الواردة في المعلقة، وما استعصى عَلَيَّ تحقيقه سأوضح رأيي فيه ومن ثم أترك الباب مفتوحاً أمام الباحثين.

وأعني بالباحثين من يجمعون بين الإلمام بالنصوص القديمة من شتى مصادرها ومن ثم تطبيقها على واقع الأرض.

ولا أعني بالباحثين من يكتبون آراءهم من خلف مكاتبهم لينقلوا لنا آراء

الآخرين وأقوالهم فقط، وخاصة آراء الرحالة والمستشرقين الذين أولع كثير من الباحثين بترديد أقوالهم دون تمحيص.

ولست بهذا القول أنتقص ما قام به هؤلاء الرحالة والمستشرقون من جهود مشكورة بذلوها في خدمة تاريخ هذه البلاد وجغرافيتها؛ ولكن الواجب على الباحث المدقق أن لا يأخذ جميع آرائهم على إطلاقها؛ لأنهم لايدركون دقائق تاريخ العرب والمسلمين، ولا أنماط حياتهم المعيشية والسلوكية.

وقد أعجبت كثيراً بعبارة قالها الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان، إذ قال:

(هل ننتظر من المستشرقين البعيدين عن أرضنا وتاريخنا أن يحدثونا عن جزيرتنا ونحن ألصق بها وأولى بمعرفتها؟!(١)) انتهى.

وعندما نَشَرْتُ في إحدى صحفنا المحلية مقالاً بعنوان «الطرق القديمة وأعلامها المثيرة» نقضت فيه رأياً لفريق أجنبي نشر ضمن تقرير في إحدى الدوريات المحكمة، حيث ورد في هذا التقرير تحت عنوان «المدافن والمقابر الركامية» ما مفاده: أن مايشاهد فوق الجبال والأكمات، والمرتفعات من الركامات والمذيلات الحجرية ماهي إلا مقابر ومدافن للموتى منذ العصور القديمة. وعندما قلت: إن غالبية ما شاهده هذا الفريق الأجنبي ماهو إلا عبارة عن أعلام للطرق القديمة التي تشق أرض جزيرة العرب من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، وليست مدافن للموتى من العصور الحجرية؛ ثارت ثائرة أستاذ جامعي متخصص في الآثار فرد على ماقلته رداً قاسياً لاهوادة فيه. وليس هذا مجال الحديث عنه.

وما سبب مثل هذا الرد المتسرع إلا الانسياق وراء الأخذ بآراء الأجانب على عَلاَّتها. وحتى لا يسترسل أستاذنا الجامعي ويبقى على فهمه المغلوط أجريت معه مقابلة في مكتبه بتاريخ ١٤١٧/١/١هـ. وناقشت معه هذا الموضوع، ووعدني بأنه

---

(١) مجلة العرب: المجلد الرابع: ص١١

لن يكتب فيه مرة أخرى، ووعد بأن يستجيب لما طلبته منه في تعقيبي على رده، وهو أن نقوم سوياً برحلة ميدانية نسلك فيها أحد الطرق القديمة؛ لأبين له ماخفي عليه ولأثبت له أن ما شاهده هو أو الفريق الأجنبي ماهو إلا أعلام للطرق القديمة وليست مدافن ومستوطنات موغلة في القدم كما قيل!!

واتفقنا على أن يتصل بي هاتفياً لنقوم بهذه الرحلة الميدانية، ولكنه لم يتصل بعد.

وما أود أن أخلص إليه هو أن ينشط المهتمون بتحقيق الآثار والمواضع التاريخية والجغرافية في بلادنا دون الاعتماد على أقوال هؤلاء المستشرقين ومن هم على شاكلتهم.

وما دمنا بصدد الكلام عن «الدخول» و«حومل» فقد اعتدت أن أورد للقارىء أقوال المتقدمين والمتأخرين حول المكان المراد تحقيقه، مع التعليق على أي نص قديم أو حديث، يبدو لي أن التعليق عليه يزيل إشكالاً أو يصحح خطأً وإليك أقوالهم حول الدخول وحومل.

أقوال قدماء البلدانيين حول الدخول وحومل والتعليق عليها

أولاً: قال ياقوت الحموي:

الدَّخول: بفتح أوله في شعر امرىء القيس: اسم واد من أودية العلية بأرض اليمامة؛ وقال الخارزنجي:

الدخول بئر نَمِيرَةٌ كثيرة المياه، وحكى نصر أن الدخول موضع في ديار بني أبي بكر بن كلاب؛ وقال أبو سعيد في شرح امرىء القيس:

الدخول وحومل والمقراة وتوضح مواضع ما بين إمرة وأسود العين، وقال: الدخول من مياه عمرو بن كلاب، وقال أبو زياد:

إذا خرج عامل بني كلاب مصدقاً من المدينة فأول منزل ينزل عليه ويصدق عليه أُريكة ثم العناقة ثم مذعى ثم المصلوق ثم الرَّنْية ثم الحُلَيْف ثم يمر الدخول لبني عمرو بن كلاب فيصدق عليه بطوناً من عمرو بن كلاب وحلفائهم بني دَوْفن، قال أبوزياد: ومن مياه بني العجلان الدخول؛ وفي شعر حذيفة بن أنس الهذلي:

فلو أسمعَ القومَ الصُّرَاخَ لَقُوربت ... مصارعهم بين الدخول وعَرْعَرا

عرعر: موضع بنعمان الأراك فهو غير الأول. وذات الدخول: هضبة في ديار بني سليم؛ وقال جحدر اللص:

ياصاحبيّ وباب السجن دونكما ... هل تؤنسان بصحراء اللوى نارا

لوى الدخول إلى الجرعاء موقدها ... والنار تبدي لذي الحاجات أذكارا[1].

هذا مما قاله ياقوت الحموي في معجمه عن «الدخول» وقال في كتابه «المشترك وضعاً والمفترق صقعاً» (ص ١١٧):

(باب الدَّخُول ثلاثة مواضع: بفتح الدال وضم الحاء المعجمة، قال أبو زياد

---

(١) معجم البلدان: ص ٢/٤٤٥.

الكلابي: الدخول من مياه عمرو بن كلاب، وقال أبو زياد: من مياه بني العجلان الدخول، وقال غيره:الدخول بين إمرة وأسود العين ولا آمن أن يكون أحد الموضعين المقدم ذكرهما.

وذات الدخول هضبة في ديار بني سليم) انتهى قول ياقوت.

التعليق:

يتميز ياقوت الحموي - رحمه الله - بإيراده لجميع أقوال من سبقوه حول المواضع التي يرسم لها وإن اشتركت أسماؤها وتباعدت أصقاعها.

وفي أقواله المتقدمة لم نجده ذكر أن أياً من هذه المواضع هو «الدخول» الذي ذكره امرؤ القيس ماعدا الموضع الأول، وهو اسم واد من أودية «العُلَيَّة» بأرض اليمامة؛ ولعل قوله هذا مما جعل البعض يقول بأن «الدخول» الوارد في المعلقة هو الواقع في أرض اليمامة؛ مع أن هذا القول ليس له ما يعضده أو يقويه.

ومن المحتمل أن ياقوتاً لم يقصد بقوله هذا أن الدخول الوارد في شعر امرىء القيس هو واد من أودية اليمامة، وإنما مجرد إشعار بأن هذا المسمى وارد في شعر امرىء القيس ليس إلاَّ، ثم شرع يعدد لنا المواضع المتفرقة المسماة بهذا الاسم.

ثانياً: قال أبو عُبيد البكري:

(الدَّخول: بفتح أوله، على وزن فعول: موضع اختلف في تحديده؛ فقال محمد ابن حبيب:

الدخول وحومل: بلاد أبي بكر بن كلاب؛ وأنشد لكُثَيِّر:

أمن ال قتلة بالدَّخُول رُسُومُ ... وبحَوْمَلٍ طَلَلٌ يلوح قَدِيمُ

وقال أبو الحسن: الدخول وحومل: بلدان بالشام وأنشد لامرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

وقال أبو الفرج: هذه كلها مواضع مابين أمَرَة إلى أسود العين.

إلا أن أبا عبيدة يقول: إن المقراة ليس موضعاً، وإنما يريد الحوض الذي يجمع فيه الماء)[1].

وقال البكري في رسم «ذو سُدَيْر» قال حميد بن ثور:

عفا من سُلَيْمى ذو سُدَير فَغابر فَحَرسٌ فأعلام الدَّخول الصَّوَادِرُ

وفي رسم «عِرْقَة» قال: «إحدى ثغور مرعش من بلاد الروم وأورد أبياتاً للمتنبي منها هذا البيت:

وعادت فظنوها بِمَوْزَار قُفَّلاً وليس لها إلا الدَّخول قُفُولُ

انتهى ما أورده البكري.

التعليق:

من قول أبي عبيد البكري عن «الدخول»:

(إنه موضع اختلف في تحديده) يدل على أن الاختلاف حول تحديد هذا الموضع كان قديماً.

أما عن استشهاد محمد بن حبيب وانشاده لبيت كثير عزة:

فلا يدل على أن ما ورد في البيت من اسم «الدخول» و «حومل» واقعان في بلاد أبي بكر بن كلاب، والأقرب أن يقال إنهما واقعان في بلاد قوم كثير عزة في أرض الحجاز؛ فقد ذكر صاحب معجم «بلاد الحجاز» – ص ٨٣/٣–:

أن «حَوْمَل» يشرف على جو تذرع، وقال عن تذرع:

إنه جبل أسود بطرف الجو من الجنوب غرب حرة عوير.. الحد الجنوبي بين بلي وبنو عطية. انتهى.

أما عن إنشاد «أبو الحسن» لبيتي امرىء القيس عند قوله الدخول وحومل:

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٥٤٨/٢.

بلدان بالشام.

فهذا مما يقوي ما سبق أن قلته من أن كل أناس يدعون وجود الدخول وحومل في بلادهم، ولكن النصوص لا تسعفهم بذلك.

أما عن الدَّخُول وأعلامه الصوادر الذي أورده حميد بن ثور:

فإن الأماكن التي ذكرها مقترنة معه وهي «ذو سُدَير» و«غَابر» و«حَرْس»؛ متعددة الأسماء ومن الصعوبة بمكان تحديدها وبالتالي يصعب تحديد مكان «الدخول» الذي قصده.

ثالثاً: قال أبو علي الهجري:

(الدَّخول: قال الهجري: وسألته عن الأوانة فقال: ركية بالغرب شق المضاجع قرب وشحى، والودكاء، والدخول: وهو ماء برمل السُّرَّة، إلى بيشة...)[1]

وقال أيضاً: (ذِقانُ: جبل قرب الدخول شق حوضيات، والدخول محجة أهل العقيق والأفلاج إلى مكة)[2] انتهى قوله.

التعليق:

رحم الله أبا علي الهجري وأسكنه فسيح جناته؛ فإن وصفه للمواضع دقيق، وكثيراً ما يحدد المواضع التي يتحدث عنها وبعدها عن بعضها بالأميال؛ فقد تمكنت من تحقيق بعض المواضع على ضوء وصفه الدقيق وقد أصاب في وصفه وتحديده لماء «الدخول» الواقع في «عالية نجد الجنوبية» الذي يرده حاج الأفلاج وهو يتفق في ذلك مع الهمداني في وصفه لطريق حاج الأفلاج وأنهم يردون ماء الدخول.

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه: ص ٣١٠.

(٢) أبو علي الهجري وأبحاثه: ٣١٣.

ومع أن الهجري ذكر «الدخول» وقرنه بأعلام ومواضع مازالت معروفة بأسمائها حتى الآن؛ إلا أنه لم يورد ذكراً لجبل «حَوْمَل» المجاور لماء الدخول -كما يسمى في وقتنا الحاضر - مما يدل على أن مسمى «حومل» الواقع قرب ماء الدخول مستحدث الاسم. ثم إن الهجري لم يذكر أن ماء الدخول هذا هو «الدخول» الذي ذكره امرؤ القيس. كل هذا يعطينا دليلاً على احتمالية وقوع كل من الدخول وحومل - مدار بحثنا - في غير هذه الجهة.

رابعاً: قال الهمداني في "صفة جزيرة العرب":

(الدَّخول: ناحية الهزمة وقرقرى وتوضح، وإياها عني امرؤ القيس بقوله:

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وتوضح فالمقراة لم يعف رسمها...)[1] انتهى

التعليق:

وإن كنت لا أميل إلى الأخذ بما قال به الهمداني هنا؛ إلاَّ أن رأيه هذا بغض النظر عن خطئه من صوابه يدل على أن «الدخول» الواقع في «عالية نجد الجنوبية» ليس هو الدخول الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته ومع أنه أشهر المواضع المسماة بالدَّخول؛ إلا أن الهمداني عندما اعتبره من موارد حاج الأفلاج لم يقل إنه هو الذي ذكره امرؤ القيس لعلمه أنه ليس هو ولا حوله موضع من المواضع التي ذكرها معه؛ فلذا راح الهمداني يبحث عن هذه المواضع في ناحية أخرى والله أعلم.

خامساً: قال صاحب كتاب "بلاد العرب":

(قال: ليس أحد من ولد كلاب يُعَادُّ أبا بكر غير عَمْرو بن كلاب.

وقال سعيد بن عمرو الزبيري وكان ساعياً عليهم:

---

(١) صفة جزيرة العرب: ص٣١٠.

إن يَكُ لَيْلى طال بالنيِّـر أوسَـجَـا فـقـد كـان بالجَـمَّـاء غـيـر طويل
ألا ليـــتني بُدِّلْتُ سَلْعـــاً وأَهْلَهُ بِدَمخٍ وأَصْـرَامـاً بهـضب دخُـولِ[1]

التعليق:

هذا هو أشهر المواضع المسماة بالدَّخولُ وأكثرها ذكراً في المراجع ولم يَخْفَ تحديده على أحد، فهو يطلق على ماء اسمه «الدَّخول» وحوله هضب يسمى هضب الدخول؛ وواقع أمره كذلك.

ومع تحديد المتقدمين له لم يقل واحد منهم إنه هو الدخول الذي عناه امرؤ القيس في معلقته.

سادساً: أورد صاحب "الأغاني" هذه الأبيات من الشعر:

أيا دار سلمى بالحـــرورية اسلمي إلى جـانب الصـمـان فـالمتـثلم
أقـامت به البـــردين ثم تذكـــرت منازلهـــا بين الدخـــول فـــجـــرثم
ومـسكنهـا بين الغـروب إلى اللوى إلى شُـعب ترعى بهن فـعـيـهم

هذا ما حضرني من أقوال المتقدمين عن «الدخول» وسنتطرق إلى ذكره عند محاورة النصوص التاريخية والجغرافية وتحديد المكان الذي يقع فيه الدخول الذي قصده امرؤ القيس في مطلع معلقته.

أما أقوالهم عن «حَوْمَلٍ» فهي كمايلي:

---

(١) بلاد العرب: ص ١٤٦.

★ أقوال المتقدمين عن "حومل":

أولاً: قال ياقوت الحموي:

(حَوْمل: بالفتح كأنه فوعل من الحمل لما كثر التحميل من هذا الموضع كما كان النَّوْفل من النفل وهو العطية لما كثر التنفيل؛ وقال السكري في شعر امرىء القيس:

حومل والدخول والمقراة وتوضح مواضع ما بين إمرة وأسود العين...)[1]

ثانياً: أورد البكري في رسم "البُرَد" قوله:

(قال المسيب بن عَلَس:

بكثـــيب حَـــرْبَةَ أو بِحَـــوْمَلَ أو مـن دونـه مـن عَـــــــالِـجٍ بُـرَق

وهذه مواضع متدانية بأرض الشام..)[2]

وفي رسم «حَوْمَل» قال:

وحومل: اسم رملة تركب القُفَّ وهي بأطراف الشقيق وناحية الحَزْن لبني يربوع وبني أسد...).

ثم أورد شعراً لحسان في حومل الشام.

ثالثاً: أورد صاحب "الأغاني" قول ربيعة بن مقروم الضبي:

(... كـأنهـا ظبـيـة بكر أطاع لهـا من حـــومل تلعـــات الحي أو أُودا

وقوله أيضاً:

وكـــأنما ريح القـــرنفل نشـــرها أو حَنْوَة خلطت خُـزامى حـومل)[3]

وفي صفحة (١٢٣/٥) أورد قول حسان:

أســـألت رسم الدار أم لم تســـأل بين الجـوابي فـالبـضـيع فَـحَـوْمَلِ

---

(١) معجم البلدان: ص ٣٢٥/٢.

(٢) معجم ما استعجم: ص ٤٣٤/٢.

(٣) كتاب «الأغاني» ص ٨٩/٢٢.

ثالثاً: ذكر جريرٌ حوملاً وهو يهجو التيم والفرزدق بقوله:

أتنسى يوم حومل والدخول.....

رابعاً: قال ياقوت الحموي في رسم "أود":

(... وقال آخر:

كـأنّهـا ظَبْـيَـةُ بِكْرٌ أطاع لهـا من حَـوْمَلٍ تَلَعـات الجَـوّ أَوْ أُوْدا)

خامساً: ذكر الشاعر ابن مقبل "حوملاً" بقوله:

(ربيب لم يفلكه الرعـــاء ولم يقصر بحومل أقصى سربه ورع)[1]

وذكره مرة أخرى بقوله:

(تَبَـوَّعَ رِسْلاً في الزمام كـما نجـا أَحَمُّ الشَّوَى فَرْدٌ بأجماد حوملا[2]

سادساً:أورد الأخفش الأصغر في كتاب الاختيارين صفحة "٣١٤" قول النظار بن هشام:

وأمَّ من حَـوْمَل خـبـتـاً يشـتـئي بأربع لم يرتبـعـهـا الرعـيـان

وقال عن «الخَبْت» بأنه الطريق في الرمل، الجمع خبوت.

سابعاً: ذكر طرفة بن العبد حوملاً في معلقته حيث قال:

وصـادقـتـا سـمـع التـوجس للسُّـرى لِهـجْسٍ خـفـيّ أو لصـوت مُنددِ

مـؤللتـان تعـرف العـتق فـيـهـمـا كـسـامـعـتي شـاة بحَـوْمَل مُـفْـرَدِ

لا أريد أن أتسرع بالتعليق على ماورد في هذه النصوص عن «حومل» قبل أن تتوفر لنا مرجحات من خلال استعراض أقوال علماء البلدان في وقتنا الحاضر، وكذا التعرف على بقية الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس مقترنة مع ذكر الدخول وحومل.

وحتى نتقرب إلى هذه المواضع أكثر دعونا نلقي نظرة على ماقاله علماء زماننا عن الدخول وحومل:

---

(١) ديوان ابن مقبل: ص ١٧٣.

(٢) ديوان ابن مقبل: ص ٢١٣.

* آراء علماء البلدان في الوقت الراهن حول الدخول وحومل، ومناقشتها:

أولاً: قال الشيخ محمد بن بليهد:

(أما الدَّخُول: فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمال الهضب المعروف بين وادي الدواسر ووادي رنية... وفي شعر حذيفة بن أنس الهذلي:

فَلو أَسْمَعَ القَوْمَ الصراخُ لقوربت مصارعهم بين الدخول وعَرْعَر

وعرعر: ماء ببطن الهضب بينه وبين الدخول مرحلتان للإبل، يسمى اليوم «عراعر».

أما حومل: فهو جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية يبعد مسافة نصف يوم عن الدخول)[1] انتهى.

وانظر ماقاله في صفحة (١٦٧) عن «حومل».

التعليق:

بما أن الشيخ محمد بن بليهد -رحمه الله- يُعْتبر رائداً في مجال تحقيق المواضع التاريخية والجغرافية في بلادنا؛ فقد تابعه بعض الباحثين فكان كلامهم عن الدخول وحومل وكذا المواضع المقترنة معهما متفقاً مع رأيه أو يكاد؛ ولذا سأناقش آراءهم حول كل موضع عند الكلام عنه.

وهنا نجده يستشهد ببيت حذيفة الهذلي حيث ذكر الدخول وعرعر.

وقد قال عن «عَرْعَرْ» بأنه الماء الواقع ببطن الهضب الواقع جنوب الدخول وأنه يسمى اليوم «عراعر».

أقول: لم أطلع على نص قديم ورد فيه ذكر لموضع يسمى «عراعر» أو «عرعر» في عالية نجد الجنوبية بينما تواترت أقوالهم حول هذين الموضعين في أماكن

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١٦/١.

نائية عن ما يسمى في وقتنا الحاضر «الدخول» و «حومل».

وفي رسم «عَرْعَر» قال ياقوت الحموي:

(... اسم موضع في شعر الأخطل، وقيل هو جبل... وقال أبو زياد: عرعر موضع ولا ندري أين هو، وفي كتاب السكوني وذكر الأبحّ بن مرة في خبر فقال:

ضيم من عرعر وعرعر من نعمان في بلاد هذيل...

وأما نصر فقال: عرعر واد بنعمان قرب عرفة وأيضاً في عدة مواضع نجدية وغيرها، فإنه لو كان بنجد لعرفه أبو زياد لأنها بلاده[1]) انتهى قول ياقوت باختصار.

وقد صدق ياقوت - رحمه الله - فلم يرد ذكر لعرعر في عالية نجد ولو كان الأمر كذلك لذكره أبو زياد العامري. ولا أستبعد أن يكون «عرعر» الذي ذكره الهذلي واقعاً في بلاد قومه أو قريباً منها. وانظر إلى «معجم معالم الحجاز» للبلادي.

وقد أورد البكري في كتابه معجم ما استعجم ذكراً لـ«عرعر» في عدة مواضع نكتفي منها بما أورده في رسم «عَرْعَر» حيث قال:

(عَرْعَر: واد قد تقدم ذكره في رسم ظبي، وفي رسم عُوق أيضاً بعد هذا قال المسيب بن عَلَس في يوم عرعر:

كأنهم إذ خرجوا من عرعر مُسْتَلْئِمين لابسي السَّنَوَّر

نَشْء سحاب صائف كنهور

وعرعر قِبَلَ قَوّ؛ يدل على ذلك قول امرىء القيس:

وحلت سُلَيْمى بطن قَوٍّ فَعَرْعَرَ[2])انتهى.

---

(١) معجم البلدان: ص ١٠٤/٤.

(٢) معجم مااستعجم: ص ٩٣٢/٣.

وعلق محقق الكتاب بقوله:

«رواية ياقوت بيت امرىء القيس هكذا:

سما لك شوق بعد ماكان أقصرا وحلت سليمى بطن ظبي فعرعرا

أقول: كان بودي أن محقق كتاب معجم ما استعجم عندما أورد هذه الرواية عن ياقوت التي ذكرها في رسم «قرن ظبي» أورد روايته الأخرى في رسم «عرعر» حيث جاءت روايته مطابقة لرواية البكري وحلت سليمى بطن قَوٍّ فعرعرا.

ولسنا بصدد تحقيق «عرعر» أو «عُرَاعِر».

وكما تعددت الروايات عن عرعر تعددت عن عراعر؛ فذكره البكري في أكثر من موضع وكذلك ياقوت، ومما قاله ياقوت في رسم عراعر:

(عُرَاعِرُ... اسم موضع في شعر الأخطل، وقيل: اسم ماء ملح لبني عميرة؛ عن صاحب التكملة، وهي أرض سبخة... وقيل: عُرَاعر ماء لكلب بناحية الشام.)[1]. انتهى باختصار.

والمستقرىء لجميع النصوص الواردة حول هذين الموضعين يدرك أنهما بعيدان عن عالية نجد الجنوبية.

ثانيا: قال مؤلف "معجم عالية نجد" الأستاذ سعد بن جنيدل:

(الدخول.. هضاب حمر عالية، وفيها ماء يسمى بهذا الاسم، في ناحيتها الشمالية داخل في شعب في الهضاب وفيها رسوس جمع رس وكلها عذبة تقع في بلاد المجضع، المضجع قديماً شمالاً من هضب الدواسر، وجبل حومل يقع غرباً منها...)[2] انتهى باختصار.

---

(١) معجم البلدان: ص ٩٣/٤.

(٢) معجم عالية نجد: ص ٥١٣/٢.

وقد أورد بعض أقوال القدماء حول هذا الموضع المسمى «الدخول».

وعن جبل «حومل» قال:

(حَوْمل... جبل أسود له قمة بارزة يقع غرباً من هضاب الدخول وشرقاً من المنخرة، ... وهو معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً، وكان قديما في بلاد عمرو ابن كلاب، وقد ذكره امرؤ القيس مقروناً بالدخول فقال:

قفا نبك من ذكرى حبيبب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل

وقد ذكر البكري موضعاً بهذا الاسم غير هذا فقال:

حومل.. اسم رملة تركب القف، وهي بأطراف الشقيق، وناحية الحزن لبني يربوع وبني أسد.

... وحومل الذي تحدثت عنه واقع جنوب عالية نجد وهو الواقع بقرب الدخول وهو الوارد في شعر امرىء القيس لأنه ذكر في قصيدته مواضع أخرى قريبة من الدخول وحومل.

وقال ياقوت عن السكري: الدخول وحومل والمقراة في شعر امرىء القيس مواضع ما بين إمرة وأسود العين.

والواقع أن ما بين إمرة وأسود العين من المواضع، واقع ضمن حمى ضرية ويمر به طريق حجاج البصرة، ولا يعرف في حمى ضرية ولا في طريق الحجاج مواضع بهذه الأسماء قديماً أو حديثاً، وأعلام طريق الحجاج وكذلك أعلام الحمى موضحة في المعاجم الجغرافية بدقة وعناية...)[1] انتهى قوله باختصار.

---

(١) معجم عالية نجد: ص ٤٣٤/١.

التعليق:

لي بعض الاستدراكات على تحديد مؤلف معجم «عالية نجد» لكل من الدخول وحومل. وهو وإن كان يتفق مع الشيخ محمد بن بليهد في هذا التحديد؛ إلا أنني أختلف معهما، حيث يبدو لي أن «الدخول» الذي ذكره قدماء علماء البلدان في هذه الناحية غير الدخول الذي ذكره امرؤ القيس؛ لقرائن ودلائل سأذكرها إن شاء الله لاحقاً.

أما عن جبل «حومل» الواقع غربي الدخول غير بعيد منه؛ فقد أسلفت أن المتقدمين من علماء البلدان لم يذكروا أن في هذه الناحية جبلاً اسمه «حومل»؛ ولذا قلت إن مايسمى في وقتنا الحاضر «حومل» ماهو إلا جبل «سُحَام قديماً» طغى عليه مسمى «الدخول» الواقع بالقرب منه فسمي حوملاً.

وهذه هي الاستدراكات على ماورد في قوله:

١- يقول الأستاذ سعد بن جنيدل عن جبل «حومل»:

«وهو معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً، وأنه هو الذي ذكره امرؤ القيس مقروناً بالدخول لأنه ذكر في قصيدته مواضع أخرى قريبة من الدخول وحومل».

أقول: صحيح أن هذا الجبل يسمى حديثاً بـ «حومل»؛ أما قديماً فلم يعرف في عالية نجد الجنوبية هذا المسمى. ولم يرد نص واضح يدل على معرفته.

وقد أوردت ما تجمع عندي من أقوال القدماء، فهل أشار أي نص من النصوص السبعة المتقدمة - مابين نثر وشعر - إلى أن هذا الجبل الواقع قرب الدخول هو جبل «حومل»؟!

مما فهمته من هذه النصوص أنها لا تدل على أن حومل الذي عناه امرؤ القيس واقع في هذه الجهة.

أما ما قاله المؤلف من تعليل ذكر امرىء القيس لمواضع أخرى قريبة من هذين الموضعين.

فأقول: إن المواضع الأخرى التي ذكرها امرؤ القيس لا تقع بالقرب منهما، وسيتضح هذا عند الكلام عن هذه المواضع لاحقاً إن شاء الله.

٢- أما قوله تعليقاً على قول السكري الذي رواه ياقوت الحموي:

«الواقع أن مابين إمرة وأسود العين من المواضع واقع ضمن حمى ضرية... ولا يعرف في حمى ضرية مواضع بهذه الأسماء قديماً أو حديثاً»

أقول: صحيح أنه لا يعرف الآن في حمى ضرية أي موضع من المواضع التي أشار إليها السكري، أما قديماً فالأمر يختلف ولن نعدم الأسباب التي تدل على وجود موضع من المواضع التي سماها امرؤ القيس بين إمرة وأسود العين وبالتحديد داخل نطاق «حمى ضرية» كيف لا؟ وهذه منازل بني كندة.

٣- أما عن قول المؤلف:

«وأعلام طريق الحجاج وكذلك أعلام الحمى موضحة في المعاجم الجغرافية بدقة وعناية».

أقول: يبدو لي من هذا القول، أن صاحب «معجم عالية نجد» يقصد أن القدماء حددوا الأعلام الواقعة على طريق الحج وفي «حمى ضرية» وأنها مازالت معروفة بأسمائها. وأنا لست معه في هذا القول؛ فكثير من الأعلام داخل حمى ضرية الواقعة على طريق الحج البصري أو قريبة منه أبدلت أسماؤها بأسماء حديثة، والبعض منها غير معروف. وقد تمكنت من تحقيق بعض المواضع القديمة الواقعة في حمى ضرية والتي كانت غير معروفة لتغير مسمياتها، وذلك في كتابيَّ «الأول» و«الثاني» من سلسلة «نظرات في معاجم البلدان»؛ ومن بين هذه المواضع تحقيق منزل «إمَّرَة» و«أسود العين» وهما الموضعان اللذان حدد لنا السكري أن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس واقعة بينهما. ولا يزال أمامنا طريق طويل وشاق لتحقيق ما انطمر من معالم بلادنا التاريخية والجغرافية.

ثالثاً: قال الأستاذ عبد الله بن خميس في كتابه "معجم اليمامة":

(وذكر ياقوت في معجمه «العُلَيَّة» و «العَلاَة» فقال:

هما جبلان باليمامة وبالعلية أودية كثيرة ذكرت متفرقة في مواضعها من هذا الكتاب، وأردف قائلا:

منها الدخول الذي ذكره امرؤ القيس قال الحفصي: وهما لبني هزان وبني جشم والحارث بن لؤي وأنشد:

أتتك هزانك من نعامها ومن علاتها ومن آكامها

وفي مكان آخر قال:

وعلاة لبني هزان باليمامة على طريق الحاج وبها المحالي وهي حجارة بيض يحك بعضها ببعض ويكتحل بتلك الحكاكة. انتهى ما أورده صاحب المعجم.

قلت:- القول لمؤلف معجم اليمامة -

يبدو أنه التبس الأمر على ياقوت بين «العلاة» و«العالية»، فجمع بين مدلوليهما هنا، فالعالية هي «عالية نجد»؛ وهي التي ذكر امرؤ القيس، أما العلاة فهي في سافلة نجد من اليمامة، وهي التي ذكر فيها بقية ماذكر في خبره هذا، وفرق بين العالية والعلاة مثل الفرق بين الثريا وسهيل...)[1] انتهى.

التعليق على هذا القول:

لم يَبْدُ لي كما بدا لمؤلف «معجم اليمامة» أن هناك أمراً التبس على ياقوت الحموي عند ذكره لـ «العَلاَة» و «العُلَيَّة».

فكلام ياقوت حول «العلاة» والعلية واضح لا لبس فيه ولا غموض؛ حيث نجده في رسم «الدخول» كما مَرَّ معنا يقول:

«الدَّخول... اسم واد من أودية العلية بأرض اليمامة.»

---

(١) معجم اليمامة: ص ١٧٩/٢.

والعلاة التي قال ياقوت أن فيها المحالي وهي الحجارة البيض التي يكتحل بها يمر بها طريق الحاج. هي ما يسمى في وقتنا الحاضر «عُلَيَّة» وواقع الأمر كذلك فطريق حاج اليمامة يمر من فوق ظهرها وقد تتبعت أعلام هذا الطريق من مشارف بلدة «اليمامة» بمحافظة الخرج حتى نزل الطريق من أعلى «طويق» على بلدة «نعام».

فالعلاة والعلية إذاً - كما ذكر ياقوت الحموي - جبلان باليمامة.

كما نجد «الهمداني» يقول:

(ووادي حنيظلة يصب في فرع نعام وتَوْلَب يصب في نساح وفرع مأوان الذي يصب على الخرج اسمه العَلاَة، ففي العلاة الأوشال التي يفيض عليها الوعول الثَّيْتِل والثَّيْتلة.[1]).

وإذا كان هناك من التباس حصل لياقوت الحموي فهو في جعله «الدخول» الذي ذكره امرؤ القيس وادياً من أودية «العلية» باليمامة.

وهذا الالتباس الذي وقع فيه ياقوت، وقع في مثله «الهمداني» حينما قال: إن الدخول الذي عناه امرؤ القيس واقع ناحية الهزمة وقرقرى من أرض اليمامة.

وإذا كان لنا من مطلب هنا فهو أن يعمل أستاذنا عبد الله بن خميس على تحديد كل من «العلاة» و«العلية»، وهل هما اسمان لجبلين من جبال «طويق» أم أنهما اسمان لمسمى واحد؟

وقال الأستاذ عبد الله بن خميس في موضع آخر من معجمه:

(ويصب في وادي الهدار روافد كثيرة منها: «الدُّخُول» شرق وادي الهَدَّار عند منفسخه من الجبل يتجه رأسه شمالاً.) انتهى.

فهل ياترى! يكون هذا الوادي هو الذي عناه امرؤ القيس؟! لست أدري.

---

(١) صفة جزيرة العرب: ص ٢٩٨.

أما عن «حومل: فيقول مؤلف «معجم اليمامة»:

(حَوْمل... نقى من أنقية الدهناء شمال مدفع «وادي القُبُورِي» في حضن الدهناء، جنوب حبال «الخَبِيثَات» وشرقه زبارة كبيرة تسمى «العُزَيِّمَة».

وهذا غير حَوْمل الذي بعالية نجد الجنوبية المقرون مع الدخول في قول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل

منطقة حومل الدهناء لا حومل عالية نجد.

أليس هنا في حومل الدهناء واد اسمه «الدّخَيْلي» الآن؟!

فلماذا لا يكون قديماً اسمه الدخول، ثم أليس «التَّوضحية» هنا وقد قال: فتوضح فالمقراة. ولم يكن هناك في عالية نجد توضح، ثم أليس هناك سقط لوى بين الدخيلي وحومل الدهناء؟ بلى إنه موجود.

وإذن فما الذي يمنع أن يكون مراد امرىء القيس هنا؟؟.

لقد قام جدل حول هذا الموضوع.. سجلت جزءاً منه في رسم «الدهناء»، وممن يؤيد أن مراد امرىء القيس «حومل الدهناء» أستاذنا حمد الجاسر والأمير محمد ابن سعود الكبير وهو ممن يألف المنطقة وله في التوضحية مزارع.

أما أنا فأرى أن امرأ القيس يقصد حومل عالية نجد لأسباب منها...)[1]

انتهى قوله باختصار، وقد ساق لنا خمسة أسباب تؤيد ماذهب إليه من رأي من أن الدخول وحومل هناك في عالية نجد الجنوبية.

وفي رسم الدهناء قال:

(وهناك تل كبير قريب من مزاليج يسمى «حَوْمَل» بارز معروف مما حدى ببعض الباحثين أن يرى أن امرأ القيس في معلقته يقصده:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل

---

(١) معجم اليمامة: ص ١/ ٣٦٠.

يرى أن «سقط اللوى» هو منعرج الدهناء هنالك، وأن الدخول هو مايسمى «الدّخيلي» شعب من شعاب «النّخْش» جنوب العَرَمَة يسيل على التوضحية، وحومل هو هذا التل الذي ذكرنا، وتوضح المذكور في البيت الثاني هي روضة «التوضحية» هذه، ومع وجاهة ماذكرنا هنا إلا أن القرائن ومسار بناء القصيدة ومنازل آل امرىء القيس وبقية الأعلام الآنفة الذكر، وغير ذلك؛ لا يجعلنا نطمئن إلى هذا القول.

ولعل لنا عودة إلى إشباع هذا الموضوع في بحث مستقل.[1] انتهى كلامه.

التعليق على ما قاله مؤلف "معجم اليمامة":

انظر أيها القارىء الكريم كيف تداخلت علينا بعض المواضع في بلادنا فحملت على محامل شتى؛ فهذا مسمى «الدخول» أدخل في مداخل عديدة، ومسمى «حومل» تحاملت عليه رمال الدهناء شرقي اليمامة.

وقد تبين لنا مما تقدم تعدد الآراء وتباينها عند المتقدمين والمتأخرين. وأنا مع الأستاذ عبد الله بن خميس في أن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته ليست في أرض اليمامة؛ إلا أني أخالفه الرأي بأنها في عالية نجد الجنوبية كما استقر في أذهان كثير من الباحثين في زمننا هذا. وكان بودي أن الأستاذ عبد الله عاد -كما وعد - وخص هذا الموضوع ببحث مستقل؛ إذ لو عاد لأتى بما لم يأت به غيره، ولكني أظنه لم يفعل هذا.

وبعد إيرادي لما تجمع لي من أقوال المتقدمين والمتأخرين لم يتضح لي من بينها ما يحدد لنا مكاني الدخول وحومل اللذين عناهما امرؤ القيس.

ولذا فقد استحسنت عدم إبداء رأي بشأن هذين الموضعين إلا بعد توفر أمور منها:

---

(١) معجم اليمامة: ص ١/ ٤٤٠.

١- التعرف على منازل بني كندة التي نشأ فيها امرؤ القيس والتي كانت فيها أماكن لهوه مع أصحابه وصويحباته.

٢- الاستنباط من جو القصيدة ومسار بنائها، وذلك يتضح من أقوال شراح المعلقة وأقوال علماء اللغة.

٣- محاولة التعرف على الجهة التي تقع فيها بعض المواضع التي ورد ذكرها في المعلقة.

وبعد أن أوردت بين يدي القارىء أقوال المتقدمين والمتأخرين عن الدخول وحومل ومناقشة ما احتاج الأمر إلى مناقشته منها؛ فإنه يحق للقارىء أن يتساءل ويقول:

إذاً أين يقع كل من الدخول وحومل اللذين عناهما امرؤ القيس؟!

فأقول: قبل أن نُطوِّف في «جزيرة العرب» لنختار من بين المواضع التي يطلق عليها مسمى الدخول وحومل ونقول إنها الموضعان اللذان ذكرهما امرؤ القيس الكندي في معلقته، فإنه من الأجدر بنا أن نحدد أولاً منازل بني كندة في نجد خلال تلك الفترة؛ لأن هذا التحديد يساعدنا في التعرف على الدخول وحومل، والمواضع الأخرى التي ورد ذكرها في المعلقة.

وفيما يلي الكلام عن منازلهم في نجد، وجو قصيدة امرىء القيس:

منازل بني كندة في نجد

كان لقبيلة كندة التي منها شاعرنا امرؤ القيس بن حجر الكندي دور كبير في الأحداث التي جرت في «جزيرة العرب» في العصر الجاهلي.

ولم تسعفنا المراجع القديمة بمعلومات وافية ودقيقة عن بني كندة، وكل ماورد عنهم بعض روايات متفرقة هنا وهناك استقاها أصحابها من كتب لم تصل إلينا مثل:

كتاب «ملوك كندة» وكتاب «الكلاب الأول والكلاب الثاني» لابن الكلبي. ولعل الحروب المتتابعة التي جرت بين القبائل التي تسكن وسط الجزيرة وشمالها؛ أضعفت من قوتها؛ مما ألجأ العقلاء من هذه القبائل إلى السعي فيما من شأنه جمع ما تشتت من أمرهم وذلك بالتحالف أو تمليك من يرونه قادراً على الحفاظ على توحيد كلمتهم والعودة بهم إلى سابق قوتهم؛ لهذا بدأ ملوك كندة يلعبون دوراً في الأحداث التي جرت قبل مجيء الإسلام.

ولعل بداية زعامتهم بـ «حجر بن عمرو» الملقب بآكل المرار حيث استطاع بمن معه من قبائل ربيعة أن يتغلب على بلاد المناذرة في شمال الجزيرة.

وبما أننا هنا لانؤرخ لملوك بني كندة، وإنما نسعى إلى التعرف على مساكنهم في هذه الحقبة من الزمن؛ فسأكتفي بموجز لرواية «أبي عبيدة» التي أوردها في كتاب «النقائض» حيث قال وهو يتحدث عن يوم «الكلاب الأول»: (... وَثَبَتْ ربيعة على المنذر الأكبر بن ماء السماء وهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة فأخرجوه فخرج هارباً منهم حتى مات في إياد وترك ابنه المنذر بن المنذر فيهم وكان أرجا ولده عنده فانطلقت ربيعة إلى كندة فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي فملكوه على بكر بن وائل وحشدوا له وقاتلوا معه فظهر

على ماكانت العرب تسكن من أرض العراق. وأبى قباذ -ملك فارس- أن يمد المنذر بجيش فلما رأى ذلك المنذر كتب إلى الحارث بن عمرو إني في غير قومي وأنت أحق من ضمني واكتنفني وأنا متحول إليك، فحوله إليه وزوجه ابنته هنداً.

ففرق الحارث بنيه في قبائل العرب. فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل، وحنظلة بن مالك، وبني أُسَيِّد، وطوائف من بني عمرو بن تميم والرِّباب.

وصار معدي كرب - وهو غلفاء - في قيس. وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب، والنمر بن قاسط، وسعد بن زيد مناة.. فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو تشتت أمر شُرحْبِيل وسلَمة وتفرقت كلمتهما ومشى الرجال بينهما فكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهما وتفاقم أمرهما حتى جمع كل واحد منهما لصاحبه الجموع وزحف إليه بالجيوش فسار شرَحْبِيلُ في بني بكر ومن معه من القبائل فنزلوا الكُلاب وهو ماءٌ بين الكوفة والبصرة وهو من اليمامة على سبع ليال أو نحوها، وأقبل سلمة بن الحارث في تغلب والنمّر ومن معه من القبائل وفي الصنائع يريدون الكلاب.

وكان نصحاء سلَمَة وَشُرَحبيل نهوهما عن الفساد والتحاسد وحذروهما الحرب وعثراتها وسوء مغبتها فلم يقبلا ولم ينزجرا وأبيا إلا التتابع واللجاجة...

فاقتتل القوم قتالاً شديداً وثبت بعضهم لبعض حتى إذا كان في آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب وصبر أبناء وائل، بكر وتغلب ليس معم غيرهم حتى إذا غشيهم الليل نادى منادي سلَمة من أتاني برأس شُرَحْبيل فله مائة من الإبل، وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم ففروا عنه وعرف أبو حنش مكانه... فلما انتهى إليه رآه جالساً وطوائف من الناس يقاتلون حوله فطعنه بالرمح ثم نزل إليه فَاحْتَزَّ رأسه وأتى به سلمة وألقاه إليه...) انتهى قوله باختصار (ص ١٠٧٣/٢ االنقائض).

ولسنا بصدد تضارب الروايات الواردة في هذا الشأن وتحليلها؛ وإنما يكفينا مايدلنا على الأماكن التي كان يسكنها ملوك كندة.

ويبدو لي من أحداث يوم «الكلاب الأول» أن سَلَمَةَ وشُرَحْبيل والقبائل التابعة لهما كانوا مقيمين في الجهة الشمالية من نجد، ولذا اختاروا ماء «الكُلاَب» الواقع بين الكوفة والبصرة مكاناً لِلِّقاء الذي فُصلِت فيه المعركة بين الأخوين المتحاربين.

ولاشك أن التعرف على أماكن تجمع القبائل ومعرفة المواضع التي حدثت فيها أيامهم من الأمور التي يعول عليها أي باحث يريد التعرف على الأماكن التاريخية والجغرافية. وقد تمكنت بعون من الله من التفريق بين المكانين اللذين جرت فيهما أحداث معركتي الكلاب «الأول» والكلاب «الثاني» وذلك في كتابي «الثاني» من سلسلة «نظرات في معاجم البلدان»، وقد خفي أمر التفريق بين هذين المكانين على كثير من الباحثين في وقتنا الحاضر، وقد يكون سبب هذا الخفاء أن كلاً منهما يسمى بـ «الكُلاَب» فحسبوا أن المعركتين حدثتا في مكان واحد بينما الصحيح عكس هذا.

ومن الروايات التاريخية ندرك أن «آكل المرار» كانت منازله في شمال الجزيرة قريباً من ملوك فارس وقد فرق بنيه في قبائل العرب حتى ضعف أمرهم وتفرقت كلمتهم.

وملوك كندة ليس لمقرهم مكان محدد؛ فهم يتنقلون مع القبائل في ديارهم في الأماكن التي يجودها القطر، فأين وجد النبات والعشب حلُّوا.

وقد اشتهر من المنازل التي يقطنها ملوك كندة:

«بطن عاقل» الذي دفن فيه جد امرىء القيس، و«وسط عالية نجد» وبالتحديد مكان الحمى «حمى ضرية» وما كان منه غرباً.

وقد قتل والد شاعرنا امرىء القيس غرباً من «حمى ضرية» عند أبرقين سميا فيما بعد «أَبْرَقي حُجر».

ولعلنا نلقي نظرة على ماقاله علماء البلدان عن منازل بني كندة:

أولاً: قال ياقوت الحموي:

(شَرَفٌ: بالتحريك، وهو المكان العالي؛ قال الأصمعي:

الشرف كبد نجد، وكانت منازل بني آكل المرار من كندة الملوك، قال: وفيها اليوم حمى ضرية...)[1].

وفي رسم «شعبى» قال ياقوت:

(وقال نصر: شُعَبَى جبل بحمى ضرية لبني كلاب؛ قال جرير يهجو العباس ابن يزيد الكندي:

سَتَطْلُعُ من ذرى شُعبَى قواف ... على الكنديّ تَلتَهبُ التِهَابا

أَعَبْدٌ حلَّ في شعبى غريباً ... أَلُؤماً لا أبالك واغترابا

قال ابن السيرافي: يقول: أنت من أهل شعبى ولست بكنديّ، أنت دعيّ فيهم أي عبد لهم حملت أمك بك في شعبى...)[2]

ثانياً: قال الهجري:

(واحتفر عبد الله بن مطيع العدوي حفيرة هي في أيدي الضباب على بريد من ضرية على طريق أُضاخ للمدينة في ناحية شُعَبَى، وكان الكِنْديُّون بشعبى، وماؤهم يسمى الثُّرَيا ومنهم العباس بن يزيد الذي هجاه جرير بقوله:

أَعَبداً حَلَّ في شُعَبى غَريباً ... أَلُؤْماً لا أَبَالَك واغْتِرابا

إذا احَلَّ الحَجِيجُ على قُنَيْعٍ ... يَدِبُّ اللَّيْلَ يَسْتَرِقُ العِيَابا

وقُنَيْعُ: ماء للعباس الكندي على ظهر محجة أهل البصرة من ضرية، وبينه وبينها للمصعد إلى مكة تسعة أميال في دارة من دارات الحمى يقال لها دارة عَسْعَسٍ، فلما أُجْلِي الكِنْديُّون عن قنيع تنازعت بنو أبي بكر بن كلاب وبنو جعفر... الخ)[3]

---

(١) معجم البلدان: ص٣/ ٣٣٦.

(٢) معجم البلدان: ص ٣ /٣٤٦.

(٣) التعليقات والنوادر: ١٤٠٨/٢.

وقال البكري وهو يتكلم عن «حمى ضرية» مثل هذا القول، ويبدو لي أنه نقله من الهجري. انظر صفحة (٨٦١) من كتاب «معجم ما استعجم».

ثالثاً: قال أبو اسحاق الحربي وهو يصف طريق الحج البصري:

(ثم جَدِيلة: عن علي بن محمد الهاشمي عن أبيه أن أبرقا حُجْرٍ من جديلة على أربعة عشر فرسخاً، وهما جبلان يكتنفان الطريق، كان نزل عليهما حُجْر أبو امرىء القيس الكندي الشاعر، وكان ملكاً، فقتله بنو أسد بذلك الموضع.)[1]

رابعاً: قال الشيخ حمد الجاسر في الصفحة السابعة من المجلد الرابع من مجلة العرب، وهو يتحدث عن «دارة جلجل»:

(على أننا نجد قولاً للأصمعي، وهو يحدد موضع مملكة حُجْر الكندي بنجد بقوله:

ما بين طَمِيَّة إلى حمى ضرية إلى دارة جلجل من العقيق إلى بطن نخلة الشامية...). انتهى.

* ما يستفاد من النصوص المتقدمة:

كأني ببني كندة عندما كان الأمر بيدهم؛ اختاروا من أرض نجد أخصبها وأطيبها مرعى، وهي منطقة الحمى «حمى ضرية» وماجاورها، وما كان عنها شمالاً وشمالاً شرقياً.

فهذا جَدُّ شاعرنا «امرؤ القيس الكندي» قتل في «بَطْنِ عَاقِل» ودفن هناك، أما والده «حُجْر» فقد قتله بنو أسد بالأبْرَقَينَ، اللذين سميا باسمه حيث يقال لهما «أبْرَقَا حُجْر».

وقد وجدت صعوبة في تحقيق هذين الأبرقين عند تحقيقي لطريق الحج البصري؛ لأن النصوص القديمة التي تحدثت عنهما كانت متضاربة، ومع هذا

---

(١) كتاب المناسك: ص ٥٩٧

تمكنت بتوفيق الله من العثور عليهما، وحددت مكانهما تحديداً دقيقاً في كتابي عن تحقيق «طريق الحج البصري» فارجع إلى ماقلته عنهما هناك.

وهذان الأبرقان واقعان جهة الغرب من «حمى ضرية» غير بعيد منه.

ونجد في النصوص المتقدمة أن جبل «شُعَبَى» الواقع في الحمى وما كان مجاوراً له من منازل كندة؛ فقد ذكر أن ماء «الثُّريَّا» الواقع في شعبى من مياههم، وكذلك ماء «قُنَيع».

وهذه المواضع واقعة في وسط عالية نجد، وقد سماها الأصمعي «كَبد نجد» حيث قال:

«الشَّرَفُ كبد نجد، وكانت منازل بني آكل المرُار من كندة». انتهى:

ومعروف أن الشَّرَف بين وادي «التَّسْرِير»، وبين وادي «الجريب» وهو ما يسمى في وقتنا الحاضر وادي «الرِّشَاء».

فإذا عرفنا أن أبناء «آكل المُرَار» موزعين على عدد من القبائل مثل: بكر وتغلب، وطوائف من بني تميم وكذلك بني أَسَدٍ، وغيرهم؛ عرفنا أن منازل «بني كندة» التي كانت لهم فيها صولات وجولات؛ تمتد من ضفاف وادي الرِّشاء -- التسرير قديماً- حتى منازل بني أسد شمالاً في بلاد القصيم ومنازل بني تميم في منطقة القصيم وما صاقبها من جهة الشرق والشمال الشرقي، وكذلك منازل بكر وتغلب الواقعة شمالاً من منازل هذه القبائل.

وقد ورد أن امرأ القيس عندما طرده والده اتجه إلى منازل عمه «شرحبيل» وكان ملكاً على قبيلة بكر بن وائل، وعلى طوائف من قبيلة بني تميم، وهؤلاء مساكنهم تقع في شمال شرق نجد؛ ولذا نجد المعركة التي نشبت بين «شرحبيل» وأخيه «سَلَمَة» ومن معهما من القبائل دارت عند ماء «الكُلاَب» الواقع في شمال الجزيرة؛ مما يوحي بأن أكثر المواضع التي مَرَّ بها امرؤ القيس ووردت في شعره تقع في وسط وشمال جزيرة العرب وليس في جنوبها.

وقال صاحب «العقد الفريد» صفحة (٩٣/٨) وهو يتكلم عن «يوم دارة جُلْجل»: (وكان الفرزدق أروى الناس لأخبار امرىء القيس وأشعاره، وذلك أنَّ امرأ القيس رأى من أبيه جفوة، فلحق بعمه شرحبيل بن الحارث، وكان مسترضعاً في بني دارم فأقام فيهم، وهم رهط الفرزدق.)

إذا عرفنا ذلك فإن بحثنا عن الأماكن الواردة في معلقة امرىء القيس سيكون في هذه النواحي لافي عالية نجد الجنوبية؛ إذ لم يرد - فيما قرأته - نص واحد قال بأن هذه الناحية من مساكن كندة، كما تبادر إلى أذهان بعض الباحثين في زمننا الحالي.

هذا بالنسبة لمنازل بني كندة، أما عن جو القصيدة ومسار بنائها فأقول:

* جو مطلع القصيدة:

لاشك أن امرأ القيس كان في أحد أسفاره عندما مَرَّ بـ «سقط اللوى» وهو أحد الأمكنة التي قضى فيها فترة من فترات لهوه وأنسه أيام نزوة الشباب المليئة بالفراغ والدَّعَة، فتذكر ما جرى له مع محبوبته في هذا المكان؛ فاستوقف صاحبيه ونزل عن راحلته يتحسس أطلال ونُؤي المنازل، فوجدها دارسة بعد أن كشف عنها تعاور هبوب الرياح فَتَسَمَّر في مكانه ليستعيد الذكريات، وبرهافة حسّ الشاعر اغرورقت عيناه بالدموع باكياً على مافات من لهو تمتع به غير مُعْجَل في تلك المرابع، فجره هذا الموقف إلى تذكر أماكن أخرى مماثلة مما زاد من بكائه وتوجعه. وقد نصحه من معه بأن لا يهلك نفسه حسرة على مافات ولن يعود، وأن عليه الصبر والتجلد.

ولكنه استمر في تذكره وبكائه لعل العبرات تشفي ماهاج في نفسه.

ولعل النصح جعله يرعوي ليفكر ويسائل نفسه بقوله:

هل ينفع رَسْمٌ دَارِسٌ ويعول عليه؟

إلا أن حسرته كانت شديدة؛ مما حدا به إلى الاعتراف بمقارفاته وسرد

أسرار أيامه الخوالي.

فذكر لنا صاحبتيه «أم الحويرث» وجارتها «أم الرَّبَاب»، وما جرى له معهما بـ «مَأْسَلٍ».

كما ألمح عن قصته مع صويحباته في «دارة جُلْجُل» ومع محبوبته «عنيزة» وغيرها.

وهذا التحسر والتوجع تفتق عن نظم قصيدة أصبحت من القصائد المشهورات المسماة بالمعلقات.

ولندع امرأ القيس في حسرته؛ لنأخذ من جو قصيدته ما يفيدنا في تحديد الأماكن التي ذكرها وأطال الوقوف بينها مثل:

الدخول، وحومل، وسقط اللوى، وتوضح، والمقراة، ودارة جلجل، وغير ذلك من المواضع.

فمن الأمور التي تجعلنا نطيل الوقوف أمام مطلع هذه المعلقة؛ أن شُرَّاحها ومن عنوا بدراستها، سواء المتقدمين منهم أو المتأخرين، لم يحددوا لنا المواضع التي ذكرها بشكل دقيق؛ بل كان الاختلاف بينهم ظاهراً.

وهذا أمر يدعونا إلى إعادة النظر والاستنتاج من ثنايا أبيات القصيدة ومن سيرة امرىء القيس والأماكن التي كان يرتادها ويتخذ منها مسرحاً للهوه ومجونه؛ لعلنا بذلك نتمكن من تحقيق الأماكن الواردة في المعلقة على أساس سليم مستند إلى دلائل معقولة، لا على أساس من الحدس والتخمين، فأقول:

١- ذُكِرَ أن «كلیباً» و«مهلهلاً» ابني ربيعة هما خالا امرىء القيس، وأنه نجدي الولادة والمنشأ، وأن أباه «حُجر بن الحارث» كان ملكاً على بني أسد، وأن نطاق ملكه يمتد من جبل «طَمِيَّة» المعروف في منطقة القصيم حالياً إلى ماعرف فيما بعد بـ «حمى ضرية» إلى مشارف الحجاز غرباً.

٢- ورد أن امرأ القيس عندما جفاه والده وطرده توجه إلى عمه «شرحبيل بن

الحارث» الذي كان نطاق حكمه واقعاً إلى جهة الشمال الشرقي من نطاق حكم أخيه «حُجْر» والد الشاعر امرىء القيس.

ومعنى هذا أنه قضى فترة من سني حياته في تلك النواحي.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن القبائل العربية كثيراً ما تختلط في مكان واحد إذا جاده المطر، وذلك تتبعاً للعشب والكلأ، كما هو الحال حتى وقتنا الحاضر.

٣- ورد أن امرأ القيس عندما فارق والده أصبح لا يلتزم بالإقامة في مكان محدد؛ بل كان همه التجول في البراري ومعه أتباعه ممن هم على شاكلته من الذين لاهم لهم من الحياة إلاَّ مطاردة الصيد وقضاء أوقات اللهو والمجون، وهم من قبيلتي «طيء» و«كلب» ومنازل هاتين القبيلتين تقع شمالي نجد، ولهذا نجد امرأ القيس يكثر من ذكر الأماكن الواقعة في وسط «عالية نجد» وما كان شمالاً منها.

٤- ذكر أن أن صاحبتي امرىء القيس اللتين ذكرهما بقوله:

كـدأ بك من أم الحـويرث قـبلهـا وجـارتهـا أم الرباب بمـأسل

كانتا من قبيلة «كلب» مما يدل دلالة واضحة أن «مـأسلاً» الوارد ذكره في المعلقة يقع شمال عالية نجد وليس جنوبها كما قيل.

ولهذه الأمور مجتمعة سيكون بحثي عن الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس في وسط عالية نجد وما كان شمالاً وشمالاً شرقياً من العالية.

*** علماء اللغة، وكلامهم عن الأماكن الواردة في المعلقة:**

عندما يستعصي عَلَيَّ تحقيق موضع من المواضع، ولم يتضح لي مكانه من أقوال علماء البلدان؛ كثيراً ما ألجأ إلى أقوال علماء اللغة، فأجد من بين أقوالهم ما يرشدني إلى الوصول إلى تحقيق الموضع الذي أريد تحقيقه.

وفيما يختص بكلامهم عن الأماكن الواردة في معلقة امرىء القيس؛ وجدتهم لا يقلون حيرة في هذا الشأن عن علماء البلدان.

وناهيك بأقوال النحاة واختلافاتهم وتشعب آرائهم واعتداد كل ذي رأي برأيه ومع كثرة ما قرأت لهم في هذا الشأن؛ فإني لم أظفر من وراء كلامهم بطائل يذكر. ولن أطيل البحث بذكر ما قرأته لهم ولعلي أختار للقارىء الكريم أنموذجاً من اختلافهم فأحيله إلى ما أورده صاحب «خزانة الأدب» في الشاهد «٨٨٧» صفحة (٦) من المجلد (١١).

وشاهده هذا هو أول بيتين من معلقة امرىء القيس.

وانظر ما جرى من خلاف حول عطف امرىء القيس بـ «الفاء» في قوله:

«بين الدَّخُول فَحَوْمَلِ»

كما أحيل القارىء إلى ماقاله شراح «المعلقات» عن الأماكن التي وردت في المعلقة مثل:

١- شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي.

٢- شرح القصائد المشهورات، لابن النحاس.

٣- شرح القصائد السبع الطوال، للأنباري.

٤- شرح المعلقات السبع، للزوزني:

ومع هذا الاختلاف والتشعب في الآراء؛ فإن الباحث المدقق يخرج من أقوالهم بأقوال جيدة، إذا قارنها مع ماأورده المؤرخون وعلماء المنازل والديار تساعده - بتوفيق الله - على تحديد المكان الذي ينوي تحقيقه، وقد فعلت هذا. وسأذكر بعضاً من هذه الأقوال في أماكنها المناسبة.

ولعلي بما تقدم أوضحت معالم الطريق الذي سنسلكه عندما نتوجه في الرحلات الميدانية لتحقيق تلك الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس.

ولنعد إلى استئناف الكلام عن الدخول وحومل:

تحقيق الدخول وحومل

قبل أن أتجرأ وأنقل الدَّخُولَ وحَوْمَلَ من جهة الجنوب من عالية نجد إلى جهة الشمال، وأحولهما من جبال إلى رمال؛ أجدني مضطراً للاعتذار من الإخوان الذين كنت أقضي معهم في فصل الربيع من كل عام بضعة أيام بين الدخول ومايسمى بـ «حومل» الواقعين في عالية نجد الجنوبية، حيث عَزَّ على البعض منهم أن أتكلم ولو على سبيل التشكيك في أنهما غير الموضعين اللذين ذكرهما امرؤ القيس في معلقته.

ولا أشك في أنهم سيقتنعون عندما يقرأون ما كتبته هنا، وأنني قد أرشدتهم إلى الأماكن الصحيحة التي ذكرها امرؤ القيس. لذا أقول:

ذكرت في ما مضى من القول: أن «الدخول» الواقع في عالية نجد الجنوبية هو أحد المواضع المسماة بالدخول في جزيرة العرب ولكنه ليس الدخول الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته لأنه لم يرد نص واحد من أقوال قدماء المؤرخين وعلماء المنازل والديار يدل على ذلك؛ ولذا فإن تحقيقي للدخول سيكون على ضوء ما ورد في أقوالهم حول الأماكن التي ذكرها امرؤ القيس مقترنة مع الدخول وحومل مثل: توضح والمقراة، وغيرهما؛ إذ أن المعول عليه في تحقيق الأماكن التاريخية والجغرافية هو ماورد بشأنها من أقوال القدماء من شعر ونثر، ومتى توفرت لدينا تلك النصوص فإنه لا يجوز لنا العزوف عنها واستبدالها باجتهادات تؤدي في الغالب إلى الوقوع في الخطأ.

من استقراء النصوص القديمة ترجح عندي أن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في البيتين الأول والثاني من معلقته؛ موجودة في الناحية الواقعة بين «حزن بني يربوع» وبين رمل «الشِّيحَة» المسمى حالياً «عرق المظهور» وبتحديد

أكثر بين بلدتي «أم عشر» و «سامودة» شرقاً وبين بلدة «قبة» غرباً، وتقع هذه المساحة من الأرض بين خطي العرض ١٥َ ٢٧ْ و ٠٠َ ٢٨ْ شمالاً.

وبين خطي الطول ٠٠َ ٤٤ْ و ٠٠َ ٤٥ْ شرقاً.

وإذا ألقينا نظرة على الخريطة نجد مايسمى بـ «عرق الدّخول» و «خبة الدخول» و «خشم الدخول» وهذه المسميات متجاورة.

والدّخول: عبارة عن عرق رمل يقع شمال شرق بلدة «قُبَة» على بعد خمسة وأربعين كيلاً تقريباً.

ومجرد وجود موضع يسمى «الدّخول» حتى الآن في هذه الناحية لا يعطينا الحق بأن نقول إنه هو «الدخول» الذي قصده امرؤ القيس؛ بل لابد من وجود موضع بالقرب منه يسمى «حومل» وكذلك وجود كل من توضح والمقراة غير بعيد منهما، وأن نطبق النصوص الواردة على تلك المواضع، ومتى توفرت هذه الشروط أمكننا القول بأن هذا هو الدخول الذي ذكره امرؤ القيس. فأين حومل ياترى الذي يقع «سقط اللوى» بينه وبين الدخول؟

للإجابة عن هذا السؤال، لابد من تجميع النصوص والقيام برحلات ميدانية لتطبيقها على واقع الأرض.

حَوْمَلُ:

سبق أن أوردت النصوص التي ذُكر فيها حومل وكذا أقوال المتقدمين والمتأخرين ومناقشة ما دعت الحاجة إلى مناقشته منها.

وهنا سأورد مختصراً لما تَجَمَّعَ لدينا من نصوص حول حومل لنتعرف من خلالها على كنه هذا الموضع الذي سنشد رحالنا للبحث عنه، وفيما يلي ما توفر لي من نصوص أرى أنها تقربنا من العثور عليه:

١- لم يأخذ الباحثون في وقتنا الحاضر بما قاله ياقوت أو الهمداني من أن

الدخول وحومل، أو توضح واقعة في ناحية اليمامة، وكذلك لم يلتفتوا إلى قول السكري المتقدم من أن هذه المواضع واقعة جميعها في حمى ضرية بين إمَّرَة وأسود العين، ولا بقول من قال إن الدخول وحومل مواضع في الشام.

ولهم الحق في عدم الأخذ بهذه الأقوال لمجانبتها الصواب.

ولعل تعدد الأقوال وتباينها هو ماجعل أمر هذه المواضع يخفى ويشكل على الباحثين.

ونحن في بحثنا هذا بحاجة إلى نص قديم يحدد لنا مكان موضع واحد من المواضع التي ذكرها امرؤ القيس، لأن هذا الموضع سيقودنا إلى تحديد المواضع الأخرى ما دام قريباً منها.

ولعل أوضح نص هو ما أورده البكري في كتابه معجم ما استعجم (صفحة ٣٢٤) حيث قال:

(... عن أشياخ من بني تميم قد أدركوا الجاهلية قالوا:

وجدنا بالجزيرة زمن عمر بن الخطاب شيخاً قديماً قد كُفَّ بصره، فسألناه عن مياه بالبادية، فقال:

هل وجدتم «توضح» التي يقول فيها امرؤ القيس:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

وهي بين رمل السَّبخة وأود..) انتهى باختصار.

هذا النص يحدد لنا أحد المواضع التي ذكر امرؤ القيس أن منزل حبيبته واقع بينها. وهذا الشيخ المسن حدد لنا مكان «توضح» في حَيِّز يقع بين رمل السَّبخة وأُود.

وسأتكلم عن هذا النص وعن رمل السَّبخة وأُود عند الكلام عن «توضح». وموقع توضح هذه شرق رمال الدهناء ممايلي بلدتي «أم عشر» و «سامودة» وهذا المكان لا يبعد كثيراً عن «عرق الدخول» الذيَ حددنا مكانه؛ الأمر الذي يوحي بأن «حومل» ليس بعيداً عن هذين الموضعين.

٢- قال ياقوت الحموي في رسم «حَوْمل»:

(وحومل: اسم رملة تركب القُفَّ، وهي بأطراف الشقيق وناحية الحَزْن لبني يربوع وبني أسد...)

هذا النص يفيدنا أن حَوْمَل رملة تركب قُفاً يقع في نطاق المساحة التي حددتها للبحث فيها عن الدخول وحومل.

٣- قال ياقوت في رسم أُود:

(كأنها ظبية بكر أطاع لها ... من حَوْمَل تَلَعات الجَوِّ أو أُودا

وقد ذكر صاحب الأغاني أن قائل هذا البيت هو:

ربيعة بن مقروم الضبي. (انظر صفحة ٨٩/٢٢) من كتاب الأغاني.

وهذا البيت يفيدنا بقرب حومل من «أُود» ويقويه قول الشيخ المتقدم أن توضح بين رمل السَّبخة وأود.

٤- قال مِخْلَبٌ المجاشعيّ:

أَفَائتَتي كَلْبٌ ولم أَحْوِ سَرْحَهَا ... عَلاَمَ إذاً في الحرب سُمِّيتُ مِخْلَبَا

جَلَبْتُ إليها الخيلَ حتى شَلَلْتُهَا ... بَحَوْمَلَ فالمِقْراةِ شَلاً عَصَبْصَباً[1]

هذا القول يفيدنا بقرب حومل من المقراة. وهما بالفعل قريبان من بعضهما.

٥- قال ضابيء بن الحارث بن أرطاة البُرجُميّ:

كأني كَسَوْتُ الرَّحْل أَخْنَس نَاشطاً ... أَحَمَّ الشَّوَى فَرْداً بِأَجْمَادِ حَوْمَلاَ

رَعَى من دَخُولَيْها لُعَاعاً فَرَاقَهُ ... لَدُنْ غُدوَةً حتى تَرَوَّحَ مُوصِلا

فَصَعَّدَ في وَعْسَائها ثُمَّت انتحى ... إلى أَحْبُلٍ منها وجاوز أَحْبُلا

فَبَاتَ إلى أَرْطَاة حِقْفٍ تَلُفُّهُ ... شَآمِيَّةٌ تُذْرِي الجُمَانَ المُفصَّلا

وبَاتَ وباتَ السَّارِياتُ يُضفنَه ... إلى نَعِجٍ من ضائِنِ الرَّمْلِ أَهْبَلا[2]

---

(١) كتاب الوحشيات: لأبي تمام: ص ٩٥.

(٢) كتاب الأصمعيات: ص١٨٢.

في هذه الأبيات أوضح لنا الشاعر أن حومل ودخوليه رمال ذات أحْبُل وأن نباتها الأرطى. ونحن نتحرى عن الدخول وحومل في رمال الدهناء قرب حزن بني يربوع من بني تميم، وقائل هذه الأبيات من البراجم من تميم.

٦- نسب إلى «حومل» يوم من أيام العرب المشهورة ويسمى «يوم حومل» أو «يوم طَلَحاتِ حَوْمَل».

وقد أورد أبو عبيدة في كتاب «النقائض» قصيدة عَميرة بن طارق التي منها هذا البيت:

وغِلْمَتَنَا السَّاعِينَ حول مُلَيْحَةٍ وحَوْمَلَ في الرَّمضاء يوماً مُجَرَّما.[١]

كما ذكر أن المقعاس قَتلَ يوم حومل عصمةَ بن النحار.[٢]

وسأتكلم عن هذه المعركة التي جرت عند طلحات حومل، وذلك عندما نقوم بالرحلة الميدانية التي سنحقق فيها موقع حومل وطلحات حومل إن شاء الله.

٧- لعل الشيخ حمد الجاسر انفرد من بين مؤلفي عصرنا فلم يقل: إن حَوْملَ الذي ذكره امرؤ القيس هو ذاك الجبل الواقع في عالية نجد الجنوبية الذي أطلق عليه اسم حومل. وإنما تَلَمَّسَ حومل في رمال الدهناء، ويبدو لي أن مكانه الصحيح هو في تلك الرمال. إليك ما قاله الشيخ حمد الجاسر عن حومل: قال في استدراك له، ذيل القسم الثاني من معجم شمال المملكة ما نصه: (٨-ص ١٤٧ ورد اسم «حومل» في شعر ذكر فيه أُود، مما يدل على تقارب الموضعين، وكان يحسن إيراد اسم «حومل » في موضعه من حرف الحاء ولكنه لم يرد، وحومل اسم يطلق على مواضع، ولكن القريبة من أود تقع شرق الينسوعة «بريكة الأجْرَدي» بقرب الخبراء على ماجاء في خبر

---

(١) كتاب النقائض: ص١/٥٤.

(٢) كتاب النقائض: ص ٢/٥٨٠.

إغارة بني وائل على بني يربوع في خبر أورده صاحب «النقائض» والبكري في «معجم ما استعجم».[1]) انتهى.

أقول: إن الشيخ حمد لم يصرح لنا بأن «حومل» الذي تكلم عنه هو الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته، ومع هذا فأرى أن ما تكلم عنه الشيخ هو حومل الذي نبحث عنه نظراً لقربه من «الدخول» الواقع عنه شمالاً غير بعيد لاسيما وأن «توضح» و «المقراة» تقعان شرقاً منهما عند منقطع الرمال، وكذلك اللوى.

الرحلات الميدانية:

بتاريخ ١٤١٧/٧/٢٥هـ قمت برحلة ميدانية استطلاعية؛ الغرض منها التعرف على الأماكن والأعلام التي قرأت عنها في النصوص من أقوال علماء البلدان ومما قرأته من معارك العرب وأيامهم في الجاهلية، وقد صحبني في هذه الرحلة الأخ الفاضل الشيخ محمد بن عثمان الفارس.

عندما ترآءت لنا بلدة «قبة» الواقعة على خط العرض ٦ً ٢٤َ ٢٧ْ وخط الطول ١٧ً ١٩َ ٤٤ْ كان لنا جلسة على كثبان عرق المظهور الواقع عنها غرباً.

وفي هذه الجلسة استعدت ما قرأته عن «قِبَة». وأملي أن يعذرني القارىء الكريم إن قطعت عليه الكلام عن ما جئنا من أجله وهو تحقيق حومل والدخول؛ فقد أخذت على نفسي أن أتكلم عن أي موضع أمر به وأرى أن للكلام عنه فائدة تثري معجم بلادنا الجغرافي، لاسيما وقد حصل تداخل بين مسمى «قبة» و«الوقبى» فظنهما البعض اسمين لموضع واحد.

وقد نشر مؤخراً في العدد ١٠٤٨٣ من جريدة «الرياض» الصادر بتاريخ ١٤١٧/١٠/٢٨هـ تعقيب بقلم الأخ تركي بن إبراهيم القهيدان جاء فيه:

---

(١) معجم شمال المملكة: ص ٢/ ٨٦٠ وانظر صفحة ٢/١٤٢٠ من المرجع نفسه.

(قـرأت مـا نشـر بجـريدتكم الموقـرة في العـدد رقم ١٠٤٣٨ بتـاريخ ١٤١٧/٩/١٢هـ..

تحت عنوان:«قبة إحدى محطات طريق الحج العراقي» وذكر ما نصه:

«يقول الأستاذ محمد بن ناصر العبودي في كتابه معجم بلاد القصيم نقلاً عن لغدة الأصفهاني أن اسم قبة القديم «الوقبى» بألف مقصورة وواضح أنها ماء قريب من الينسوعة في مهب ريح الشمال منها عن يمين الصاعد من حاج البصرة إلى مكة المكرمة». أحب أن أوضح أن الوقبى غير قبة... والشيخ العبودي استدل بقول لغدة الأصفهاني.

الصواب ما ذكره الظفيري «الوقبا: من مياه الظفير - من الطوال - ولا تزال معروفة، ولا نعرف ما يسمى بهذا الاسم غيرها.» يقول حمد الجاسر: «فات الأخ الشيخ العبودي أن قبة لا تقع في مهب الشمال من بريكة الأجردي - الينسوعة- بل تقع جنوب غرب الأجردي بنحو ٣٨كم، أما الوقبى فتقع شمال شرق الأجردي على بعد نحو ١٦٢كم...) انتهى تعليقه باختصار.

وفي هذه الاستراحة سأحاول أن أفك هذا التداخل بين «الْوَقْبَى و«قبَة» فأقول:

إن مهمة تحقيق المواضع التاريخية والجغرافية تحتاج إلى تظافر الجهود، ولا لوم على أي باحث لم يحالفه الصواب في تحقيق أي من المواضع التي يتعرض لتحقيقها؛ نظراً لتغير المسميات القديمة وتضارب النصوص أحياناً.

قال صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يعدد مياه بني جندب من بني تميم:

(فلهم اليَنْسُوعَة. والوَقْبى، وهي ماءة قريبة من الينسوعة في مهب الشمال منها عن يمين المصعد.) انتهى.

وقد علق شيخنا حمد الجاسر بقوله: «في الأصول الرقبى - بالراء تصحيف - ولا يزال هذا المنهل معروفاً في شرقي نجد على الحدود العراقية.»

انتهى تعليقه.

وأقول:

قد يكون ما ورد في الأصول هو الاسم الصحيح لهذا الماء الواقع شمال الينسوعة غير بعيد منها، أما الوقبى فهي كما ذكر الشيخ في شرقي نجد قرب الحدود العراقية وقد يكون في كلام الشيخ حمد سقط، وإلاّ فما أبعد الوقبى عن الينسوعة.

وهناك آبار وقفت عليها تقع شمال «الينسوعة»- بريكة الأجردي- وهي على ضفة واد يدفع في أسفل «الأجردي» وهي آبار ضيقة الأفواه مطوية، وتسمى الآن «بريكان» تقع على خط العرض ٢٥ً ٣١َ ٢٧ْ وخط الطول ٢٤ً ٤١َ ٤٤ْ.

ولا أستبعد أن تكون هي الآبار التي ذكرها صاحب كتاب «بلاد العرب» لقربها من الينسوعة. أمَّا «قِبَة» فمازالت محتفظة بمسماها القديم حتى الآن وكانت تسمى «فَرْغ القِبَة» حذف منها الآن أل التعريف والمضاف «فَرْغ».

قال ياقوت الحموي:

(الفَرْغُ: بالفتح ثم السكون، وآخره غين معجمة؛ والفَرْغ: مَفْرَغُ الدَّلو وهو مابين العَرَاقِي؛ وفرغ القِبَةِ وفرغ الحَفَر: بلدان لتميم بين الشقيق وأُود وخُفَاف وفيها ذئاب تأكل الناس.) انتهى.

ففرغ القبة: هو مايسمى الآن «قبة» أما «فرغ الحفر» فهو بجوار قبة الآن ولم يبق من اسمه إلا قاع يطلق عليه الآن «قاع الحفر».

وقد ذكر هذا النص صاحب معجم بلاد القصيم، ولكن فيما يبدو لي أن الأمر تداخل عليه بين مسمى «قبة» والوقبى»؛ لأنه من المعروف أن الطريق من البصرة لا يمر بقبة، والذي يمر عليه الطريق كما ورد في النصوص هو «الوقبى» فالذي يمر بالينسوعة ويترك «قبة شمالاً منه هو طريق الحج البصري إلى مكة، أما الطريق الذي يمر على «الوقبى» فهو الطريق المتجه من البصرة إلى المدينة وهو طريق قديم مهجور كما قال عنه صاحب كتاب المناسك.

وفي رسم «قبة» في معجم «شمال المملكة» أورد الشيخ حمد الجاسر قول ياقوت الحموي المتقدم عن «فرغ القبة» و«فرغ الحفر» ثم قال:

(وقبة تقع شرق الشقيق، وأود في جهات الحزن وجُفَاف هنا -بالجيم- بقرب الثعلبية وما جاء في المعجم، ينطبق على قبة هذه، وتقع قبة في الطرف الجنوبي الغربي من صحراء التيسية التي هي من الحزن، الواقعة في الدهناء، ويقع عرق المظهور أحد حبال الدهناء جنوب غرب قبة يخترقه الطريق منها إلى القصيم..) انتهى كلامه.

أقول: بفضل من الله لا يوجد الآن حول «قبة» ذئاب تأكل الناس كما هو الحال في زمن مضى حيث أصبحت بلدة عامرة تعج بسكانها، وقد تجولنا في شوارعها المزفتة، كما تجولنا حول وداخل «قصر الملك عبد العزيز» -رحمه الله- الذي يعتبر أحد المعاقل الحصينة التي أقامها إبان توحيد المملكة، حيث أصبحت تلك القصور في وقتنا الحاضر رمزاً من رموز الأمن الذي ضرب أطنابه في بلادنا الحبيبة.

من بلدة «قِبَة» اتجهنا شمالاً للوقوف على آبار ماء «الطُّلَيْحي» ومشاهدة المرتفعات الواقعة بجانبه، وسأتكلم عن هذا الماء عند الكلام عن «يوم ذي طلوح» وسيكون الحديث عنه مستفيضاً؛ نظراً لارتباطه القوي بموضوع بحثنا هذا. من ماء «الطليحي» عدنا إلى «قبة» ومنها اتجهنا إلى «الينسوعة» - بُرَيكة الأجردي الآن - وهي منزل من منازل طريق الحج البصري واقعة بين منزلي «ذات العشر» الذي أصبح الآن بلدة اسمها «أم عشر» وبين منزل «النباج» في مدينة «الأسياح» الآن.

وقد قصدت «الينسوعة» لتقديري أن «حَوْمَلَ» الذي نبحث عنه واقع بجوارها حسبما دلت عليه أقوال المؤرخين، وعلماء البلدان.

كان وصولنا إلى «الينسوعة» أصيلاً، فتجولنا بين آبارها العديدة وآثارها المهدمة، كما تجولنا بالمنطقة القريبة منها.

وقبل حلول الظلام اخترنا نقرة من نقر رمال الدهناء مقراً لمبيتنا ولنقضي فيها قسطاً من الراحة بعد طول ترحال. وقد استسلمنا لسلطان النوم، إلاَّ أنه طرقني وَهناً هاجس التفكير في «حومل» فأطار عني النوم، ولم يكن بُدٌّ من إصلاح القهوة وعلى رائحتها استيقظ رفيق الرحلة الشيخ محمد الفارس.

وفي هذا الجو الشاعري في رمال الدهناء دعونا نلقي نظرة في ثنايا أخبار أيام العرب، وما قيل فيها من شعر لعلنا نتمكن من تحديد مكان حومل الذي جئنا نبحث عنه.

مكان حومل:

في جهة الشمال من «الينسوعة» يمتد عرق من الرمل يسمى الآن «عرق الدخول» ومنه نقرة تسمى «خِبَّة الدخول» وفي جهته الشمالية ما يسمى بـ«خشم الدخول».

وقد تقرر عندي - حسبما ظهر لي من النصوص - أن «تُوضِحَ» و «المقراة» و«اللِّوى» تقع شرقاً من الدخول غير بعيد منه.

ومعنى هذا أن «حومل» يقع عن الدخول جنوباً، وأن سقط اللوى واقع بينهما.

وحيث ورد في المصادر التاريخية أن هناك يوماً من أيام العرب اسمه:

«يوم طلحات حومل» وقد يسميه بعضهم يوم حومل.

ومن أحداث هذا اليوم وما قيل فيه من شعر سنهتدي إن شاء الله إلى مكان حومل الواقع بالقرب من الدخول.

وفيمايلي قصة هذا اليوم:

يوم طلحات حومل

قال جرير:

وقَـالتْ بنو شَـيْـبـان بِالصَّـمـد إِذْ لَقَـوا

فَوارِسَنـــا يَنْعَــوْنَ قَيْـــلاً وأَيْهَمـــا

وقال أبو عُبَيْدَة معمر بن المثنى التيمي البصري في شرحه لهذا البيت:

(... وأما قَيْلٌ وأَيْهَم فكان سبب قتلهما يوم طلحات حومل، وهو يوم مُلَيْحَة. أن بِسْطَامَ بن قيس خرج مُغتزيا وذلك حين وَلَّى الرَّبيع واشتد الصيف، وقد توجهت بنو يربوع بينهم وبين طَلَح فذكر لأخريات بني يربوع أنهم رأوا مَنْسِراً فبعثوا مُرسلاً أخا بني حرملة بن هَرْمِيّ بن رياح، فأشرف ضَفِرَة حَوْمَلَ - والضَّفِرة والعَقِدَة الحَبْل المتراكم من الرمل - فَرُفِعَ له عشرون بعيراً يعدهن عند طَلَحات حَوْمَلَ فحسب أنه ليس غيرهم والجيش في الخَبْراء دونهم - والخبراء التي تمسك الماء وتنبت السِّدر والجماعة خبارى - فَكَرَّ يدعو يا آل يربوع الغنيمة فتسارع الناس أيهم يسبق إليها فجاؤا متقطعين فسقطوا على الجيش من دون الطلحات في الخبراء فلم تجىء عُصْبَةٌ إلاَّ أُخذوا، وقتل يومئذ عصمة بن النَّحَّار بنْ ضباب ابن أزنم بن عُبَيد بن ثعلبة بن يربوع. فقال بسْطام حين رآه قتيلا وَيْحَكم من قتل ابن النَّجار وما قُتِلَ هذا إلاَّ لتَثْكل رجلاً أُمُّهُ فكان قاتله الهيش بن المقعاس من بني الحارث بن همام فقتله بنو يربوع بابن النَّحَّار يوم العُظَالى. وأصابوا نُعمْان ابن قَيْل وأيهم اليربوعيين أصابتهما بنو شيبان، فلما أخذ بنو شيبان اليربوعيين وأسروهم نظر بنو شيبان فإذا هم لا ماء معهم يبلغهم فقالوا: يابني يربوع إنكم تموتون قبلنا وإنا شاربون ما معنا من الماء وما نعوه منكم وليس مُبَلِّغنا فاختاروا إن شئتم أن تجيرونا بغير طلاقة ولا نعمة حتى نَتَوَفَّى كُلَّ سِقاء ونسقي كل دابة

من طَلَح وإمَّا أن نرجع بكم فهو هلاكنا وهلاككم، فأجارهم بنو يربوع على غير طلاقة ولا نعمة فخلوا عن اليربوعيين واستقى بنو شيبان. فذلك قول عميرة بن طارق:

حَـلَـفْـتُ فـلـم تـأثـم يمـيـنـي لأُنْـأَرَنْ عَـديًّا ونُعْـمَـان بن قَـيْلٍ وأَيْـهَـمَـا
وغِلْمَـتَنا السَّـاعين يوم مُلَيْـحَـةٍ وحَوْمَلَ في الرَّمْضَاء يوماً مُجَرَّما.)[1]

انتهى.

وقد سمى أبو عبيدة هذا اليوم «يوم حومل» (انظر السطر ١٨ من صفحة ٥٨٣/٢ النقائض) وحتى نتقرب إلى حومل هذا فإنه لابد لنا من التعرف على الأماكن القريبة منه التي ورد ذكرها في أحداث هذا اليوم من أيام العرب مثل: مليحة، والخبراء، وضفرة حومل، وسأتكلم عن هذه الأماكن وغيرها؛ لأن معرفة الأماكن بدقة تعطينا تصوراً لأحداث أيام العرب، ومتى عرفنا المواضع التي جرت فيها تلك الأيام تمكنا من التفريق بين الأماكن المتداخلة، وهذا التداخل العجيب هو ما أوقع الباحثين في تحقيق الأماكن في غير مواضعها الصحيحة. فأقول:

مُلَيْحة:

إلى جانب تسمية هذا اليوم من أيام العرب بيوم «طلحات حومل» فإنه يسمى يوم «مليحة» نظراً لقربها من ساحة المعركة، ولأن عودة بني شيبان بمن معهم من أسرى بني يربوع من خلال ظهر «مليحة».

قال عنها ياقوت الحموي في رسم «مليحة» من المعجم:

(... ومليحة: موضع في بلاد بني تميم قال مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان:

... فكأنما بلوى مليحة خاضبٌ شَقَّاء نِقْنِقَةٌ تباري غيهبا

(١) كتاب النقائض: ٧٣/١.

وكان بمليحة يوم بين بني يربوع وبسطام بن قيس الشيباني، قال عمير بن طارق اليربوعي:

حلفت فلم تأثم يميني لأنْأَرن عَدِيًا ونُعْمَان بن قَيْلٍ وأَيْهَمَا
وغلمتنا الساعين يوم مليحة وحَوْمَلَ في الرَّمْضَاء يوماً مُجَرَّما.)

انتهى..

وقال أبو عبيد البكري في رسم «مليحة» في كتابه معجم ما استعجم:

(... قال أبو عبيدة: مليحة: من منازل بني يربوع. وقد أغارت عليهم بكر بن وائل فكانت لبني يربوع عليهم، فهو يوم مليحة، ويوم أعشاش، ويوم الأفاقة، ويوم الإياد، وهي مواضع متقاربة...

وقال عمارة بن عقيل: مليحة: بين الحزن والشيحة. [والشيحة]: رملة إذا طلعت فيها طلعت في نجفة، وهي نجفة مليحة [ثم طلعت] في حزن بني يربوع. قال أبو دُواد:

وآثار يَلُحْنَ على رَكِيّ بجنب مُلَيْحَة فالمُسْتَرادِ...)

انتهى باختصار.

أقول: البكري تحدث هنا عن يوم آخر هو «يوم الإياد» ومن أسمائه أيضاً «يوم مليحة».

وقد وصف لنا عمارة بن عقيل مليحة بأنها واقعة بين حزن بني يربوع ورمل الشِّيحَة، وهذا وصف واضح؛ لأن حزن بني يربوع يقع عنها شرقاً ورمل الشيحة عنها غرباً.

وقال الأستاذ محمد العبودي عن مليحة: (المالحة: أي: الملحة من الملاحة بمعنى البياض غير الخالص في لغتهم العامية.

قارة شهباء كبيرة واقعة إلى الشمال من بلدة «قبة» في أقصى شرقي القصيم على بعد ستة أكيال منها.

وتسميتها قديمة تاريخية إلا أنها كانت تسمى في القديم «مُلَيْحةَ» بالتصغير.

واشتهرت لأنه كان فيها وفيما حولها يوم من أيام العرب بين بني يربوع وبسطام بن قيس الشيباني قال عميرة بن طارق اليربوعي:

حلفت فلم تأثم يميني لأثارن عَدِيًّا ونُعْمَان بن قَيْلٍ وأَيْهَمَا
وغلمتنا الساعين يوم مليحة وحَوْمَلَ في الرَّمْضَاء يوماً مُجَرَّما.)

والدليل على أنه يريد بها مليحة هذه التي بقرب بلدة قبة، أنه ذكر «حومل» وهو موضع ورد ذكره في سياق يوم هناك هو يوم ذي طلوح وأنهم قالوا في طلحات حومل وموقعه. أي موقع حومل - على وجه التقريب - في شرقي قبة.

وقول أبي عبيدة: مليحة من منازل بني يربوع وقد أغارت عليهم فيها بكر بن وائل فكانت لبني يربوع عليهم فهو يوم المليحة الخ [ياقوت رسم مليحة]

وبعد أن ذكر هذا وقول عمارة بن عقيل المتقدم استمر الأستاذ محمد قائلاً:

فالحزن هنا هو جنوب التيسية، ورمل الشيحة آخر رمال الدهناء من جهة الغرب وحزن بني يربوع هو شمال التيسية ووسطها.

ويدل على ذلك أيضاً أنها وردت في شعر لجرير مضافة إلى حَزْن وهي كذلك في طرف التيسية التي لاشك في أن معظمها أو بعضها كان يسمى في القديم حزن بني يربوع - والحَزْنُ كما هو معروف - الأرض الصخرية الصلبة.

قال جرير:

ولو ضاق أحياء بحزن مُلَيْحة لَلاَقى جواراً صافياً غير أَكْدَرَا
فهم ضربوا آل الملوك وعَجَّلُوا بِوِرْدٍ غداة الحوفزان فَبَكَّرَا.)[1]

انتهى كلامه باختصار.

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ٢١٨١/٦.

وقال الشيخ. حمد الجاسر في رسم «مليحة» بعد أن أورد النصوص القديمة من شعر ونثر:

(وتعرف مليحة هذه الآن باسم «مُلَيْحَاء» تصغير ملحاء، وكثيراً ما تنطق العامة مثل هذا الاسم فهم يقولون «عَرْجَاء» للبلدة التي تعرف قديماً باسم «عَرْجة» وقُبَة «قبا».

ومليحة «مليحاء» جال مرتفع جَلَدٌ من الأرض، متصل بجبل رُوَيَّة من الغرب، تقع بلدة قُبَة في جانبه الجنوبي، ويشاهد منها رأي العين بينها وبين الطُّلَيحْي «طلح».

وكلام عمارة يفهم منه أن مُليحة نجفة وهي كما وصف، ورملة الشيحة تقع غير بعيدة عنها، وهي واقعة في التيسية وهي من حزن بني يربوع. وتقع مليحة بقرب خط الطول ١٥ْ ٤٤ْ وخط العرض ٢٩ْ ٢٧ْ .)[1]

انتهى قوله باختصار.

التعليق على قول الشيخين:

١- من كلام مؤلف «معجم بلاد القصيم» يفهم أنه يرى أن «مُلَيْحَةَ» تلك القارة الواقعة شمال بلدة «قبة» على بعد ستة أكيال.

بينما يرى الشيخ حمد الجاسر: أنها ذلك الجال المرتفع الذي يحاذي بلدة قبة من جهة الشمال الشرقي. وعندي أن كلام الشيخ حمد هو الأشمل وأن القارة التي ذكرها الشيخ العبودي ما هي إلا جزء من امتداد جال «مليحة» وفي رحلتنا الميدانية هذه سرنا بمحاذاة هذا الجال المرتفع ذهاباً وإياباً على طول امتداده، وقد لاحظت أن أجزاء من هذا الجال يكسوها بياض يشبه بياض ملح الطعام.

---

(١) معجم شمال المملكة: ٣/١٢٧٠.

وليس من المستبعد أن يكون القدماء أسموه «مُلَيْحة» لهذا السبب، أو أنهم كانوا يستخرجون ملح الطعام من القيعان في سفحه من ناحية الغرب فيما بينه وبين رمال النفود.

وينفذ من خلال هذا الجال المرتفع طرق مشرقة، وهي تفضي إلى سطح مُسْتَوٍ متسع تكثر فيه القيعان وتجمع مياه الأمطار كما يتخلله مجاري شعاب أكبرها وادي السهل؛ لذا توفرت فيه المراعي الخصبة. ويطلق عليها الآن مسمى «التَّيْسِيَّة» ولا أعرف سبباً لهذه التسمية الحديثة.

٢- قال مؤلف «معجم بلاد القصيم» إن حومل يقع شرقي بلدة «قُبَة»، كما قال عنه: «وهو موضع ورد ذكره في سياق يوم «ذي طلوح».

وأقول: إن حَوْمَل كما قال يقع شرقي بلدة «قبة» ولكن يوم «طلحات حومل» غير يوم «ذي طلوح» فيوم الطلحات انتصر فيه بنو شيبان على بني يربوع أما يوم ذي طلوح فقد انتصر فيه بنو يربوع على بني شيبان. والمكانان مختلفان وسأحقق وادي «ذي طلوح» الذي جرت فيه المعركة لاحقاً إن شاء الله.

٣- قال مؤلف «معجم القصيم» عن الحَزْن:

«فالحزن هنا هو جنوب التيسية، ورمل الشيحة آخر رمال الدهناء من جهة الغرب، وحزن بني يربوع هو شمال التيسية ووسطها. الخ» وقد يشاركه الشيخ حمد الجاسر في هذا الرأي حيث يرى أن التيسية من حزن بني يربوع.

ولست معهما في هذا الرأي لأن التيسية يفصل بينها وبين حزن بني يربوع الواقع عنها شرقاً عروق رمال يبلغ عرضها قرابة ثمانية عشر كيلاً. فهي ليست من حزن بني يربوع وإن كانت من مساكنهم، واسمها القديم هو «حزن مليحة» وجنوبيها الشرقي يسمى «حزن الينسوعة».

وقد ميزها جرير عن حزن بني يربوع بقوله في بيته المتقدم:

«ولو ضاق أحياء بحزن مليحة»

وسأتكلم عن هذا بشيء من التفصيل عند الكلام عن «حزن بني يربوع».

٤- يفهم من كلام الشيخ حمد الجاسر أن الاسم القديم لبلدة «قُبَة هو «قبا» وأرى أن اسمها الحالي هو اسمها القديم لم يطرأ عليه تعديل سوى أنهم حذفوا آل التعريف حيث كان مسماها القديم «فرغ القبة» كما أسلفنا عند الكلام عنها.

ماء طَلَح:

ماء طَلَحٍ، يقع في حَزْن بني يربوع، ويرى كل من الشيخين: حمد الجاسر، ومحمد العبودي، أنه الماء الواقع شمال بلدة «قبة» المسمى حالياً «الطُّلَيْحِي» وقد سبقهما إلى مثل هذا القول الشيخ محمد بن بليهد في كتابه صحيح الأخبار.

ولست معهم في هذا القول؛ لأن ماء «طَلَح» الذي اشترط بنو شيبان على من معهم من أسرى بني يربوع أن يردوه ويملؤوا منه كل سقاء بدون مَنٍّ ولا طلاقة وذلك بعد نهاية معركة «طلحات حومل»؛ هو أحد مياه «البشوك» الواقعة في حزن بني يربوع شرقاً من رمال الدهناء وليس ماء «الطليحي» كما قيل.

وسأتكلم عن ماء «طَلَح» وصَمْدِه عند الكلام عن يوم «ذي طلوح» وأحدد مكانه بدقة إن شاء الله.

ولعلي هنا أكتفي بالكلام عن هذه الأماكن؛ لأن هذه الرحلة استطلاعية الغرض منها التعرف على مجاري الأودية، وهذا الجانب من رمال الدهناء وبعض الأماكن التي تساعد معرفتها على فهم النصوص القديمة ومن ثم تطبيقها على أرض الواقع.

مع بزوغ الشمس تحركنا من مكان مبيتنا واستأنفنا رحلتنا حيث تجولنا في

فياض «حزن الينسوعة» الواقعة عنها شمالاً، وهي رياض صغيرة متفرقة هنا وهناك تكثر فيها أشجار السِّدر ويسميها أهل المنطقة «البساتين»، وقد أصاب من أعطاها هذه التسمية نظراً لجمال منظرها وخضرتها وخاصة عندما تكتسي أرضها بالأعشاب والأزهار.

وقد تناولنا طعام الإفطار في أحد هذه البساتين.

ثم واصلنا سيرنا شمالاً قاصدين عِرْق «الدّخولِ» ومن طرفه الجنوبي قطعنا الرمال باتجاه الشرق حيث وصلنا بلدة «سَامُودَة» وعرض الرمل من هذا الجانب يتراوح بين عشرين وثمانية عشر كيلاً. وهذا الرمل هو الفاصل بين حَزْن بني يربوع شرقاً وبين حزن مليحة «التيسية الآن» غرباً.

وقد زرنا كثيراً من الأماكن والآثار القديمة كمنازل طريق الحج البصري الموجودة في هذه الناحية، والكلام عنها في غير هذا الكتاب.

* الرحلة الثانية للبحث عن "حومل":

من الرحلة الاستطلاعية «الأولى» بدأنا نتقرب من «حومل» ولكن التداخل الحاصل بين الأماكن، وكذلك أحداث المعارك التي دارت رحاها في تلك الجهة جعلت الصورة غير واضحة، مما أوجب القيام برحلات أخرى القصد منها معرفة سبب هذا التداخل، ومن ثم تحديد الأماكن بما يتمشى مع النصوص الواردة.

وفي يوم الثلاثاء الرابع من شهر شوال عام ١٤١٧هـ قمت برحلة إلى «الينسوعة» ووادي «الأجردي» وقد رافقني في هذه الرحلة الأستاذ سعد بن علي الماضي وقد تجولنا عصر هذا اليوم في وادي الأجردي، وقبل حلول الظلام انتقينا مكاناً منخفضاً في رمال الدهناء مما يلي الينسوعة لأن البرد كان قارساً، وقد تجمد الماء أثناء الليل وفي الصباح لم نطو خيمتنا إلا بعد طلوع الشمس.

للتعرف على حومل لابد من التعرف على ضَفِرَته وعلى الخبراء؛ ولذا فقد استهلينا

صباحنا بالسير من آبار «الينسوعة» مغربين عبر مجرى وادي الأجردي وذلك للوقوف على الخبراء التي دارت فيها معركة يوم «طلحات حومل». وقبل أن نواصل السير دعونا نلقي نظرة على ماقيل عن هذه الخبراء:

قال الحربي في كتاب «المناسك» وهو يصف طريق الحج البصري:

(وبالينسوعة بئر كبيرة، وآبار قريبة الماء، ماء السماء فيها.

وأخبرني ابن أبي سعد عن النوفلي عن أبيه أن من ورائها عشرة أميال الخبراء. وإنما سميت الخبراء بالسدر، وذلك أن العرب تسمي منابت السِّدْر الخبراوات[1]) انتهى

وقال الأستاذ محمد العبودي في مقدمة معجم بلاد القصيم:

(الخبراء: يسير الحاج من بريكة الأجردي التي هي الينسوعة في القديم تاركاً مجرى وادي الأجردي الذي يأتي بعده جال الطراق إلى جهة اليمين التي هي الجهة الشمالية فيصل بعد ١٦كيلاً إلى المنزل التالي للينسوعة الذي اسمه عند المتقدمين الخبراء، وقد تغير اسمه عند المتأخرين فأصبح يسمى «أم عشر» وبعضهم يضيفه إلى الأجردي فيقول: أم عشر الأجردي. لأنها بالفعل روضة واقعة في منطقة الأجردي تدخلها مياهه حيث تملأُها...)[2]

وفي رسم «شعيب السِّهْل: قال ... وادٍ يقع إلى الشمال الشرقي من قبة بين عروق الأسياح والتيسية في الجهات الشمالية الشرقية لحدود منطقة القصيم ويعتبر تابعاً لقرية «قبة».

... هذا وسيل المذكور يتجه شرقاً حتى يصب في «أم عشر» التي كانت تسمى بالخبراء في القديم...)[3] انتهى قوله باختصار.

---

(١) المناسك: ص ٥٨٢.

(٢) معجم بلاد القصيم: ص١/١٧٤.

(٣) معجم بلاد القصيم: ص ٣/١٢٤٢.

أقول: من وصف صاحب كتاب المناسك يتبين لنا أن الخبراء تبعد عن منزل «الينسوعة» عشرة أميال. أي ما يعادل عشرين كيلاً حسب المسافات بين أميال هذا الطريق. أما صاحب معجم «بلاد القصيم» فقد حدد بعدها عن الينسوعة غرباً بـ ١٦كيلاً.

وعلى هذا الوصف كان مسيرنا من الينسوعة للوقوف على هذه الخبراء ولكننا لم نقطع سوى اثني عشر كيلاً حتى وصلنا إلى خبراء واسعة جداً وفي وسطها شجر طلح كبير مما جعلنا نجزم بأنه يوجد في هذا المنخفض الواقع بين مرتفعات «التيسية» شمالاً، وبين رمال الدهناء جنوباً خبراوان هذه الخبراء، والخبراء التي ينزلها حاج البصرة.

لقد تجولنا حول هذه الخبراء، وشَدَّنا إليها شجر الطلح الموجود في وسطها الأمر الذي جعلنا نتساءل:

هل هذه الطلحات هي طلحات حومل، وأن هذه الخبراء هي التي حصلت فيها المعركة بين بني شيبان وبني يربوع؟!

لم أُحَبِّذ تكوين إجابة عن هذا التساؤل حتى نقف على الخبراء الثانية خبراء الطريق.

وعندما وصلنا إليها كانت بالفعل خبراء واسعة ولكنها خالية من شجر الطلح، وتبين أنها مكشوفة للقادم إليها من الشرق ومن الغرب بخلاف الأولى؛ عدنا إلى الخبراء السابقة الأقرب إلى «الينسوعة» وقبل أن نصل إليها - وكان طريقنا على الناحية الجنوبية مما يلي الرمل - توقفنا في نقطة واقعة على خط العرض ٤٠° ٢٣َ ٢٧ْ وخط الطول ٥٢° ٣٨َ ٤٤ْ في هذه النقطة كنا لا نشاهد إلاَّ الطرف الشمالي من الخبراء.

ويبدو لي أن بني يربوع حينما قدموا للبحث عن جيش بني شيبان توقفوا في هذا المكان وبعثوا مرسلاً ليشرف على الخبراء من مكان عال عله يرى الجيش الذي ذكر لهم، فما كان منه إلاَّ أن أشرف عليها من فوق «ضَفِرة حَوْمل» وضَفِرة حومل:

هي هذا الرمل المتراكم جنوبي «الخبراء» وعندما اعتلاها شاهَد عشرين بعيراً، فظن أنه ليس هناك غير ما شاهد؛ بينما الجيش في طرف الخبراء لم يشاهده، فرجع إلى قومه وصاح بهم الغنيمة الغنيمة يا آل يربوع، فتسارعوا أيهم يسبق للغنيمة فسقطوا على الجيش متفرقين من دون الطلحات في الخبراء فأُخذوا.

لقد صعدت فوق الرمال الم المتكاوسة ومن أعلاها ألقيت نظرة على وسط الخبراء والطلحات فاتضح لي أن الناظر من هذا المكان لا يمكننه مشاهدة من هو موجود في جنوب الخبراء لأن الرمال تحجز رؤيته وانظر إلى صورة الطلحات في الخبراء وإلى الرمال المطلة عليها من جهة الجنوب الغربي المناظر رقم (٤) ورقم (٥) ورقم (٦) وانظر إلى الخريطة رقم (١) لتتصور المكان الذي أتحدث عنه.

وهذه الخبراء تبعد عن الينسوعة (١٢) كيلاً فقط وهي التي يدفع فيها وادي «السِّهْل».

ويبدو لي أنها الخبراء التي أشار إليها مؤلف «معجم بلاد القصيم» وقال: إنها هي الخبراء التي ذكرها الحربي وأن حاج البصرة ينزلونها، بينما حقيقة الأمر أن حاج البصرة ينزلون الخبراء الواقعة عنها غرباً.

(٤) منظر «الخبراء» التي حدثت فيها معركة «يوم طلحات حومل».

(٥) منظر جانب من رمل «ضفرة حومل» المشرف على الخبراء

(٦) منظر رمل «حومل» الذي يركب «القُفّ» شرق بريكة الأجردي.

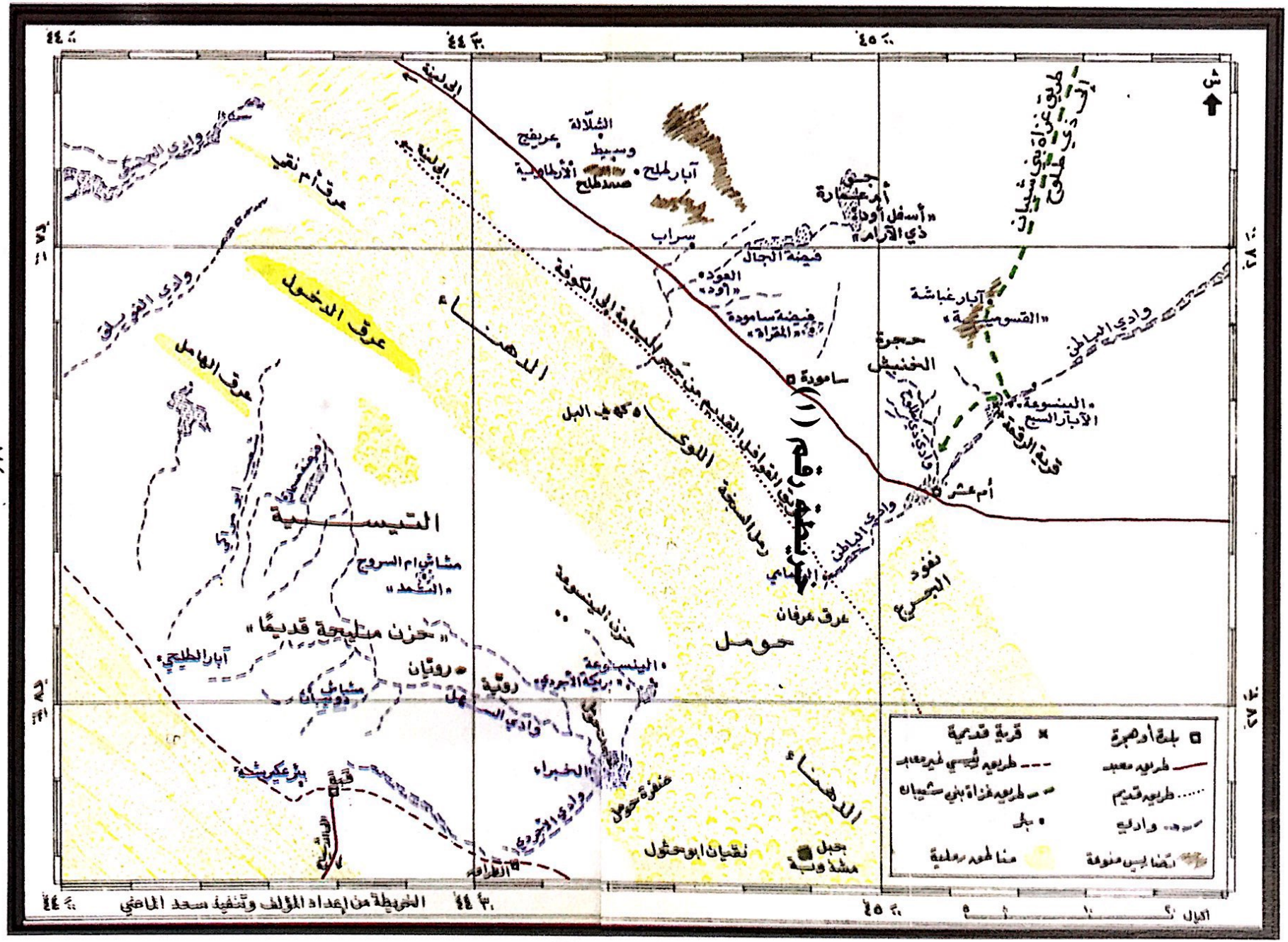
الدهناء
التيسية
حومل
نفود البحر
عرق الدخول
عرق الهامل
عرق أم نقيع
وادي الخويلق
وادي الباطن
الشلالة
وسيط
آبار لملح
سراب
فيضة الجال
العود
فيضة سامودة
المقراة
سامودة
حجرة الخنيش
البنيوعة
الآبار السبع
قرية الرقعة
أم عشر
آبار غباشة
القسومية
أم عنارة
أسفل أودية ذي الآرام
مشاش أم السروج
الشمد
حزن مليحة قديمًا
آبار الطليحي
روثيان
مشاش روثيان
روثية
بئر عكيرشة
قفية
الخبراء
عنوة حومل
نقيان ابو حثول
جبل مشذوبة
عرق مرفان
حزن البنيوعة
ريكة الأجرد
وادي السمينة
وادي الخويلق
الطرفاء
طريق عنزة في شتاء وصيف
بلدة أو حجرة
قرية قديمة
طريقه معبد
طريقه ترابي غير معبد
طريقه قديم
طريقه غزاة بني شيبان
وادي
تل
منخفضات منوعة
مناطق رملية
الخريطة من إعداد المؤلف وتنفيذ سعد الماضي
أميال

بعد جولتنا حول الخبراوين وضَفِرَة حوْمَل اتجهنا شمالاً لنعلو ظهر «مُلَيحْة» للوقوف على «رُوَيَّة» ورُوَيَّان الذي قيل عنه إنه «طِحَال» حيث قال عنه الفرزدق:

هل تذكرون غداة يطرد سبيكم بالصمد بين رُوَيَّة وطِحال

وبما أن «رُوَيَّة» مُوَقَّعَة على الخريطة فقد اهتدينا إليها بسهولة ولكن الوصول إليها كان صعباً نظراً لخشونة الأرض ووعورتها، وقد تملكتنا الدهشة عندما وصلنا إليها حيث لا تعدو أن تكون أُكيمة صغيرة قليلة الارتفاع، وقد استعصى عَليَّ تصويرها، أما رويان الذي قيل عنه: إنه «طِحَال» فهو أكبر منها، ويقع عنها شمالاً.

وروية واقعة على خط العرض ٤٠° ٢٧' ٢٧" وخط الطول ٧٠° ٢٦' ٤٤" ولعل من قال: إن ماء «طَلَحَ» الذي طلب بنو شيبان ورده بعد المعركة هو الماء الواقع شمال «قبة» المسمى حالياً «الطُّليحي» ظن أن الفرزدق قصد «روية» هذه لوقوعها بين مكان المعركة وبين هذا الماء.

ومع أني مِلْتُ إلى هذا القول في بادىء الأمر؛ إلاَّ أن هناك إشكالية تحول دون الأخذ بهذا القول، وهي: كيف يعود بنو شيبان بعد انتصارهم على بني يربوع باتجاه الشمال الغربي، بينما قدومهم كان من الشمال الشرقي؟!

قال مؤلف "معجم بلاد القصيم":

(رُوَيَّة: أكمة واقعة إلى الشرق من بلدة «قُبَة» في أقصى شرق القصيم تبعد عن «قبة» بمسافة ٤ أكيال، وبقربها أكمة أخرى تسمى «رويان» بصيغة التذكير مع التصغير ويقال لهما جميعاً «رويات» على لفظ جمع روية مصغراً. وتسميتها قديمة إلا أن المؤنثة كانت تسمى في القديم «رُوَيَّة» أما المذكر فكان يسمى «طحال» والرئة من جسم الإنسان ليست بعيدة من الطحال. قال الفرزدق وذكرهما معاً:

هل تعلمون غَداة يُطْرَدُ سَبْيُكم ... بالصَّمْدِ بين رُوَيَّةٍ وطحال

والصَّمْد هو جنوب التيسية وتقع روية وطحال فيه.)[1] انتهى.

أما الشيخ حمد الجاسر فيقول عن رُوَيَّة وطحال:

(رُوَيَّةُ أيضاً: جبل بصمد بني يربوع على مافي «النقائض» وأورد للفرزدق:

هل تعلمون غداة يطرد سبيكم ... بالصَّمْدِ بين رُوَيَّةٍ وطحال

وقال الأخطل:

وعلا البُسَيْطَة والشَّقيقَ بِرَيِّق ... فالضَّوْجِ بين رُوَيَّة وطُحَال

---

(١) معجم بلاد القصيم: ١٠٨٣/٣.

ورُوَيَّةُ هذا جبل يقع شرق بلدة «قُبَة» يرى منها رأي العين، في الطرف الجنوبي الغربي من التيسية الأرض الجلد الواقعة في الدهناء في الجنوب الغربي من منهل الطليحي. يقع جبل روية بقرب الدرجة ٢٨ْ ٤٤ْ و٣٠ْ ٢٧ْ عرضاً.، الطليحي ١٠ْ ٤٤ طولاً و ٣١ْ ٢٧ْ عرضاً.

ويتصل بروية من الشمال جبل يعرف بخشم الطُّليحي ليس بعيداً أن يكون ما يعرف قديماً باسم طحال.)[1] انتهى.

التعليق:

روية تقع شرقاً من «قبة» على بعد اثني عشر كيلاً، أما «روَيَّان» فعلى بعد ثمانية أكيال.

وما أراه: فإن «رُوَيَّة» و«رُوَيَّان» ليسا هما الموضعين اللذين ذكرهما الفرزدق في بيته المتقدم، وأنه لا علاقة لهما بمعركة «طلحات حومل» فالسبي الذي أشار الفرزدق إلى أنه يطرد بين روية وطحال، حدث في معركة أخرى وقد حدد لنا صاحب «النقائض» الأماكن بكل دقة وهو يعلق على قول الفرزدق:

لو تعلمون غداة يطرد سبيكم بالسفح بين مليحة وطحال

حيث قال:

(ويروى هل تعلمون [ويروى هل تذكرون، ويروى سَرْبُكُمْ] ويروى بالصَّمْدِ بين رُوَيَّة. قال أبو عُبيدة: أغار الحَوْفَزان بن شريك على بني يربوع بذي بيض فسبى وأخذ الأموال. قال أبو عبيدة: وذو بيضٍ أرض بين جَبَلَة وطِخْفَةَ وهي اليوم لغَنِيٍّ والضِّبَاب وبنو تميم في شِقٍّ ذي بيض الجَنْبِيّ.

قال وأسر حنظلة بن بشر بن عمرو بن عمرو بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحَوْفَزَانَ بن شريك ثم مَنَّ عليه بلا فداء ورَدَّ ما كان في يديه من المال على بني يربوع.

---

(١) معجم شمال المملكة: ٦١٤/٢.

وفي ذلك يقول الفرزدق يفخر على جرير:

وَرَدَّ عليكم مُرْدَفَاتٍ بناتِكُمْ بنا يوم ذي بَيْضٍ صَلادَمُ قُرَّحُ
وعانَقَ مِنَّا الحَوْفَزانَ فَرَدَّهُ إلى الحيّ ذو دَرْءٍ عن الأصل مِرْزَحُ

قال أبو عبيدة: وربما أنشدوني «هل تعلمون غداة يطرد سبيكم بالسَّفح بين مُلَيْحَةٍ، وأيضاً بين كُلَيَّة، وأيضاً بين رُوَيَّة وطِحَال، قال: وهي شيء واحد وذلك لتقارب بعضهن من بعض، وذلك لأن بين [شِقّ] صحراء طِحَال الجَنْبِيّ وبين وُضاخ وجَبَلَة ليلة، والسَّفح عن يسار طِخْفَةَ مُصْعِداً إلى مكة، ومليحة قريب من السَّفح وهو لغَنِيّ اليوم، والصَّمْدُ ماءٌ للضِّباب اليوم وهو في شاكلة الحمى في شِقِّ ضَرِيَّة الجَنْبِيِّ، قال ورُوَيَّة وكُلَيَّة: ماءآن لغني قريب منهن، والكثِيبُ: اسم ماء للضباب في قبلة طخفة قال: فهنَّ متقاربات رياءٌ أي يرى بعضهن من بعض» قال فلذلك اختلفوا في ألفاظهنَّ، والعربُ تستحسن ذلك أن يجيء الحرف مِرَاراً إذا كان لفظه مختلفاً والشَّمْليُّ مايلي الشَّمال، والجَنْبيُّ مايلي الجنوب.) انتهى قول صاحب النقائض.

أقول:

اتضح لي أنه ليس بين المعركتين رابط، لأن قائد بني شيبان في هذه المعركة هو «الحوفزان» بينما قائدهم في معركة «طلحات حومل» هو «بسطام بن قيس». وقد حصل ما حصل بسبب تكرر الأسماء وإن اختلفت أماكنها.

رَوْضَةُ الثَّمد:

لقد حرصت في هذه الرحلة أن أحقق موضع «روضة الثمد» وهي من منازل بني يربوع، ورد ذكرها في قصة «يوم الإياد» ويسمى «يوم العُظَالى» فقد غزا

بسطام بن قيس مع قادة آخرين بني يربوع في حَزْنهم، وعندما قرب من منازلهم أمسك بأحد رعاتهم وكان عرفه عندما أسره بنو يربوع فقال له: أخبرني خبر حيك أين هم من السّواد الذي بالحديقة قال هم بنو زُبَيْدٍ. قال: أفيهم أُسَيْدُ بن حِنَّاءة؟ قال نعم، قال: كم هم من بيت؟ قال خمسون بيتاً.

قال فأين بنو عُتَيْبَةَ وأين بنو أزنم؟ قال: نزلوا «روضة الثَّمَد»...

وقد ذكر ياقوت الحموي أن «روضه الثَّمد» في بطن مليحة وبطن مليحة عندي هو هذا المكان الذي نتجول فيه في مايسمى بالتيسية.

(انظر صفحة ٨٧/٣ وصفحة ٨٤/٢ من معجم البلدان).

وقد رشحت روضتين من الرياض الموقعة على الخريطة الأولى تسمى «فيضة أم الحمير» والثانية تسمى «فيضة أم السّروج».

وبالوقوف على «فيضة أم الحمير» وجدنا فيها زراعة حديثة مهملة ولم نشاهد فيها أثراً لأفواه آبار لنقول: إنها الثَّمد، والثمد هو مايسمى في الوقت الحاضر «المشاش» وهي الآبار التي تحفر ليستخرج منها ماء الأمطار المتجمع وعند نضوبه تجف؛ وقد لا يدوم ماؤها طويلاً.

ومن فيضة أم الحمير اتجهنا إلى «فيضة أم السّروج» وعند الوصول إليه ألفيناها روضة واسعة، وقد شاهدنا فيها عشرات الآبار وهي آبار ضيقة الأفواه قريبة المنزع وقد وضع حول فوهاتها سياج من صفائح البراميل حتى لا تمتلىء بالرمل والطين عند ارتفاع منسوب المياه في الروضة، ولأول مرة أشاهد مثل هذا المنظر الغريب.

وهذه الروضة واقعة على خط العرض ٥٥° ٣٧' ٢٧ وخط الطول ٢٧° ٢٦' ٤٤" وهي تبعد عن «قبة» ٢٨ كيلاً جهة الشمال الشرقي، كما تبعد عن آبار «الينسوعة» ٣٠ كيلاً جهة الشمال الغربي.

ولا أستبعد أن تكون هذه الروضة هي «روضة الثَّمد» التي ورد ذكرها في

المصادر التاريخية والجغرافية.

بعد أن انتهينا من التجول في «التيسية» وبالأصح «بطن مليحة» اتجهنا شرقاً عبر «عرق الدخول» حتى وصلنا إلى «حزن بني يربوع».

وتجولنا هناك، وبتنا قرب «سقط اللوى بين الدخول وحومل».

وفي الصباح اتجهنا إلى ماء «الثمامي» أحد منازل طريق الحج البصري المسمى قديماً «المجازة» وهو واقع غرب بلدة «أم عشر» شرقي الدهناء. وكنت حريصاً أن أتجه من هذا المنزل إلى المنزل الذي يليه باتجاه القبلة وهو منزل «الينسوعة» الذي كنا عنده بالأمس، وكان الطريق بين هذين المنزلين عبر رمال الدهناء، وذلك بغية مشاهدة هذا الجزء من رمال الدهناء. وكان لزاماً علينا أن نقطع قرابة عشرين كيلاً من الرمال المتصلة.

وفي وسط هذه الرمال كان لنا وقفة بعد العصر في نقطة تقع على خط العرض ٤٠° ٣٣' ٢٧" وخط الطول ٤٤° ٤٤' ٤٤".

كنا نشاهد جنوباً على بعد خمسة أكيال تقريباً كثبان رمل نشاهدها كالجبال العالية تطل على ماحولها من الرمال كان منظرها جميلاً ومن بينها كثيب أبيض وهو أكبرها، انظر إلى صورة هذه الكثبان العالية المنظر رقم (٦).

لست أدري لماذا رشحت أحد هذه الكثبان ليكون هو «حومل قديماً» والذي أدريه أن «حوملاً» الذي ذكره امرؤ القيس موجود في هذا الحيِّز من رمال الدهناء، وأن «ضَفرته» هي تلك الرمال التي اعتليناها بالأمس وهي تطل على الخبراء، ونشاهدها من هذه النقطة التي نقف فيها.

أما من ناحية الشمال: فنشاهد القُفّ الذي توجد فيه فياض «البساتين» وهذا هو المسمى قديماً «حَزْن يَنْسُوعَة».

وهذا الرمل الذي نقف عليه وماكان عنه شمالاً حتى يضمحل فوق هذا القف هو رمل «حومل»، فقد ورد أن حوملاً يركب القُفّ.

قال ياقوت الحموي في رسم «حومل»:

«وحَوْمل: اسم رملة تركب القُفَّ وهي بأطراف الشقيق وناحية الحَزْن لبني يربوع وبني أسد».

أقول: إن هذه الرملة التي نقف عليها واقعة جنوب «الدخول» كما أنها واقعة بين رمال الشقيق وبين حَزْن بني يربوع.

كما أن اللوى وسقطه يقع فيما بينه وبين رمل الدخول.

يضاف إلى ذلك فإن كلاً من «توضح» و«المقراة» تقعان شرقاً غير بعيد من هذه الرمال، وسأحدد أماكن تلك المواضع مثل:

سقط اللوى وتوضح والمقراة طبقاً لما ذكرته أقوال القدماء.

هذا وقد تحركنا من وقفتنا هذه قبل مغيب الشمس حتى وصلنا إلى الينسوعة ومنها قفلنا عائدين من هذه الرحلة.

سِقْطُ اللِّوَى

سقط اللوى

يكاد يجمع الباحثون في وقتنا الحالي على أن سقط اللوى هو ذلك المرتفع المكون من جبيلات تعلوها الرمال والتي تمتد من قرب ما يسمى الآن «حومل» حتى تقترب من هضب «الدَّخُول»، الواقع شرقاً من نفود عرق سبيع «رملة أبي بكر بن كلاب قديماً» في عالية نجد الجنوبية.

فهل سقط اللوى هذا هو الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته؟

بعض الباحثين في زمننا قالوا عنه:

أولاً- يقول الشيخ محمد بن بليهد:

(سقط اللِّوى، السقط لغة: يطلق على طرف كل كثيب، أما الذي عناه امرؤ القيس في قصيدته، فهو سناف يقال له اليوم مشرف، واسمه في الجاهلية شَرَاف، كأنه كثيب من الأبارق والرمال طرفه من جهة الغرب قريب حَوْمل، وطرفه من جهة الشرق قريب الدخول، والدخول وحومل باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا.)[1] وعند كلامه رحمه الله عن توضح قال:

(وقد ذكرنا أن سقط اللوى هو طرف الأبارق التي يقال لها اليوم «مُشْرف»، واسمها في الجاهلية «شَرَاف» قال الشَّماخ في شطر بيت :

مَرَّتْ بِنَعْفَيْ شَرَافٍ وهْيَ عَاصِفَةٌ .

وقال زُمَيْل بن زامل الفزاري قاتل ابن دارة:

لَقَد عَضَّني بالجو جو كتيفة ويوم التقينا من وراء شَرَافِ

... وشراف هذا هو الذي أشار إليه امرؤ القيس بقوله «بسقط اللوى»..) انتهى.

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١٦/١.

التعليق:

أقول: مادام أن الناس في وقتنا الحاضر يسمون هذا السناف الذي تعلوه الرمال «مُشْرف» فهو قريب من مسمى «شَرَاف» الذي قال - يرحمه الله - إن هذا اسمه في الجاهلية.

فإذا كان يسمى في الجاهلية «شَراف» فكيف نقول: إن اسمه «سقط اللوى» وأنه هو الذي عناه امرؤ القيس؟!

أما إيراده لقول الشَّماخ «مَرَّت بنعفي شَرَاف» فإن الذي يظهر لي من قول الشماخ أن شرافاً الذي قصده عبارة عن جبل كبير، أو حبل رمل ممتد له أطراف.

أما عن قوله بعد إيراده لبيت الفزاري:

«وشراف هذا هو الذي أشار إليه امرؤ القيس بقوله سقط اللوى» فليس هناك مايدل على ذلك.

ثانياً: يقول الأستاذ سعد بن جنيدل:

(مُشْرِفٌ... سناف بني اللون له متن مشرف، يمتد من الشرق الجنوبي إلى الغرب الشمالي تحيط به من جانبيه برقة دمثة، يقع شمالاً غربياً من هضب الدَّخُول- فيما بينه وبين جبل حومل، في بلاد أبي بكر بن كلاب قديماً، وطرفه الشرقي قريب من الدخول وطرفه الغربي قريب من جبل حومل ومن هضبة المنخرة...

ويرى محمد بن بليهد أن هذا الموضع هو المعروف قديماً باسم شراف وأورد شاهداً من شعر الشماخ...

وأورد أيضاً قول زميل بن زامل الفزاري قاتل ابن دارة...

وهذه الشواهد أوردها ياقوت في ذكر شراف، وقال عن نصر: ماء بنجد له

ذكر كثير في آثار الصحابة ابن مسعود وغيره، وقال عن أبي عبيد السكوني: شراف بين واقصة والقرعاء...

وقيل شراف: استنبطه رجل من العماليق اسمه شراف فسمي به.

قلت:- القول للأستاذ الجنيدل -

ماذكر ياقوت في وصف شراف وفي تحديده لا يتفق مع وصف مُشْرف الذي نتحدث عنه ولامع تحديده؛ فشراف واقع في شرقي شمال البلاد بعيداً كل البعد عن جنوب عالية نجد التي فيها مُشرف...)[1] انتهى قوله باختصار.

وبعد أن أورد مؤلف «معجم عالية نجد» ما قاله البكري عن «شراف» قال: «قلت لا فرق بينما ذكر ياقوت وماذكره البكري في تحديد مشرف».

تعليقي على قول مؤلف "معجم عالية نجد" حول "سقط اللوى":

لم يتكلم المؤلف عند كلامه عن «شراف» أو مشرف عن «سقط اللوى» الذي عناه امرؤ القيس الأمر الذي يوحي لنا بأنه غير متأكد أنه هو.

ومما يدل على ذلك قوله في رسم «الجفرة» - جفرة الصاقب-: صفحة (٣١١/١):

(ويبدو لي أن الجفرة هي الموضع الذي ذكره امرؤ القيس باسم «المقراة» مقروناً بذكر الدخول وحومل وتوضح لقرب هذه المواضع من بعضها، فالدخول وحومل كل منهما لايزال معروفاً باسمه، قريب أحدهما من الآخر، ويبدو أن سقط اللوى الذي ذكر امرؤ القيس أنه بينهما أنه ما امتد من رمل برقة شراف بينهما.) انتهى.

---

(١) معجم عالية نجد: ص ١١٩٣/٣

أقول:

إن سقط اللوى، وكذلك المقراة وتوضح لا تقع في هذه الناحية من «نجد» وسوف أتكلم عن كل موضع على حدة.

أما عن المكان الذي يقع فيه «سقط اللوى» فإن النصوص القديمة لم توضح مكانه بالتحديد على أنه هو الذي ذكره امرؤ القيس.

والمكان الذي ورد ذكر سقط اللوى فيه أولى من التعليلات التي لا مبرر لها إلا وجود مايسمى «الدخول» ومسمى «حومل» مع أن حومل هذا مستحدث التسمية كما بدا لي.

مع أن «شَراف» الذي حسبوه هو «سقط اللوى» كان اسمه هذا قديماً كما قال الشيخ محمد بن بليهد.

وأحسبه الذي عناه عَبيدُ بن الأبرص بقوله:

دَارٌ لِفَاطِمَةَ الرَّبِيعَ بِغَمْرَةٍ ... فَقَفا شَرَافِ فَهضْبِ ذَاتِ رُؤوسِ

فقد يكون هضب «ذات رؤوس» هو مايسمى الآن «أُمّ روس» وهي جبال لها رؤوس بارزة تقابل «شراف» من جهة الشمال.

وكثيراً ما يكون هذا السقط مكاناً مناسباً لسكنى العرب فيه نظراً لدماثة أرضه ونقاوتها، ولم ينفرد امرؤ القيس بتذكر الحبيب ومنزله بسقط اللوى فهذا بشر بن أبي خازم الأسدي يقول:

أمن دمنة عادية لم تأنس ... بسقط اللوى بين الكثيب فعسعس

فبشر بن أبي خازم يحدد لنا سقط اللوى بأنه واقع بين الكثيب و«عَسْعَس» وعسعس كما هو معروف واقع في «حمى ضرية» وبالتحديد جنوب بلدة «ضرية» وقد وصفته في كتابي «الأول» فانظر إلى صورته هناك الصورة رقم (٣٢) صفحة (١٣٦).

وسقط اللوى الذي ذكره بشر بن أبي خازم هو طرف رملة ممتدة من «رميلة اللوى» «عُرَيْق الدَّسمَ حالياً» جنوباً من جبلي «وَسَط» و«عَسْعَس».

فهل سقط اللوى هذا هو الذي ذكره امرؤ القيس، مما حدا بالسكري أن يقول وهو يعلق على بيتي امرىء القيس:

«كل هذه المواضع مابين إمَّرة وأسود العين»

صحيح أن سقط اللوى هذا واقع على طريق الحج البصري وهو واقع بين هذين الموضعين، وقد يكون هذا اجتهاداً من السكري؛ إذ لم أجد من قال برأيه غيره.

ولم تتضح بعد الرؤية بشأن «سقط اللوى» الذي قصده امرؤ القيس، ومادمتُ تعرفتُ على مكان الدخول وحومل وحددته في الطرف الشمالي الشرقي من رمال الدهناء غربي بلدتي «أُمّ عُشَرٍ» و «سَامُودَة» فإن «سقط اللوى» لابد أن يكون بينهما.

فهل تسعفنا النصوص القديمة ولو بوميض خافت يرشدنا إليه؟

لنلق نظرة على تلك النصوص لنستخرج من ثناياها ما يحدد لنا مكان اللوى أو سقطه الذي عناه امرؤ القيس.

مكان «سقط اللوى» الذي قصده امرؤ القيس

بما أنَّ سقط اللوى يطلق على طرف كل كثيب، فإن هذا المسمى سيطلق على أكثر من موضع، ولهذا فإن علماء البلدان لم يرسموا لـ «سقط اللوى» رسماً خاصاً به؛ لذا نجد امرأ القيس عندما ذكر «سقط اللوى» حدد مكانه بأنه واقع بين الدخول وحومل.

وعندما ذكر بشر بن أبي خازم الأسدي «سقط اللوى» بين لنا مكانه قائلاً.:

أمن دمنة عـــــادية لم تأنس بسقط اللوى بين الكثيب فعسعس

وقد استبعدنا أن يكون «سقط اللوى» الذي ذكره بشر بن أبي خازم هو الذي ذكره امرؤ القيس؛ نظراً لعدم وجود مايسمى بالدخول وحومل في ناحية «حمى ضرية».

فهل من باب التوافق أن يذكر الشاعران هذا السقط في طرف رمل اسمه «اللوى» أم أن علماء اللغة حينما عرفوا لنا «سقط اللوى» بأنه طرف كل رمل، كان كلامهم من باب المجاز، وأن الأصل في سقط اللوى طرف كل رمل بعينه اسمه «اللوى»؟ هذا مالسنا بصدد الكلام عنه.

فبشر بن أبي خازم ذكر سقطاً بطرف «رميلة اللوى» - عُرَيْقِ الدَّسَمِ حالياً-.

وامرؤ القيس ذكر سقطاً بطرف رمل اسمه «اللوى» يقع بين الدخول وحومل، غرباً من توضح والمقراة.

وإليك تحديد هذا «اللوى»:

١- مُلَيحَةُ: هي مايطلق عليه في وقتنا «التَّيْسِيَّة» ومليحة تقع في طرفها الجنوبي ويحدها من الشرق امتداد رمل سماه «همام بن مرة بن ذهل الشيباني» «لوى مليحة» في قوله:

فكأنما بلوى مليحة خاضبٌ شَقَّاء نِقْنِقَةٌ تُبَاري غيهبا

وهذا اللوى الذي أشار إليه واقع بالفعل بين الدخول وحومل اللذين تكلمنا عنهما.

٢- وقد سمى مؤلف كتاب «بلاد العرب» الجانب الشرقي من هذا الرمل بـ «اللوى» وذلك أثناء وصفه لمسار الطريق من «حَجْر اليمامة» إلى «الكوفة» حيث قال:

(ثم تجوز المجازة فتقع في اللِّوى، وعن يمينه قُفٌّ غليظ يفضي إلى حَزْن بني يربوع، وعن يساره رملة عظيمة تسمى الشيحة.

وأظن اللوى لبني يربوع، فتسير فيه، وليس هناك ماءٌ إلا مياه عن يمينك تبصرها قريباً من مياه الحَزْن.

فإذا جزت اللِّوى وهو مسيرة ستة أيام فيما بين المجازة ولِينَة، صرت إلى لِينَة..)[1] انتهى.

أقول: هذا الطريق الذي وصفه صاحب كتاب «بلاد العرب» قمت بتحقيقه من «حَجْر اليمامة» - الرياض حالياً- إلى بلدة «لينة» وتتبعت مساره وحددت أعلامه والأماكن التي يمر بها، وقد حققت بعض المواضع التي تبين لي أن تحقيقها كان مغلوطاً، وقد جمعت بذلك مادة سيصدر فيها كتاب إن شاء الله.

والمجازة التي ذكرها صاحب «بلاد العرب» تقع قبلة بلدة «أم عشر» والطريق من حَجْر إلى الكوفة يسير بمحاذاة الرمل الذي سماه «اللوى» من ناحيته الشرقية. وهذا المسار كما قال ليس فيه مياه، وإنما المياه عن يمين السائر معه، وقد وقفت على موارد هذه المياه في حَزْن بني يربوع.

---

(١) بلاد العرب: ص ٣٣٢.

وسالك الطريق المزفت الآن من بلدة «أم عشر» إلى بلدة «ساموده» يشاهد عن يساره رَمْلٌ؛ هذا الرمل هو رمل «اللوى قديماً».

وقد أضيف غربي هذا الرمل إلى مليحة فقال الشاعر كما تقدم «لوى مليحة» وهذا الرمل واقع بالفعل بين رمل «الدخول» ورمل «حومل» اللذين تكلمنا عنهما. انظر إلى الخريطة رقم (١) في صفحة (٧٤) لتعرف أين يقع رمل اللوى.

ولاشك عندي بأن توضح والمقراة تقعان شرقي هذا الرمل غير بعيد منه وسأتكلم عنهما فيمايلي:

«تُوْضِحُ»

توضح

قال امرؤ القيس:

فَتُوضِحَ فَالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لما نَسَجَتها من جنوب وشمأل

وتوضِح هي الموضع الرابع الوارد في معلقة امرىء القيس وقد اخْتُلِفَ في تحقيق مكانه، ولعلي أبتدىء بأقوال الباحثين في وقتنا الحاضر:

أولاً: قال الشيخ محمد بن بليهد:

(وتوضح: أرض قريبة من الهَضْب يقال لها اليوم «التُّوضِحيَّات» تقع عن جبل الحَمْل جنوباً، والحمل: جبل يقع جنوبي الهضب، فجميع هذه المواضع بعضها قريب من بعض: منها ما يبعد عن الثاني مرحلة، ومنها ما يبعد مرحلتين، وقد ذكرنا أن سقط اللوى هو طرف الأبارق التي يقال لها اليوم مُشْرف، واسمها في الجاهلية شراف... وتوضح يقال لها اليوم «التوضحيات» تقع جنوبي جبل الحمل، وموقعها من الهضب من جهة مطلع الشمس.)[1].

وفي شرحه لقول النابغة:

الْوَاهِبُ المِئَةَ الأَبْكَارَ زَيَّنَهَا سَعْدَانُ تُوضِحَ في أَوْبَارِهَا اللِّبَدُ

قال : (توضح: موضع معروف بنبات السَّعْدَان. وهو واقع بين جبل الهضب وجبل الحَمْل.[2])

ثانياً: قال الأستاذ سعد بن جنيدل:

(أَبْرَقُ المِضْيَاح... أبرق كبير واسع، يقع في بلاد المجضع «المضجع» شرقاً من رَمْل عِرْق سُبَيْع وغرباً من الدَّخولُ وفي جانبه مشاش، ماء ضحل... ولم أر له ذكراً فيما اطلعت عليه من كتب المعاجم بهذه الصيغة.

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١٧/١. (٢) صحيح الأخبار: ص ٩/٢

ولا يبعد أن يكون هذا الموضع هو الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته باسم توضح... ومما يؤيد القول أن المضياح هو ما جاء باسم توضح؛ قرب هذه المواضع من بعضها، فجبل حَوْمل وهضب الدخول وسقط اللوى بينهما لا تزال كلها معروفة، وكلها قريبة من المِضْياح...)[1].

التعليق على هذين القولين:

عندما قرر الشيخان، محمد بن بليهد، وسعد بن جنيدل: أن الدخول الواقع في عالية نجد الجنوبية هو «الدخول» الذي ذكره امرؤ القيس وبجواره جبل آخر يسميه الناس الآن «حوملاً» ذهبا يتحريان عن المواضع الأخرى كسقط اللوى، وتوضح، والمقراة، ومأسل، ودارة جلجل بالقرب من هذين الموضعين: الدخول وحومل.

وقد اتفق رأيهما حول موضعين هما: «سقط اللوى» و «مأسل» واختلفا بشأن موضعين هما: توضح والمقراة.

فالشيخ ابن بليهد يقول: إن توضح هي مايسمى بالتوضحيات جنوب الدخول، بينما يرى الشيخ سعد بن جنيدل أنه ما يسمى بـ «أبرق المضياح» الواقع غرب الدخول.

وبشأن «المقراة» يرى البليهد أنها ما يسمى الآن «القِمْرا» وهو واد.

بينما يرى الجنيدل أنها مايسمى بـ «جِفْرة الصَّاقب».

مما يوحي لي بأن سبب هذا الاختلاف نشأ من عدم التقيد بالنصوص القديمة وتحري تلك الأماكن في مظانها.

وحول مقولة صاحب «معجم عالية نجد»:

«ومما يؤيد القول أن المضياح هو ماجاء باسم توضح؛ قرب هذه المواضع من بعضها، فجبل حومل وهضب الدخول وسقط اللوى بينهما لا تزال معروفة.»

(١) معجم عالية نجد: ص ٥٥/١.

أقول: صحيح أن هضب الدخول معروف قديماً وحديثاً بهذا الاسم، ولكن لم يقل أحد من المتقدمين أن هذا هو الدخول الذي عناه امرؤ القيس.

أما عن «حومل» فهو معروف بهذا الاسم حديثاً، ولكن لم يرد عن القدماء بأنه في هذه الناحية وما ذكروه من المواضع التي تحمل هذا الاسم بعيدة عن هذه الناحية. أما سقط اللوى: فلم يعرف قديماً ولا حديثاً؛ إلا بعد أن حدداه في هذا المكان، فكيف نقول: إنه لايزال معروفاً.

ثالثاً: أما الأستاذ عبد الله بن خميس فيشارك الشيخ محمد بن بليهد بالقول بأن توضحاً هي التي في عالية نجد الجنوبية ناحية الهضب.

وهذا الرأي يؤخذ من قوله في كتابه «معجم اليمامة» فبعد أن أورد الأقوال عن توضح قال:

(قلت: ومن هذه الأقوال المتقدمة لابد لنا أن ندرك أنها مسميات ثلاث: توضح العادية وهي التي نص عليها ابن بليهد قرب جبل الهضب، ولاشك أنها التي عناها امرؤ القيس لقرب الأمكنة التي ذكرها في شعره معها لقربها منها.

وتوضح قرقرى وهي التي عناها يحيى بن طالب الحنفي ونص عليها الهمداني، غير أنها ليست التي عناها امرؤ القيس كما قال. وهذه لا توجد الآن ولم نعثر لها على ذكر عند أهل المنطقة، وهذا لاينافي وجودها سابقاً...

وتوضح الخرج وهذه موجودة الآن وتسمى «التوضحية» تقع شرق السهباء...)

انتهى قوله باختصار.

وهكذا ينضم الأستاذ عبد الله بن خميس إلى سابقيه بمقولة أن توضحاً واقعة في عالية نجد الجنوبية. وأنا لست معهم في هذا الرأي.

ولعلنا باستعراض أقوال قدماء علماء البلدان نتقرب من الناحية التي تقع فيها «توضح» التي عناها امرؤ القيس:

* **أقوال قدماء علماء البلدان عن "توضح":**

أولاً: قال ياقوت الحموي:

(تُوضِحُ: كثيب أبيض من كُثُبان حُمْر بالدهناء قرب اليمامة؛ عن نصر؛ وقيل: توضح من قرى قرقرى باليمامة، وهي زروع ليس لها نخل، وقال السكري: سُئلَ شيخ قديم عن مياه العرب فقيل له:

هل وجدت تُوضِحَ التي ذكرها امرؤ القيس؟ فقال:

أما والله لقد جئت في ليلة مظلمة فوقفت على فم طويٍّها فلم توجد إلى اليوم؛ قلت أنا - ياقوت -: فهذه غير التي باليمامة، ويؤيد ذلك أن السكري قال في شرح قول امرىء القيس: الدخول وحَوْمَل وتُوضح والمِقْراة مواضع مابين إمَّرَة وأسود العين، فأما التي باليمامة ففيها يقول يحيى بن طالب الحنفي في غير موضع من شعره:

أيا أَثَلاَت القـــاع من بطن تُوضح حنيني إلى أفـــيـــائكن طويل

ويا أَثَلات القـــاع قلبي مـــوكَّل بِكُنَّ وَجَـــدْوَى خـــيـــركنّ قليل

في أبيات وقصة ممتعة أذكرها في قَرْقَرى إن شاء الله تعالى.[1]) انتهى قول ياقوت.

ما يستنتج من هذا القول:

من هذا النص عرفنا أن هناك أربعة مواضع كلها تسمى «توضح» وهي:

١- كثيب أبيض من كثبان حُمر بالدهناء قرب اليمامة.

٢- قرية من قرى قرقرى باليمامة عبارة عن زروع ليس لها نخل.

٣- بئر ذكرها شيخ قديم ولم يحدد مكانها قال إنه وقف على طويها.

٤- موضع يسمى توضح ذكر السكري أنه بين إمَّرَة وأسود العين.

---

(١) معجم البلدان: ص ٥٩/٢.

ولعلنا نستبعد من هذه المواضع «توضح» الموجودة في قرقرى لاستبعاد أن تكون من المنازل التي يرتادها امرؤ القيس.

وتوضح هذه لاشك أنها واقعة في ما يسمى في وقتنا الحالي «قاع العُوَيند» وهو بطن توضح الذي ورد في شعر يحيى بن طالب وقد قمت مؤخراً بتحقيق موقع قصر يحيى بن طالب الحنفي في «البرة العليا» التي كانت غير معروفة ضمن بحث نشر في العدد الثالث من مجلة «الدارة» للسنة الثانية والعشرين الصادر بتاريخ رجب ١٤١٧هـ كما حققت موضع ماء «الحُجَيْلاء» الذي قال فيه يحيى بن طالب:

ألا هل إلى شمّ الخـــزامى ونظرة إلى قـرقـرى قـبل الممـات سـبـيل
فـأشـربُ من مـاء الحـجـيـلاء شـربة يداوى بهـــا قـــبل الممـــات عليل

وهذه البئر واقعة في بطن توضح المسمى «قاع العويند حالياً».

ومزارع «توضح» الموجودة في قرقرى لاشك أنها انطمرت وخفيت معالمها كما حصل لبئر «الحجيلاء» ومزارعها.

أما مكان توضح التي ذكرها امرؤ القيس فلم نتعرف عليه بالتحديد بَعْد. وأملي أن نتقرب إليه أكثر من خلال النصوص الواردة.

ثانياً: قال أبو عُبَيد البكري:

(توُضِح: بضم أوله وبالضاد المعجمة المكسورة، والحاء المهملة: موضع ما بين رمل السَّبَخَة وأُوْد.

وقال الحربي:توضح من الحِمَى وأنشد للنابغة:

الـوَاهـبُ المائَـةَ الأبـكـارَ زيَّـنَـهـــــا ســعـدان توضح في أوبارها اللبـد

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة عن هشام، ... عن أشياخ من بني تميم قد أدركوا الجاهلية قالوا:

وجدنا بالجزيرة زمن عمر بن الخطاب شيخاً قديماً قد كُفَّ بصرُه، فسألناه

عن مياه بالبادية، فقال: هل وجدتم «توضِح» التي يقول فيها امرؤ القيس:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

وهي بين رمل السّبخة وأُود التي يقول فيها مالك بن الرَّيب:

دعاني الهوى من أهل أُوْدَ وصحبتي بذي الطَّبسين فالتفتُّ ورائيا

قلنا: لا والله.

قال: أما والله لوجئت في ليلة مظلمة لوقفت على فم طويها.

قال: فقالوا له: إن فيها لشجراء، ولم توجد توضح إلى اليوم...)[1]

---

(١) معجم ما استعجم: ص٣٢٤.

ما يستفاد من هذا النص:

لقد أورد لنا ياقوت - في النص المتقدم - خبراً مقتضباً عن لقاء مشيخة بني تميم مع هذا الشيخ المسن، ولكن البكري -رحمه الله - جاء بخبر مادار من حوار بينهم وبين هذا الشيخ بشيء من التفصيل، مما سيكون له أكبر الأثر في تبسيط تحقيق العديد من الأماكن، ومنها «توضح» التي نبحث عنها وهي التي قصدها امرؤ القيس. ولعلي هنا أتساءل وأقول:

هذا نص قديم وصريح يصف لنا المكان الذي توجد فيه «توضح»، فلماذا نلجأ - والحالة هذه - إلى الحدس والتخمين؛ فنقول:

إن توضح هي مايسمى بـ «المِضْيَاح» أو «التوضحيات» في عالية نجد الجنوبية؟!

أنا لا ألوم محققي الأماكن على اجتهاداتهم، ولكن يجب أن يصاحب هذا الاجتهاد إيراد ما أمكن جمعه من النصوص التي تكلمت عن المكان المراد تحقيقه، وعدم إغفال نص صريح واضح الدلالة وترك العمل به؛ إلاَّ بعد مقارنته بالنصوص الأخرى وظهور مايدعو إلى استبعاده.

وهذا الشيخ المسن وصف لنا موقع «توضح» التي قال فيها امرؤ القيس: «فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها».

فهل «توضح» التي تَذَكَّر عندها امرؤ القيس منازل الأحبة، هي التي ذكرها جرير بقوله:

تَرَكْتُ الصِّبا من خَشْيَة أن يَهيجَني بتوضح رَسْمُ المنزل المتَقادِمِ؟

هذا لم يتضح لنا بعد، مع أن هذا أمر غير مستبعد لأن توضح تقع في بلاد قوم جرير وهم بنو تميم.

والمطلوب منا الآن هو التعرف على موضعين هما:

رمل السّبخة، وأود. اللذين قال الشيخ إن توضح واقعة بينهما وفيما يلي تحقيقي لكل من هذين الموضعين:

رمل السبخة

إن سقط اللوى واقع بلا شك بين المواضع الأربعة التي ذكرها امرؤ القيس وهي: الدخول، وحومل ، وتوضح، والمقراة.

ومادامت «توضح» واقعة بين «رمل السَّبخة» و«أُوْد»؛ فإن رمل السبخة سيكون في الناحية التي فيها الدخول وحومل، وهي منطقة رمال. فأين يقع «رمل السَّبخة»؟

لقد حدد لنا أبو إسحاق الحربي رمل «السَّبخة» حين قال وهو يصف مسار طريق الحج البصري:

(ومن الماوية إلى العُشر تسعة وعشرون ميلاً، وبالعُشر آبار.

ومن وراء العُشر الرمل، على ثلاثة عشر ميلاً، يقال له رمل السبخة، كذا أخبرني ابن سعد عن النوفلي عن أبيه قال: هو تسعة أميال، ثم تفضي منه إلى قُفّ حَجَر صلْدٍ، ثلاثة أميال، ثم تفضي من ذلك القُفّ إلى الينسوعة. فمن العشر إلى الينسوعة ثلاثة وعشرون ميلاً.)[1] انتهى.

وقد أورد شيخنا حمد الجاسر هذا النص عن الحربي في رسم «الشيحة» فكتب جملة «رمل السَّبخة» هكذ «رمل الشيحة» بالشين وعلق في هامش الكتاب قائلاً:

(٢- في الأصل «السَّبخة» خطأ)[2] انتهى.

أقول: ليس هناك خطأ فالذي ورد في كتاب «المناسك» هو الصحيح ورمل «الشيحة» بالشين، يقع غرباً من مكان «رمل السَّبخة» ورمل الشيحة يَمُرُّ به طريق الحج الكوفي أما هذا فيمر به طريق الحج البصري.

---

(١) كتاب المناسك: ٥٨٢.

(٢) وانظر «معجم شمال المملكة: ص ٧٥٨/٢.

وفي الرحلة الميدانية أشرت إلى أننا عبرنا هذا الرمل مما يلي «المجازة» شرقاً حتى أوشكنا على النزول منه على القف القريب من الينسوعة فهذا هو «رمل السَّبخة».

والرمل الذي يركب القف الواقع شرق الينسوعة قريباً منها هو رمل «حَوْمَل» ينحدر على القف من جهة الجنوب، وضَفِرته التي وصفناها عند الكلام عن «يوم طلحات حومل» هي الرمل المتراكم الواقع جنوب وجنوب غرب «الينسوعة». وانظر إلى الخريطة رقم (١) لتتصور هذا.

أود

قبل أن أبدأ بتحقيق «أُوْد» وما سيجرنا إليه من تحقيق مواضع أخرى أَوَدٌّ أن أقول:

كأني بالقارىء الكريم قد مَلَّ اللَّتَّ والعَجْنَ في محاورة النصوص، وكأني بلسان حاله يقول: نحن نريد زبدة الموضوع فقط.

وأقول: هذا شيء درجت عليه، والأمر يحتاج إلى التفصيل والإيضاح؛ لاسيما والموضوع يتعلق بأماكن من العصر الجاهلي، وقد نتطرق إلى نقض آراء علماء أفاضل؛ الأمر الذي يحوجنا إلى الاستطراد في تحقيق هذه المواضع. وأحب أن أُذَكِّر من يعتريه الملل من القراء أن الزبدة ليس الحصول عليها سهلاً فالأعرابية تبدأ بحلب الغنم، ثم تجمع الحليب لمدة يوم أو يومين حتى يروب، وبعد ذلك تضعه في السِّقاء، ثم تخضُّه سويعات حتى تصلح زبدته فتستخرجها، وهكذا تصل إلينا.

وليسمح لي القارىء أن أجمع النصوص وأناقشها لأستخرج منها ربدة الموضوع الذي نبحث عنه.

وأعلم علم اليقين أن القارىء المتخصص يهمه مثل هذا التفصيل؛ على أنني سأضع زبدة المواضيع التي بحثتها في نهاية الكتاب كخلاصة للبحث إن شاء الله والآن دعونا نبحث عن «أود» بتؤدة وروية مبتدئين بأقوال قدماء علماء البلدان:

١- قال أبو عُبيد البكري:

(أُوْد: بضم أوله، وبالدال المهملة: موضع ببلاد بني مازن. قال مالك بن الرَّيْب:

دَعَاني الهوى من أهل أُودَ وصُحْبَتي بذي الطَّبَسَيْن فالتَفَتُّ ورائيا

الطَّبَسان: كورتان بخراسان. وقال ابن حبيب:

أُوْد لبني يَرْبُوع بالحَزْن، وأنشد لابن مقبل:

للمـــازنيـــة مُـــصْطَافٌ ومُـــرْتَبَعُ مما رَأَتْ أوْد فَـالمِقْـرَاة فَـالجَـرَعُ

رأت: قابلت. قال: وقيل أُوْد والمقراة حِذَاء اليمامة.

وفي شعر جرير أُوْدُ لبني يربوع، قال جرير:

وأحـــمـــينا الإيَادَ وقلَّتَـــيْـــهِ وقـــد عـــرفَتْ سنابكهن أود ...) [1]

وفي رسم «تُوضح» – وقد تقدم بطوله – قال:

(توضح ... موضع ما بين رمل السَّبخة وأوْد.) ثم أورد قصة الشيخ الذي أخبرهم أنه لو جاء في ليلة مظلمة لورد طَوِيٌّ توضح.

وقال البكري في رسم «ذي طلوح»:

(ذو طلوح: بضم أوله، قال عُمَارة بن عَقِيل: ذو طلوح: وادٍ في أُوْد، يصب في رقمة فَلْج، وهي خَبْراء من سدر، على بطن فَلْج، وهي تأخذ ماءه أجمع. والرقمة في أرض بني العَنبر. قال: وببطن ذي طلوح القُنْفُذة وهي لبني يربوع...)[2]

وفي رسم «ذي قار» روى البكري عن أبي عُبَيْدَة، طرفاً من قصة اليوم الذي أغار فيه بنو شيبان على بني يربوع، حيث قال عن هذا اليوم الذي أسر فيه الحوفزان: «فهو يوم الصَّمْد، ويوم ذي طلوح، ويوم أوُد، ويوم ذي أخثال، وكلهن حول ذي طلوح. وقال الفرزدق:

ونحن الذين يوم أخـــثـــال قَـــرَّنوا أُسَـــارى بني بكر وَفَلُّوا الكتـــائبـــا

وقال جرير:

مِنَّا فـــــوارس مَنْعجٍ وفـــــوارسٌ شَدّوا وَثَاق الحَوْفَزَانِ بأودِ»[3]انتهى.

٢- أما ياقوت الحموي فقال عن أُوْد:

(أُوْدُ: بالضم ثم السكون، والدال مهملة: موضع في ديار بني تميم ثم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحَزْن؛ قال بعضهم:

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٢٠٩.

(٢) معجم ما استعجم: ص ٨٩٣.

(٣) معجم ما استعجم: ص ١٠٤٣.

وأَعْـــرَضَ عني قَـــعْنَبٌ فكأنما يرى أهل أوُد من صُـداءَ وسَلْهَـمَـا

وقال ابن مقبل:

للمــازنيــة مُــصطافٌ ومُــرْتَبَعُ مِـمَّـا رَأَتْ أُوْدُ فـالمِقْـرَاة فـالجَـرَعُ

رأت: أي قابلت، وقال آخر:

كــأنهــا ظَبْــيَــةٌ بِكْرٌ أَطاع لهــا من حَــوْمَلٍ تَلَعَــات الجَــوّ أو أوْدا

كـذا رُوي في هذه الأبيـات بالضم؛ وقـيل: هو واد كـان فـيـه يوم من أيام العرب...)[1] انتهى باختصار.

وقال:

(حَوايا... موضع من دون الثعلبية بقرب أود وهو بناء بالصخر يمسك الماء كهيئة البركة في مسيل الأرض.)[2]

وقال ياقوت أيضاً:

(الصَّمْدُ: بالفتح ثم السكون، والدال المهملة؛ والصَّمْدُ:

الصلب من الأرض الغليظة، وكذلك الصّمد، بالضم، وصمد: ماء للضباب، ويوم الصّمد ويوم جَوف طُوَيلع ويوم ذي طُلوح ويوم بلقاء ويوم «أُود»: كلّها واحد.

... وقال أبو أحمد العسكري:

يوم الصمد، الصاد غير معجمة والميم ساكنة، وهو يوم صمد طَلَح أُسر فيه أبجر بن جابر العجلي أسره ابن أخته عميرة بن طارق ثم أطلقه منعماً عليه، وأسر فيه الحَوْفَزانُ سيد بني شيبان وعبد الله بن عنمة الضبي. الخ...)[3] انتهى.

---

(١) معجم البلدان: ص ٢٧٧/١.

(٢) معجم البلدان: ص ٣١٦/٢.

(٣) معجم البلدان: ص ٤٢٣/٣.

التعليق على هذه النصوص:

اعتاد أبو عُبَيْد البكري ومثله في ذلك ياقوت الحموي على أن يوردا ماقيل عن الموضع الذي رسما له، دون أن يحددا لنا مكانه بدقة، وهما بما يوردانه من نصوص وينقلانه من أقوال سكان الجزيرة مهدا لنا الوصول إلى تحقيق هذه المواضع وإن اختلفت الأقوال فيها؛ فالذي يعيش بين الأماكن التي وردت فيها النصوص يستطيع معرفتها إذا أحسن إعمال النصوص والتفريق بين ما تعنيه.

وَأُوْدُ الذي قيل إن توضح تقع بينه وبين «رمل السَّبخة» غير معروف في وقتنا الحاضر، ولا سبيل إلى معرفة الحيِّز الذي فيه «توضح» إلا بمعرفة موقعه بالتحديد. ولن نتمكن من التعرف عليه إلا بتحقيق الأماكن المرتبطة به مثل وادي «ذي طلوح» وغيره من الأماكن، وهذا أمر يتطلب منا خَضَّ السِّقَاءِ لمدة أطول حتى نتمكن من تحقيق «أُوْد».

هذه بعض أقوال المتقدمين عن «أود» فماذا قال عنه علماء البلدان في عهدنا هذا:

١- قال مؤلف «صحيح الأخبار» بعد أن أورد قول ياقوت الحموي:

(أُوْد.. ولا أعلم لهذا الاسم أيضًا ذكرًا في بلاد العرب اليوم ولكن يظهر لي أن «أُوْد» واقع في شرقي اليمامة، وأن اسمه قد تغير، والذي يؤخذ من هذه الشواهد أنه في عالية نجد.

فأما قول امرىء القيس في بيته «وسالت الأوداء» فالذي يظهر لى أن الأوداء: ماء لبني تميم يقع شرقيّ اليمامة، وأنا لا أعرفه اليوم بهذا الاسم.

وأنت ترى أن ابن مقبل قد ذكر «أُود» وقرنه بالمقراة، وكذلك ترى صاحب البيت الذي بعده قرنه بِحَوْمَل، والمقراة وحومل في عالية نجد الجنوبية، ولاشك أن «أود» قريب منهن، ولكني لا أعرفه بهذا الاسم.[1]) انتهى.

---

(١) صحيح الأخبار: ص ٣٣/١.

التعليق:

درج أصحاب الرأي الذي يقول: إن «حَوْمَلَ» و«الدَّخول» واقعان في عالية نجد الجنوبية على أن يلحقا المواضع الأخرى مثل: توضح، والمقراة، و أود بتلك الجهة. وإن لم يعضد هذا القول نص وارد.

وبما أن الدخول وحومل ليسا في عالية نجد الجنوبية فإنه من الصعوبة بمكان أن نجد منها موضعاً واحداً في تلك الناحية.

٢- أما الشيخ حمد الجاسر، فقد أطال الكلام عن «أُوْد» في «معجم شمال المملكة» وجمع لنا النصوص التي ورد فيها ذكر لـ «أود» وإني مورد هنا ما قاله وإن تكرر ذكر بعض النصوص؛ لما في ذلك من فائدة. قال:

(أُوْدُ: بضم أوله وبالدال المهملة قال البكري: موضع ببلاد بني مازن من تميم قال مالك بن الريب:

دعاني الهوى من أهل أُود وصحبتي ... بذى الطبسين فالتفت ورائيا

وقال ابن حبيب: أُود لبني يربوع بالحَزْن، وأنشد لابن مقبل:

للمازنية مصطاف ومرتبع ... مما رأت أود فالمقراة فالجَرَعُ

وفي شعر جرير: أود لبني يربوع، قال جرير:

وأَحْمَيْنَا الإِيادَ وقُلَّتَيْهِ ... وقد عرفت سَنَابِكُهُنَّ أُوْدُ

وقال أيضاً:

بِأُودٍ والإياد لنا صديق ... نأى عنك الإياد، وأين أُود؟

أود والإياد بالحزن في بلاد بني يربوع.

وقال:

أَهَوىً أَراك برامتين وقودا ... أم بالجنينة من مدافع أُوْدَا

وقال سُحَيْمٌ العَبْدُ:

عفت من سليمى ذات فَرْق فَأُودُها ... وأخلق منها بعد سلمى جديدها

ذات فَرقٍ بفتح الفاء، ورويناه في الحماسة بكسر الفاء في قول عامر بن شقيق:

بذي فِـرْقَـيْنِ يوم بنو حـبـيب نُيُـوبُهُمُ علينا يحـرقـونا

قال أبو سعيد: ذات فرقين ببلاد تميم، هضبة بين طريق البصرة والكوفة، وهي إلى طريق الكوفة أقرب.

وذكر البكري أن مسحلان وادٍ من أودية أُوْد، وذكر أيضاً أن يوم أود هو يوم الصمد ويوم ذي طلوح ويوم ذي أخثال، وكلهن حول ذي طلوح، وأورد قول الفرزدق:

ونحن الذين يوم أخـثـال قـرنوا أسـارى بني بكر وفلوا الكتـائبـا

وقول جرير:

منا فـوارس منعج وفـوارس شَـدُّوا وِثَاقَ الحـوفـزان بِأُوْد

ونقل عن عمارة بن عقيل قوله:

ذو طلوح: واد في أود، يصب في رقمة فلج، وهي خبراء من سدر على بطن فَلْج، وهي تأخذ ماءه أجمع، والرقمة في أرض بني العنبر، وببطن ذي طلوح القنفذة وهي لبني يربوع.

وفي النقائض: أن يوم أُوْد هو يوم صمد ويوم بلقاء (؟) ويوم ذي طلوح يوم واحد. وتقدمت الإشارة إلى أن الواقعة لا تنحصر في مكان واحد، بل تنتشر بسبب الكر والفر في مواضع متقاربة غالباً، وتلك الأيام وقعت بين بني وائل وبني يربوع ومنازل القبيلتين متجاورة، والوائليون بقرب الكوفة، وبنو يربوع جنوبها في الحزن وما حوله، والمواضع التي حدثت فيها الموقعة في الحزن حزن بني يربوع.

وقال نصر: أُوْد -بضم الهمزة- موضع في ديار بني تميم بنجد، ثم في أرض الحَزْن لبني يربوع بن حنظلة قال:

وأعـرض عني قـعنب وكـأنما يرى أهل أود من صُـدَاء وسِلْهِـمَـا

وفيه شعر كثير.

وقال: حوايا- بفتح الحاء المهملة وياء تحتها نقطتان-: موضع من دون الثعلبية بقرب أُود، بناء بالصخر، يمسك الماء كهيئة البركة في مسيل الأرض.

وقال ياقوت:

إثْبِيتُ - بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وتاء فوقها نقطتان:

ماء لبني المُحِلِّ من بني يربوع - بأُود، عن السكري في شرح قول جرير:

أَتَعرفُ أم أنكرت أطلال دمنة بإثبيت فالجونين بال جديدها

وقال: فَرْغ القبة وفرغ الحفر: بلدان لتميم بين الشقيق وأُوْد وخُفاف، وفيهما ذئاب تأكل الناس.

وأورد من الشعر ولم ينسبه:

كأنها ظبية بكر أطاع لها من حَوْمل تلعات الجَوّ أو أُوْدا

ثم قال: وقيل هو واد كان فيه يوم من أيام العرب.

وفي «تاج العروس» أود: موضع وقيل: رملة معروفة في ديار تميم بنجد ثم في أرض الحزن لبني يربوع بن حنظلة قال الراعي:

فأصبحن قد خلفن أوداً وأصبحت فراخ الكثيب ضُلَّعاً وخرانقه

ولا أدري من أين أتى بالقول بأنه رملة، فهو قول غريب.

ويظهر من الأقوال المتقدمة أن أُوْداً من الأودية القريبة من ذي طلوح «الأجردي» قال أبو عبيدة: يوم ذي طلوح هو يوم الصمد، ويوم أود، وأود وَادٍ. أي إن ذا طلوح كان من روافده كما يفهم من كلام عمارة، وليس من المستبعد أن يكون أُوْدُ هو ما يعرف الآن باسم البشوك، فمن مياهه ماءٌ يدعى «العود» قد يكون اسمه محرفاً عن «أُود» .)[1] انتهى كلام الشيخ حمد الجاسر.

---

(١) معجم شمال المملكة: ص ١/١٤٤-١٤٧.

التعليق:

لقد أحببت أن أورد بين يدي القارىء كلام الشيخ حمد بتمامه نظراً لإحاطته بالنصوص الواردة حول «أود» ووادي «ذي طلوح» -ولا عطر بعد عروس- ولو أن شيخنا حمد الجاسر - سلمه الله - اهتدى إلى مجرى وادي «ذي طلوح» لحققه لنا بكل وضوح؛ لأنه حام حوله ثم نقله من مكانه الصحيح ليجعله قريباً من وادي «ذي طلوح» الذي حسبه وادي «الأجردي» ولعل الصواب في قوله الأخير من أن ماء «العود» قد يكون محرفاً عن «أود».

وأقول: إن وادي الأجردي ليس بوادي ذي طلوح، كما أنه ليس وادي «السِّهل» كما قال مؤلف «معجم بلاد القصيم».

وسنحقق مكانه إن شاء الله عند القيام بالرحلة الميدانية إلى «حَزْن بني يربوع».

الرحلات الميدانية إلى حزن بني يربوع

مع أنَّ «أُوْداً» من الأماكن المشهورة عند العرب حيث ذكروه كثيراً في أشعارهم؛ إلاَّ أنه لم يُحَدَّد مكانه، مما يدل على أن تغيير مسماه كان قديماً فلا يعرفه أحد في زمننا هذا، ونظراً لغرابة اسمه فقد لاحظت من سكان تلك الناحية استغرابهم لهذا الاسم، عندما نسألهم عنه.

وقد قمت بثلاث رحلات متتابعة إلى الطرف الجنوبي الغربي من «حزن بني يربوع» صحبني في الرحلة الأولى الشيخ محمد الفارس، وصحبني في الرحلتين الأخيرتين الأستاذ سعد الماضي.

والواقع أن تلك الرحلات لم تقتصر على البحث عن «أود» ووادي «ذي طلوح» فقط، وقد تحقق من خلال هذه الرحلات التعرف على بعض الأماكن؛ أما هذان الموضعان: أود، وذو طلوح، فكلما قلت إنني اقتربت منهما ابتعدا عني وكأن ليس لهما وجود.

ومع هذا لم يتطرق اليأس إلى نفسي؛ فقررت أن أُعِدَّ خريطة تقريبية لمجريات أحداث «يوم ذي طلوح» و «يوم أُود» وهما اسمان ليوم واحد من أيام العرب التي جرت بين بني وائل وبين بني يربوع.

وقبل أن نقوم بالرحلة الأخيرة للبحث عن هذه المواضع دعونا نورد ما قيل عن هذا اليوم، عسى أن نتمكن من تحقيق بعض المواضع التي ترد أسماؤها لتقربنا من ذي طلوح وأود.

«حديث يوم ذي طلوح»

(قال أبو عُبَيْدَةَ: وهو يوم الصَّمْد، ويوم أُوْدٍ، وأُودُ وَاد وكان من حديث يوم ذي طُلوح أن عَميرَة بن طارق بن حَصَبَة بن أزنم بن عُبَيْد بن ثعلبة بن يربوع تزوج مُرَيَّةَ بنت جابر أخت أَبجَرَ بن جابر العِجْليّ لأبيه وأمه، قال: فخرج عَميرة حتى ابتنى بامرأته مُرَيَّة في بني عِجْلٍ وتحت عَميرة بنت النَّطِف بن خيبري السّليطي.

قال أبو عُبَيدَة قال سَليط بن سعد بل هي امرأة من طُهَيَّة خلفها في قومه. قال فأتى أبجر أخته امرأة عَميرة يزورها فقال لها إني لأرجو أن آتيك بابنة النَّطِف امرأة عَميرَةَ. وسمعه عَميرَةُ فقال: ماأراك تبقي عليَّ حتى تحربني وتسلبني فندم أبجرُ، فقال لعميرة ماكنت لأغزو قومك ولكني متياسر في هذا الحيّ من تميم. قال فغزا أَبْجَرُ والحَوْفَزَانُ - واسمه الحارث بن شَريك - متساندين، هذا فيمن تبعه من اللهازم وهذا فيمن تبعه من بني شيبان. قال ووكلا بعميرة بن طارق حُرْقُصة بن جابر لئلا يأتي قومه فينذرهم وتحت أبجر امرأة من بني طُهَيَّة يقال لها سَلْمى بنت محصن، فأتاها عَميرةُ فقال لها: كيف أنت لو قد جاء غِلمانُ بكر بن وائل فسبوا نساءك وإني رجل مُوَكَّل بي فأعينيني على حيلتي فقالت له سلمى وأنا أعينك على ما أردت، وهي حُبْلى مُتِمٌ برافع بن أبجر.

قال: فأصبح الناس ظاعنين يتحملون إلى الكِلْواذة فقالت أما إني مَاخِضٌ.

قال وسار عَميرةُ في السَّلف ساعة ثم قال لحُرْقُصَة الموكل به لعلي لو قد رجعتُ إلى أهلي فاحتملتهم فقد ولدت صاحبتكم فقال حُرقصة لا أُبالي أن تفعل، فَكَرَّ عميرةُ على ناقة له يقال لها الجنيبة فلقي سلمى بنت محصن امرأة أبجر قد احْتُمِلَت هي وصواحبها، فأتاها فوافقته فقالت له قد خبأت لك خبيئة حيث كان فراشي زادَك وسقاءً، قال: فمضى حتى أخذها فلم يُفْقد حتى تحَالَّ الناسُ عند المساء ففقده حُرْقصةُ فأتى امرأته فقال أين عميرة، فقالت لَقيَنا ضُحًى فوافقنا ثم مضى إلى دورنا فلم نره بَعْدُ فاستحيى حُرْقصة أن يذكر أمره لأحد.

قال ومضى عميرة فمضى يومه وليلته والغدَ حتى إذا لقي أنْفَ الزَّوْرِ من الصحراء وغربت الشمس أناخ فقيَّد راحلته ثم نام حتى إذا علاه الليل قام فلم يَرَ ناقته، فقال عميرة فقمت وسعيت ليلاً طويلاً، قال فإذا سواد في الليل عظيم فظننته الجَيْشَ فَبتُّ أُراصده مخافة أن أُوخذ حتى أضاء الصبح فإذا نَعَامٌ كثير وإذا ناقتي تَخْطِرُ قريباً مني فقمت غضبان على نفسي فأجددت السَّيْرَ يومي وليلتي حتى أرد سَفارِ - وهو ماء لبني تميم - فوجدت في منزل القوم نِسْعَة فسقيتُ بها راحلتي وطعمتُ من تمري الذي كان معي وشربت من الماء ثم ركبتها مُسْيَ الثالثة فأصبحت بالحَطَّامة من ذي كريب فإذا ناس يَعْلُقونَ السِّدْرَ - يعني يرعونه - فتحرّفتُ عنهم مخافة أن يأخذوني فناداني بعضهم إنما نحن صُدَّار البيت - يعني مكة والصُّدّار الراجعون - فنفذت حتى أُصَبِّحُ طَلَحَ وبها جماعة بني يربوع فقلت قد غزاكم الجيش من بكر بن وائل فشأنكم.

قال فبعث بنو رياح بن يربوع فارسين طليعة أحدهما غلام للمُشَبَّر أخي بني هَرْميّ بن رياح، وبعث بنو ثعلبة فارسين في وجه آخر أحدهما المُطَوَّحُ بن أُطيط والآخر جَرَاد بن أُنَيْف بن الحارث بن حَصَبَة، قال: ومَكَثَتْ بنو يربوع يوقدون نيرانهم على صَمْدِ طَلَحَ فكانوا كذلك ثلاثاً ثم إن فارِسَيْ بني ثعلبة جاءا فقالا لم نُحِسّ شيئاً. قال عَميرةُ فما تمنيت الموت قط إلا يومئذ حين جاء الفارسان لم يحسا شيئاً مخافة أن يكونوا أرادوا غيرهم فيكون ماحدثتهم به باطلاً وليلة ذهبت ناقتي مخافة أن أُوخذ فيقال نام فأخذ.

فلما تعالى النهار من اليوم الثالث طلع فارسا بني رياح بن يربوع.

قال: وإذا العَبْد لا يُوَقي فرسه خَبَاراً ولا حَجَراً ولا جُرْفاً وهو على الخَصِيّ فرس بني هرمي بن رياح فقالا: تركنا القوم حين نزلوا القَسُومِيَّة.

قال فتلببنا ثم ركبنا ثم أخذنا طريقاً مختلفاً حتى وردنا اليَنْسُوعَةَ فوجدنا منزل القوم حين استقوا وسَقَوْا ونثروا التَّمْرَ وتَخَفَّفُوا للغارة واستقبلوا أسفل ذي

طلوح. قال فاتَّبَعْنَاهم وتحتي فرس ذَريعة العَنَق فتقدمت الخيل فوقفت حتى أدركوني، ثم بعثنا طليعة فجاءنا فأخبرنا أنهم بالطلحتين نزول بأسفل ذي طلوح، فمكثنا حتى إذا بَرَق الصبح ركبنا وركب القوم وهم يريدون الغارة فكنت أول فارس طلع فناديت يا أَبْجَرُ هَلُمَّ قال مَن أنت قلت عميرة بن طارق فكذَّبني فسفرت عن وجهي فعرفني فنزل عن فرس كان عليها مُرَكَّباً لابن الغزالة السَّكوني - قال وبنو الغزالة في بني شيبان اليوم - وعَلَيَّ مُلاَءَةٌ حمراء فطرحتها وجلس عليها فقال إني مُرَكَّبٌ فاعلم - قال والمركَّب أن يأخذ الرجلُ فرس صاحبه فما أصاب على ظهره فلصاحب الفرس نصفه -

قال: ثم إنهم التقوا فأسر الجيش إلا أقلهم فكان ممن انفلت منهم وابصة أحد بني أسعد بن همام وأُخِذَ أخوه فلما أتى أهله أتته بنت أخيه تسأله عن أبيها، فقال الشيخ في ذلك:

تسائلني هُنَيْدَةُ عن أبيها ... وما أدري وما عبدتْ تَميمُ
غداة عهدتهن مُقَلِّصَات ... لَهُنَّ بكل مَحْنِيَةٍ نَحيمُ
... فما أدري أجبنا كان دهري ... أمِ الكوسى إذا عُدَّ الحزيمُ

قال: وأَخَذَ حنظلةُ بن بشر بن عبد الله بن دارم الحَوْفَزان، وكان حنظلة في بني يربوع وأخذه معه أبو مليل وأخذه معهما عَبْدُ عمرو بن سنان...)[1] إلى آخر القصة.

وقد كرر خبر هذا اليوم في صفحة (٤٧/١) مع فارق بسيط في الوصف، ومن هذه الروايه الأخيرة أحب أن أذكر بعض العبارات التي قد تفيدنا عند البحث عن الأماكن:

١- قال: ومكث بنو يربوع يوقدون نارهم على صَمْدِ طَلَحَ [الصَّمْد الموضع الغليظ الصلب] وأطلعوا السَّبْيَ الشَّقِيق فكانوا كذلك ثلاثاً (والشقيق من الرمل

---

(١) النقائض: ص ٧٨١/٢ - ٧٨٤.

الجَدَدُ بين الرملين وربما كان ميلاً وخمسة أميال وأكثر).

٢- قال: فَتَلَبَّبْنَا ثم ركبنا ثم أخذنا طريقاً مختلفاً حتى وردنا اليَنْسُوعَة حين غابت الشمس فوجدنا معركة القوم حين استقوا وسقوا ونثروا التمر وتخففوا للغارة ثم أخذوا بطن المِذْنَبِ فاتبعناهم حتى وارى أثرهم عنا الليل واستقبلوا أسفل ذي طلوح.. حتى إذا كنا حيث اطَّلع الطريقُ من ذي طلوح وقفنا وأمسكنا بِحَكَمَاتِ الخيل ثم بعثنا طليعة أخرى... انتهى.

هذه أحداث يوم «ذي طلوح» ويسمى أيضاً «يوم أُوْد» نظراً لقرب أحد الموضعين من الآخر؛ فالمعركة حصلت في أسفل ذي طلوح.

وقد ذكر أن ذا طلوح واد في «أود» مما يدل على أن «أوداً» يطلق على الوادي وعلى الأرض المحيطة به ووادي ذي طلوح بلاشك يسيل من هذه الأرض التي يطلق عليها «أود».

وأسفل وادي «أود» أسر فيه «الحَوْفزان» أحد قادة الغزاة حيث قال الفرزدق:

والحوفزان تداركته غارة منا بأسفل أود ذي الآرام

وقال جرير:

منا فوارس منعج وفوارس شدوا وثاق الحوفزان بأود

وحتى نتعرف على «أُوْد» لابد لنا من التعرف على المواضع الأخرى التي ورد لها ذكر في أحداث هذا اليوم من أيام العرب؛ ولا سيما تلك الأماكن القريبة من أود مثل:

ماء طَلَح، والقسوميات، والينسوعة، والمذنب، وذي طلوح.

ولو أن هذه المواضع الخمسة معروفة في زمننا هذا، أو أن الباحثين حققوها تحقيقاً صائباً لأمكننا العثور على «أود» بسهولة، ولكن يبدو لي أن دون تحقيقه «خَرْط القَتَاد»؛ ولذا سأعمل على عضد هذه الأشواك التي اعترضت طريقنا إليه وأعمل على تحقيق هذه المواضع الخمسة مستعيناً بالله.

ماء طلح

طَلَحٌ: مورد ماء قديم له شهرته منذ العصر الجاهلي؛ ولذا ورد ذكره في يوم «طلحات حومل» وفي يوم «ذي طلوح».

فعندما انتصر بنو وائل في يوم «طلحات حومل» اشترطوا على الأسرى الذين كانوا معهم من بني يربوع أن يردوا هذا الماء في عودتهم إلى ديارهم، دون مَنٍّ ولاطلاقة.

وفي يوم ذي طلوح الذي انتصر فيه بنو يربوع عليهم، كان بنو يربوع ينزلون على هذا الماء وقد أنذرهم «عَميرة بن طارق» قبل وصول الغزاة إليهم.

ونظراً لما لهذا الماء من شأن في الأحداث التاريخية فإن من المستحسن التعرف عليه وتحديد مكانه بدقة.

قال عنه ياقوت الحموي:

(طَلَحٌ: بالتحريك، وهو مصدر طَلَح البعير يطلح طلحاً إذا أعيا، والطَّلَح أيضاً: النعمة...)[1]

وقال في صفحة ١٥٧/٣: الزور: موضع بين أرض بكر بن وائل وأرض بني تميم على ثلاثة أيام من طَلَح.

وقال في صفحة ٣٤٩/٤: القَسُومية: موضع في ديار بني يربوع قرب طَلَح.

وفي كتاب «المشترك صفحة ٣٩٣ قال: «باب طَلَحَ موضعان».

بفتح الطاء واللام والحاء طَلَحٌ: موضع ذكره الأعشى في قوله:

ورأينا المرءَ عمراً بطلح.

وذو طَلَح: موضع آخر دون الطائف لبني محرز...

كما ذكر أبو عبيد البكري في كتابه معجم ما استعجم، أن طلحاً: موضع في

---

(١) المعجم: ص ٣٨/٤.

ديار بني يربوع وذكر بيت الأعشي.

ويقول الشيخ حمد الجاسر:

(طَلَح: بفتح الطاء واللام وآخره حاء مهملة. ذكره ياقوت أنه موضع في بلاد بني يربوع، وذكر أن الأعشى أتى عمرو بن هند في طَلَح قال:

كم رأينا من أناس هلكوا ورأينا المرء عَمْراً بِطَلَحْ

ويفهم من النصوص التي ورد فيها ذكر هذا الموضع أنه بقرب ذي طلوح «الأجردي» في منطقة التيسية وتلك من حزن بني يربوع.

وكان ملوك الحيرة يتبدون في الأمكنة القريبة منها، في الحزن وما حوله.)[1] انتهى.

وفي رسم «الطُّلَيحي» بعده قال الشيخ حمد:

(الطليحي: بضم الطاء المهملة وفتح اللام بعدها مثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة مكسورة فياء النسب: من المناهل المعروفة...

في الطرف الغربي من التيسية، شمال بلدة قُبة غير بعيد عنها. شمال جبل روية «انظر هذا» وليس ببعيد أن يكون الطليحي هو ما يعرف قديماً باسم طلح، على مقربة من طحال الذي ورد مقروناً بروية في الشعر القديم يقع بقرب درجة الطول ٥َ. ٤٤ْ ودرجة العرض ٣٥َ ٢٧ْ ٠) انتهى.

أما مؤلف «معجم بلاد القصيم» فيقول عن «طَلَحَ»:

(الطُّلَيْحي: بصيغة تصغير الطلحي الذي هو إلى الطلح بفتح الطاء وإسكان اللام مورد ماء قديم يقع على بعد ٢٦ كيلاً إلى الشمال من بلدة «قبه» في أقصى شرق القصيم.

والظاهر أنه الذي كان يسمى في القديم «طلحاً» نسبه المتأخرون إلى طلح ثم صغروه بعد ذلك.

---

(١) معجم شمال المملكة: ص ٢/ ٨٣٢.

قال البكري: طَلَح، بفتح أوله وثانيه، بعده حاء مهملة: موضع في ديار بني يربوع. أقول: الطليحي يقع في منطقة كانت في صدر الإسلام لبني يربوع فهو في التيسية التي كان جزءٌ كبير منها يسمى حزن بني يربوع مما يدل على أن الطليحي هذا هو «طَلَح» القديم. - إلى أن قال -:

أقول: القول له - وَجَّه الأستاذ حمد الجاسر ذلك بأن «طلح» بقرب «ذي طلوح» الذي رأى أنه الأجردي في منطقة التيسية وذلك من حَزْن بني يربوع، وكان ملوك الحيرة يتبدون في الأمكنة القريبة منها في الحزن وما حوله.)[1] انتهى.

التعليق على رأي الشيخين:

من كلام شيخينا يفهم أنهما غير جازمين بأن «الطُّلَيحي» هو «طَلَح قديماً» فالشيخ حمد قال: «وليس ببعيد أن يكون الطليحي هو ما يعرف قديماً باسم طَلَح».

والشيخ محمد قال: «والظاهر أنه الذي كان يسمى في القديم طَلَحاً».

وأنا لست معهما في هذا القول؛ لأن ماء «طَلَح» الوارد ذكره في أيام العرب واقع في حَزْن بني يربوع وحَزْن بني يربوع يقع شرق رمال الدهناء، ومايسمى بـ«التيسية الآن» ليست من حزن بني يربوع؛ حيث تفصلها عن الحزن عروق الرمال بعرض عشرين كيلاً تقريباً.

كما أن وادي «ذي طلوح» ليس هو وادي «الأجردي» كما قال الشيخ حمد الجاسر. وليس هو وادي «السِّهْل» كما قال الشيخ محمد العبودي. وسأتكلم عن تحديد مجرى وادي «ذي طلوح» الذي قيل إن سيله ينحدر من «أُوْد» وهل تحقيقنا لهذه المواضع إلا تمهيدٌ لتحقيق «أود» ومن ثم تحقيق «توضح» على ضوء ما يتضح لنا.

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص ١٤٩١/٤.

ومادمنا بسبيل الحديث عن «طَلَح» وأن رحلاتنا إلى «حَزْن بني يربوع» موصولة، وأن الطريق إلى ماء «طَلَح» وإلى الأماكن التي أرى أن ضالتنا موجودة فيها؛ قد حال بيننا وبينها بعض العوائق التي مَنعَتْ من الوصول إليها؛ فقد قررت الاستعانة بالله ثم بالمسؤولين في «مدينة الملك خالد العسكرية» بحفر الباطن.

وقد لقيت من سعادة اللواء «تركي بن حديجان النفيعي» قائد القاعدة، ومن سعادة العقيد «عبد العزيز بن عبد الكريم الباهلي» - الذي مَهَّدَ مشكوراً للاجتماع بسعادة اللواء تركي - كل عون ومساعدة في تذليل ما واجهته من صعوبة الوصول إلى بعض الأماكن التي رغبت الوقوف عليها.

وقد كلف سعادة اللواء تركي، الأخ الرقيب «عايض بن مسفر العتيبي» المسؤول عن الميادين الشمالية بمرافقتي وتذليل ما يعترض سبيلي من عوائق.

ولن أنسى فضل جميع من ساعدوني في الوصول إلى تحقيق ما استعصى علي تحقيقه.

وليس هذا بمستغرب على من أحب هذا الوطن وسعى إلى دعم ما فيه مصلحته في شتى المجالات.

ففي صبيحة يوم الثلاثاء ١٤١٧/١٢/٢٢هـ بدأت جولتي في الطرف الجنوبي الغربي من «حَزْنِ بني يربوع» برفقة الأخ الرقيب عايض.

وقبل القيام بهذه الرحلة كنت قد حددت المواضع التي سأقف عليها وهي:

١- ماء «طَلْحَة» أو طَلْحَا - كما يسمى أحياناً -، وآبار طلحة هذه أحد مياه «البشوك» وقد رشحتها أن تكون ماء «طَلَح».

٢- جَوّ أم عْمَارة: حيث رشحته على أنه أسفل «أود».

٣- آبار «غْبَاشَة» وغُبيْشَان، حيث رشحتها «ثمد القسوميات» وكذلك الوقوف على مايسمى «عيبة القسومية».

٤- شعيب القسومي، وهذا واد يدفع في فيضة أم عشر، وقد رشحته مع واد آخر يقع عنه شرقاً يدفع في فيضة «أم عواقيل» ليكون أحدهما هو وادي «ذي طلوح» وهذان الواديان يدفعان في بطن فلج «الباطن».

لقد فضلت في البداية الوقوف على آبار «طلحة» أو طلحا، لكونها أبعد الأماكن التي سوف نزورها، ولكونها المفتاح للتعرف على بقية الأماكن؛ لأن بني يربوع كانوا نازلين عليها عندما غزاهم بنو وائل. وقبل أن نصل إليها بمسافة كيل واحد، سألني الرقيب عايض قائلاً: كم بقي من المسافة حسبما يشير الجهاز، فقلت قرابة أربعة أكيال ونصف.

فقال: لم يبق سوى كيل واحد، ثم نصل إلى آبار تعتبر من أكبر مياه البشوك ولم نكمل حوارنا حول المسافة حتى هبطنا جواً منخفضاً عما حوله، فقال هذه هي الآبار. وهي عدة آبار مطوية بالحجارة وحول فوهاتها بنيت أحواض من ألواح حجرية لسقي الإبل، ويبدو قدم هذه الآبار من الأخاديد التي حفرتها الأرشية في حجارة الطي. انظر إلى صورة بئرين من تلك الآبار المنظرين رقم (٧) ورقم (٨).

(٧) منظر إحدى آبار «طَلَح» وقد وقف الرقيب عايض قرب فوهتها، وحولها بُنيت الأحواض الحجرية.

(٨) منظر بئر ثانية من آبار «طَلَح» ويبدو قدمها من الأخاديد التي حفرتها الأرشية في حجارة الطي.

والآبار في هذا الجو كثيرة بعضها مدفون، وفي وسط الجَوّ بين الآبار تلة مرتفعة فيها كثير من القبور الأمر الذي يدل على أن هذه الآبار من الموارد التي يقطنها العرب.

وقد سألت الرقيب عايض عن اسم هذه الآبار فقال: قيل لي إن اسمها «الآبار السَّبْع». فقلت له: لم أقرأ أو أسمع أن من مياه البشوك مايسمى بهذا الاسم، فقد كان هذا الاسم مستغرباً بالنسبة لي. وهذه الآبار القديمة واقعة على خط العرض ٤٦ً ٠٤َ ٢٨ْ وخط الطول ٠٠ً ٤٢ْ ٤٤ْ.

من هذه الآبار التي تَسَمَّرتُ عندها وتمنيت أن تكون هي آبار «طَلَح القديمة» اتجهنا شمالاً إلى الآبار التي حددت موقعها من واقع الخريطة التي أحملها معي وقد بقي على وصولنا إليها ثلاثة أكيال ونصف الكيل فقط.

وعند الوصول إليها ألفيتها عبارة عن بئرين أو ثلاث إحداها مستحدثة وقد زرع فيها نخيلات منذ سنوات وبقيت إحدى النخيلات تصارع العطش بعد إهمالها.

بعد مشاهدتي لهذه الآبار لا أخفي أنه سُقِطَ في يدي حيث لم تشجعني هذه الآبار على ترشيحها بأن تكون هي ماء «طَلَحَ قديماً» كان طريق عودتنا يمر بالآبار السابقة، وعندها كان لي وقفة تأمل وإعادة نظر، إذ لابد من معرفة اسمها من واقع الخريطة.

وكانت الخريطة التي أخذت منها إحداثية آبار «طَلْحَة» غير قريبة من متناول اليد، فتناولت خريطة أحدث منها فكانت المفاجأة؛ حيث وُقِّعَتْ هذه الآبار باسم قلبان «طلحة» بينما وُقِّعت الآبار الواقعة عنها شمالاً بعد ثلاثة أكيال ونصف الكيل باسم قُلْبَان «وسيط» عند ذلك أدركت أنني وقعت فريسة تداخل المسميات، وأن هذه الآبار الملفتة للنظر ماهي إلاَّ آبار «طَلْحَة» لذا لم يبق عندي أدنى شك بأنها آبار «طَلَح قديماً» للمبررات التالية:

١- هذه الآبار احتفظت بمسماها القديم من العصر الجاهلي حتى الآن ولكن

بتغيير بسيط فمن مسمى «طَلَح» أسموها «طَلْحَا» أو «طَلْحَة» وهذا يحدث لكثير من المسميات.

٢- هذا الماء واقع في حزن بني يربوع كما نصت بذلك أقوال المتقدمين وهذا الجزء من الحَزْن يسمى الآن «حجرة البْشُوكْ».

٣- في الرحلات السابقة لهذه الناحية مررت بالقرب من ماء «طَلَحٍ» هذا من الجهة الغربية فشاهدت بالقرب منه مرتفعاً من الأرض الحجرية يبدو للناظر من بعد كأنه سِنَاف مرتفع. هذا المرتفع المشرف على ما حوله هو ما يسمى قديماً بـ «صَمْدِ طَلَح» وهو الذي أوقد عليه بنو يربوع النار ثلاثة أيام عندما جاءهم النذير بقدوم الجيش الغازي، وأبو عبيدة عرف لنا الصمد في خبر هذا اليوم بقوله:

«الصَّمْدُ: الموضع الغليظ الصلب». وهذا الوصف ينطبق تماماً على هذا المرتفع الواقع بالقرب من هذا الماء، ويسمى الآن «شعفة وسيط» انظر إلى صورة هذا الصَّمد، المنظر رقم (٩).

(٩) منظر «صَمْد طَلَح» يبدو للناظر من بُعْدٍ. وهو الذي أوقد عليه بنو يربوع النار؛ عندما بلغهم خبر الغارة عليهم.

أما المرتفعات التي حول ماء «الطليحي» الواقع شمال «قُبَة» فهي عبارة عن أنوف جبال مرتفعة لا يصدق عليها مسمى الصَّمْد.

٤- عندما وصل «عَميرة بن طارق» إلى وادي «ذي كريب» وهو معروف الآن باسم وادي «كريم» ويقع إلى الشمال الشرقي من «طلَح» قال: «فأصبحت بالحطامة من ذي كريب... فنفذت حتى أصبح طَلَح وبها جماعة بني يربوع فقلت قد غزاكم الجيش».

هذا القول يدلنا على قرب ماء «طَلَح» الذي به جماعة بني يربوع، وأنه لا يبعد سوى مسير سويعات للناقة السريعة التي يركبها نذير بقدوم جيش غاز. وماء «طَلَح» هذا يبعد عن كريب قرابة ثمانين كيلاً ولو سلمنا جدلاً بأن ماء «طَلَح» هو ماء «الطليحي» الواقع شمال بلدة «قبة» فإن على «عميرة بن طارق» أن يسير ضعف المسافة أو أكثر. وبينه وبين «الطليحي» عروق الرمال.

٥- ماء طلح الذي وصفناه يقع بالقرب من «أود» ومن وادي «ذي طلوح» وكذا «القسوميات» على ما سأوضحه عند الكلام عن هذه المواضع.

أُوْد:

خضعت خطة الوقوف على الأماكن التي أزمعت الوقوف عليها لطبيعة الأرض فالسير في هذا الحَزْن صعب لأنه منطقة حجرية؛ ولهذا قررنا الاتجاه إلى «أُمّ عْمَارة» وهي التي توقعت أنها أسفل «أُوْد» الذي قال عنه الفرزدق:

والحوفزان تداركته غارة منا بأسفل أود ذي الآرام

فما هي هذه الآرام الموجودة في أسفل أُوْد منذ تلك العصور الماضية؟

قال صاحب لسان العرب:

والإرَمُ: حجارة تنصب علماً في المفازة والجمع آرَامٌ وأُرُمٌ مثل ضِلَع وضلوع وفي الحديث: ما يوجد في آرام الجاهلية وخِربها فيه الخمس؛

والآرام: الأعلام، وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها، واحدها

إِرَمٌ كعِنَب... الخ)[1]

كان الطريق من آبار «طَلَح» إلى «أُمِّ عمارة» عن طريق مسارب المياه لسهولة السير فيها، ولأن القصد هو التعرف على أعالي الشعاب التي تدفع في «أم عمارة» فأنا أبحث عن واد اسمه «أُوْد» قدرت أن «أُمَّ عمارة» هي أسفله، وعلى هذا الأساس سرنا.

إن السائر في مثل هذا الحزن لا يُحِسُّ بأنه يسير مع مجرى وَادٍ إلا إذا وصل إلى فيضة تتجمع فيها مياهه، وقد لاحظت أثناء سيرنا أن مياه السيول تتجمع أحياناً وتتفرق أحياناً أخرى، وعندما تمتلىء الفياض التي يمر بها السيل يخرج منها في طريق انحداره.

وقد مررنا بعدد من الفياض والرياض. منها فيضة تقع على خط العرض ٤٢ً ٠١َ ٢٨ْ وخط الطول ٨.ً ٥١َ ٤٤ْ وبعدها من الشرق فيضة أخرى على خط العرض ١٢ً ٠٢َ ٢٨ْ وخط الطول ٤٠ً ٥١َ ٤٤ْ وقد أدينا صلاة الظهر في هذه الفيضة، وهي ذات منظر جميل حيث يلتف فيها شجر السِّدْر بأشكاله البديعة، وهي من المتنزهات التي يقل وجود مثلها وقد لا يتصور البعض وجود مثل هذه الخمائل في وسط هذه الأرض الحجرية ذات المسالك الوعرة. ثم فيضة ثالثة واقعة على خط العرض ٣٠ً ٠٢َ ٢٨ْ وخط الطول ٤٥ً ٥٢َ ٤٤ْ.

بعد ذلك بدأت الأرض التي نسير عليها تتغير حيث تكونت مرتفعات احتوت بين جنباتها فيضة كبيرة واقعة على خط العرض ٣٠ً ٠٠َ ٢٨ْ وخط الطول ٤٤ً ٥٤َ ٤٤ْ.

كنا نقترب من «أمّ عْمَارة» ولكن الطرق الضعيفة تختفي ثم تظهر، إلاَّ أنَّ الرقيب عايض عارف بمسالك هذه الأرض الوعرة.

فانحدرنا على «جَوّ أُمّ عمارة» وهو عبارة عن منخفض في هذا الحزن يمتد

---

(١) اللسان: ص ١/٥٠.

لمسافة بضعة أكيال، وتنحدر مياه السيول في هذا المنخفض ولا تخرج منه، وهو عبارة عن روضة مستطيلة مليئة بأشجار السدر وأنواع النباتات الأخرى.

وقد تجولنا في أطرافها، وكنت حريصاً على مشاهدة الآرام التي ذكرت في أسفل «أود» هذا إذا كانت «أم عمارة» هي ما ظننته فيها، ومع هذا فإنها لم تخيب ظني فقد عثرت على هذه الآرام، وهي عبارة عن أكوام من الحجارة، وبقي بعضها ينم عن أنها كانت على شكل غرف صغيرة جداً، وتنتشر هذه الأشكال الغريبة على ضفاف الفيضة من الناحية الشرقية، وعلى طول امتدادها.

بالنسبة لي فلم يبق لدي شك أن «أم عْمَارَة» ماهي إلاَّ أسفل «أود» ذي الآرام، ويبقى دور الآثاريين ليقولوا كلمتهم. انظر إلى صور لهذه الآرام المناظر رقم (١٠) ورقم (١١) ورقم (١٢).

فإذا قلنا: إن هذا هو أسفل «أود» ، فأين أعلاه ومجرى واديه؟

إن مجاري المياه التي وَصَفْتُ مسيرنا عبرها في طريقنا إلى «أم عمارة»» سميت في الخريطة «خَوْرُ العَوْد».

(١٠) منظر جانب من «جَوّ أم عْمَارة» وهو «أسفل أوْد قديماً» ويرى جزء من «الآرام» حوله.

(١١) منظر من آثار «الآرام» الواقعة في «أسفل أود».

(١٢) منظر جانب من آثار «الآرام» في «جَوّ أم عمارة» أسفل أود قديماً.

والخَوْرُ في اللغه هو: مَصَبُّ الماء في البحر، والمنخفض من الأرض بين مرتفعين. فهل كلمة «خَوْر» قديمة؟ لاشك أنها تسمية غريبة خاصة في هذه الناحية. ويبقى عندنا كلمة «العَوْد» فماذا تعني ؟

في أعلى هذا الوادي آبار تسمى «قلبان العَوْد» ويقول الشيخ حمد الجاسر عنها:

(العَوْد.. أحد آبار البُشُوك وهو الجنوبي الشرقي منها جنوب شرق سَرَاب بما يقرب من ثلاثة أكيال وهو أغزرها ماءً)[1] انتهى.

ويقول في آخر كلامه في رسم «أُوْد» بعد أن أورد النصوص التي تكلمت عنه:

(وليس من المستبعد أن يكون أُودُ هو مايعرف الآن باسم البشوك، فمن مياهه ماء يدعى «العود» قد يكون اسمه محرفاً عن «أُوْد».)

انتهى كلام الشيخ حمد الجاسر.

ولعلي هنا أستأنس بكلام شيخنا حمد، وأقول: إن ماء «العَوْد» هو ماء «أود قديماً»، وأن «خور العود» هو وادي أود، وأن «جَوّ أم عمارة» هو أسفل هذا الوادي كما توقعته.

وقد يثار سؤال مفاده:

من أين جاء هذا التحريف ومتى حصل؟

للإجابة عن هذا أقول: ليس من المستبعد أن هذا الماء والوادي كان يطلق عليهما المسمى القديم «أود» ومع مرور الزمن ورحيل سكانه القدماء استصعب من خَلَفَهُم عليه هذا الاسم الشاذ فقلبوا الألف عيناً لتصبح الكلمة «عَوْد» فأدخلوا عليها «أل» فصار الناس يسمونه «العَوْد» إلى زمننا هذا.

هذا مجرد استنتاج؛ أما الوصول إلى التحقيق الصحيح على أنه «أود» فلابد من انطباق جميع النصوص القديمة بما فيها المواضع التي جاء لها ذكر في

(١) معجم شمال المملكة: ص ٣/ ٩٥٧.

أحداث يوم «صَمْدِ طَلَح» وهو يوم «ذي طلوح» وقد أوردنا قصته.

وبقي علينا التعرف على القَسُومِيَّات، ووادي ذي طلوح وما يتعلق به من مواضع ومتى تمكنا من المسير مع درب الجيش الغازي ووقفنا على الأماكن التي مَرَّ بها وتعرفنا عليها؛ حينئذ يحق لنا القول الجازم فيما سنحققه.

القسوميات

بعد أن أنهينا تجوالنا في أسفل أُوْد وآرامه اتجهنا في طريق العودة للوقوف على آبار «غْبَاشة» و«غُبيْشَان» لكوني رشحتها مسبقاً أنها «ثمد القسوميات».

والقسُومِيَات: قال عنها ياقوت الحموي: «عادلة عن طريق فَلْج ذات اليمين وهي ثَمَدٌ فيها ركايا كثيرة..)[1]

وبإلقاء نظرة على الخريطة فإنه لا يوجد بالقرب من «عَيْبَة القسومية» وكذا «شعيب القسومي» سوى هذه الآبار، والوصف منطبق عليها. وهي واقعة على خط العرض ٠٦ً ٥٦َ ٢٧ْ وخط الطول ١١ً ٠٨َ ٤٥ْ وآبار غُبَيْشَان واقعة عنها جنوباً غير بعيد على خط العرض ١٨ً ٥٤َ ٢٧ْ وخط الطول ٢٢ً ٠٧َ ٤٥ْ.

وقد تكلم الشيخ حمد الجاسر عن «القسوميات» في معجم شمال المملكة فانظر ماقاله عنها هناك. وتكلم عن «غْباشَة» في معجم المنطقة الشرقية بقوله:

(غُباشَةُ: بالغين المعجمة مضمومة والعامة تسكنها بعدها ألف فشين معجمة مفتوحة فهاء. ثمدٌ واقع بين الحَفَر وسَامودَةَ، تبعد عن الحفر غرباً نحو ٨٠ كيلاً وعن سامودة ٢٥ كيلاً شرقاً.. ومع غرابة هذا الاسم التي توحي بقدمه لم أَرَ له ذكراً فيما اطَّلَعْتُ عليه[2].) انتهى كلامه.

أقول: لو أن الشيخ حمد الجاسر - سلمه الله - تكلم عن غباشة في معجم «شمال المملكة» عندما تكلم عن «القسوميات» وذاك مكان الكلام عنها لما فات عليه أنها الثَّمَد الذي تكلم عنه ياقوت وسماه «القسوميات».

---

(١) معجم البلدان : ص ٣٤٩/٤.

(٢) معجم المنطقة الشرقية: ١٢٥٨/٣.

وفي جولتنا هذه وقفنا على «عيبة القسومية» وهي أرض منخفضة واقعة شرقاً من الآبار غير بعيد منها.

ويوجد فيضة فيها شجر سدر تقع شمالاً شرقياً من العَيْبة على بعد ١٢ كيلاً قال لي الرقيب عايض: لقد سألت عن اسمها أكثر من واحد فقالوا لي إن اسمها «القسومية».

هذه الفيضة واقعة على خط العرض ٥٦ً ٥٨َ ٢٧ْ وخط الطول ٣٤ً ١٥َ ٤٥ْ.

وادي ذي طلوح

ذُو طُلُوح: من الأماكن التي أكثر الشعراء من ذكرها، ومع كثرة النصوص الواردة حول وادي «ذي طلوح» فإن التوصل إلى معرفة المكان الذي قصده كل شاعر فيه صعوبة، ولذا استعصى تحقيق «ذي طلوح» الذي جرت فيه المعركة بين بني شيبان وبين بني يربوع، وهذا الوادي هو ما يعنينا تحقيقه في هذا البحث؛ لأن الأماكن التي تحمل هذا المسمى عديدة.

وإليك بعض أقوال علماء البلدان عن ذي طلوح هذا:

١- قال ياقوت الحموي:

(... قال: ذو طلوح في حَزْن بني يربوع بين الكوفة وفيد، قال جرير:

متى كان الخيامُ بذي طُلُوح ... سُقِيت الغيث أيتها الخيام..[١])

٢- قال البكري:

(ذُو طُلُوح: بضم أوله، قال عُمَارة بن عقيل: ذو طلوح: وادٍ في أُوْد، يصب في رقمة فَلْج؛ وهي خبراء من سِدْر على بطن فلج، وهي تأخذ ماءه أجمع. والرقمة في أرض بني العنبر. قال: وببطن ذي طلوح القنفذة، وهي لبني يربوع، وأنشد لجرير:

متى كان الخيام بذي طلوح ... سقيت الغيث أيتها الخيام..[٢].

٣- وقال صاحب كتاب بلاد العرب:

(وإِيَادُ، وذو طلوح، وذو كُريب. أودية بالحَزْنِ، حَزْن بني يربوع.)[٣]

---

(١) معجم البلدان: ص ٣٩/٤.

(٢) معجم ما استعجم: ص ٨٩٣.

(٣) بلاد العرب: ص ٢٨٣.

٤- وقال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب»:

(ذو طُلوح: في ديار تميم من نحو كاظمة، قال جرير:

متى كان الخِيامُ بذي طلوح.)[١]

من هذه النصوص الأربعة نعرف أن هناك وادياً اسمه «ذو طلوح» واقع في بلاد بني تميم شمال شرق «الدهناء».

والأماكن التي تحمل هذا الاسم كثيرة ومتفرقة في أنحاء الجزيرة، وقد يلحظ القارىء أن كل مؤلف يستشهد ببيت جرير مع اختلاف الأماكن؛ فالذي ذكره ياقوت يقع على طريق حاج الكوفة، والذي ذكره البكري واقع على طريق حاج البصرة، والذي ذكره الهمداني حول كاظمة. وجميعهم يستشهدون بهذا البيت، وما يعنينا هنا من هذه الأودية هو ذو طلوح القريب من «أود» الذي ذكر أنه يدفع في رقمة فلج.

أقوال الباحثين في وقتنا الحاضر:

أولاً- قال الشيخ حمد الجاسر:

(ذو طلوح: بضم الطاء وآخره حاء مهملة قال ياقوت: موضع في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد... وعَدَّ صاحب «بلاد العرب» ذَا طلوح من أودية الحزن حزن بني يربوع. ويفهم مما تقدم في خبر يوم الصمد أن وادي ذي طلوح يقع في الشمال الغربي من اليَنْسُوعة الواقعة شرق الدهناء. فبنو بكر بن وائل صدروا من الينسوعة واستقبلوا أسفل وادي ذي طلوح للإغارة على بني يربوع، وهم في الصَّمْد الذي ترجح لديَّ أنه ما يعرف الآن باسم التَّيسية.

والينسوعة على ماظهر لي هي «بُرَيكة الأجردي» وعلى هذا فأَشهر واد ينطبق

---

(١) صفة جزيرة العرب: ص ٣٢٦.

عليه ما وصفه به المتقدمون ذا طلوح هو وادي الأجردي)[1] انتهى كلامه باختصار.

وفي استدراكات الشيخ حمد ذيل «معجم شمال المملكة» قال بعد أن أورد ما ذكره صاحب «النقائض» عن «يوم ذي طلوح»:

(وفي الكلام ما يفهم منه أن ذا طلوح يقع جنوب وادي «كريب» المعروف الآن باسم كريم، وكذا وادي الأجردي، وقد أوردت النصَّ بطوله لورود أسماء مواضع أخرى فيه: القسومية والينسوعة والطلحتين، وفي نص آخر في النقائض: ذكر بقرب هذه المواضع: حومل والخبراء مما يدل على قربهما من ذي طلوح.)[2] انتهى.

وفي رسم «الأجردي» قال:

(الأَجرَدِي: واد ينحدر أعلاه من شرق شمال عرق المظهور وشرق التَّيْسِيَّة، ويتجه نحو الشمال الشرقي حتى يصل إلى بريكة الأجردي فيفيض في قاع فيه البركة، وقد حفرت آبار في ذلك القاع وعرفت باسم الأجردي. ومن فروعه وادي السِّهْل ووادي «طَيِّب اسم» ووادي قليِّب الخيل، ومن أعاليه وادي قبَةَ.

ووادي الأجردي هو صلة ما بين وادي الرّمة ووادي الباطن.

يفصله عن وادي الرّمَةِ نفود الأسياح «شقيق النباج قديماً» ويفصله عن الباطن الدَّهنا.

ويفهم من نصوص المتقدمين أنه هو وادي ذي طلوح «انظر هذا الاسم والينسوعة» وأنه كان يفيض في وادي فلج «الباطن».)[3] انتهى كلامه.

---

(١) معجم شمال المملكة: ص ٢/ ٨٣٤.

(٢) معجم شمال المملكة: ص ٣/ ١٤٢٠.

(٣) معجم شمال المملكة: ص ٥٣/١.

مناقشة كلام الشيخ حمد الجاسر:

يفهم من أقوال قدماء علماء البلدان أن وادي «ذي طلوح» من أودية «حَزْن بني يربوع» وأنه يسيل من أرض «أُوْد» ويدفع في بطن «فَلْج» – وادي الباطن حالياً– وأنه عندما يدفع يصب في «رقمة فلج» التي تستوعب ماءه كُلَّه.

وعلى ضوء هذا التحديد الدقيق يمكننا مناقشة ما قاله الشيخ حمد عن «ذي طلوح» بما يلي:

١– فهم الشيخ من أقوال المتقدمين أن وادي ذي طلوح يقع في الشمال الغربي من «اليَنْسُوعَة» الواقعة شرق الدهناء، التي ظهر له أنها «بريكة الأجردي» وعلى هذا فأشهر واد ينطبق عليه ما وصفه به المتقدمون ذا طلوح هو وادي الأجردي.

التعليق:

قال الشيخ حمد عن «الينسوعة» – بريكة الأجردي – إنها واقعة شرق الدهناء.

والصحيح أنها واقعة غرب الدهناء، وإذا أخذنا بقول من يقول من المتقدمين بأن نهاية الدهناء من جهة الشمال هي أقماعها المطلة على وادي الأجردي من الناحية الجنوبية؛ فإن «الينسوعة» هذه تقع شمالي الدهناء. وأقوال المتقدمين حول «الدهناء» وحدودها كثيرة ، ولا يتسع المقام لسردها؛ فلسنا بسبيل تحقيق امتداد رمال الدهناء.

وما ذكره الشيخ من أن ما يسمى الآن «بريكة الأجردي» هي «الينسوعة قديماً» فهذا قول صحيح، ولكنها ليست الينسوعة التي ورد ذكرها في خبر «يوم ذي طلوح».

كما أن «وادي الأجردي» ليس وادي ذي طلوح الذي نتحرى عنه.

٢– ترجح عند الشيخ حمد أن «الصَّمْد» الذي كان فيه بنو يربوع عندما أغار عليهم بنو وائل؛ هو ما يعرف الآن باسم «التَّيْسِيَّة».

التعليق:

أقول: إن التيسية ليست من «حَزْن بني يربوع» وإن كانت من منازلهم فهي تسمى قديماً «حَزن مليحة» وما كان منها بقرب «الينسوعة» يسمى «حَزن الينسوعة».

أما «الصَّمْدُ» الذي ورد ذكره في خبر يوم ذي طلوح وسمي اليوم باسمه أيضاً حيث يقال: «يوم الصَّمْد» ؛ فهو صَمْد طَلَح.

وصَمْد طَلَح يقع بجوار ماء «طَلَح» الذي وصفت مكانه في الرحلة الميدانية وهو صَمْد مرتفع ممتد يفصل بين ماء «طَلَح» - طَلْحَة حالياً - وبين ماء «وسَيْط». ويسمي سكان تلك الناحية هذا الصمد «شعفة وسيط». وهذا الصمد والمياه الواقعة حوله تقع شرقاً من رمال الدهناء في «حَزْن بني يربوع قديماً».

٣- قال الشيخ وهو يصف لنا وادي الأجردي:

«ووادي الأجردي هو صلة ما بين وادي الرّمة ووادي الباطن. يفصله عن وادي الرمة نفود الأسياح «شقيق النباج قديماً» ويفصله عن الباطن الدهناء... ويفهم من نصوص المتقدمين أنه وادي ذي طلوح... وأنه كان يفيض في وادي فلج «الباطن» . انتهى

التعليق:

أقول لقد حاولت كثيراً أن أطبق القول ونعتبر وادي الأجردي هو وادي ذي طلوح. ولكن النصوص الواردة لم تسعفنا، ثم إننا لو أخذنا بالقول بأن وادي الأجردي هو صلة ما بين وادي الرمة ووادي الباطن؛ لأصبح وادي الأجردي جزءاً من مجرى الوادي الذي قيل إنه يتجاوز رمال الأسياح ورمال الدهناء في قديم الزمان، والأخذ بهذا القول يحتاج إلى دراسة متعمقة ومستفيضة.

ولو سلمنا جدلاً بأن وادي الأجردي كان جزءاً من هذا الوادي العظيم الذي يخترق الدهناء؛ لما أمكننا القول بأنه وادي ذي طلوح، لأن ذا طلوح راد يدفع في هذا الوادي العظيم وليس جزءاً منه.

٤- أما عن قول الشيخ حمد بعد إيراده لخبر يوم ذي طلوح:

«وقد أوردت النص بطوله لورود أسماء مواضع أخرى فيه: القسومية، والينسوعة، والطلحتين، وفي نص آخر في النقائض: ذكر بقرب هذه المواضع:

حومل والخبراء مما يدل على قربهما من ذي طلوح.»انتهى.

التعليق:

أقول: إن المواضع الواردة في خبر يوم «ذي طلوح» متقاربة وهي واقعة كما قال الشيخ - قبل ذلك - جنوب وادي «كريب» المعروف الآن باسم «كريم» ولكن نظراً لتعدد المسميات أشكل على الشيخ مكان «الينسوعة» التي وَرَدَها بنو وائل ونثروا عندها التمر عندما تخففوا للغارة.

فهي ينسوعة أخرى تقع شرقاً من ينسوعة الأجردي.

أما عن النص الآخر الذي أورده صاحب النقائض فقد ورد فيه ذكر حومل والخبراء، كما ذكر الشيخ، وكان صاحب النقائض يتكلم عن يوم «طلحات حومل» الذي جرت أحداثه قرب ينسوعة الأجردي.

ومكانا المعركتين متباعدان؛ فالطلحتان في يوم ذي طلوح غير طلحات حومل ويفصل بين المكانين رمال الدهناء.

ثانياً: وادي ذي طلوح عند مؤلف «معجم بلاد القصيم»:

(شِعِيْب السِّهْل... واد يقع إلى الشمال الشرقي من قبة بين عروق الأسياح والتيسية في الجهات الشمالية الشرقية لحدود منطقة القصيم..

والذي يظهر لي أن شعيب السِّهل هذا هو الوادي الذي كان يسمى في القديم «ذا طلوح» وذلك لكون «شعيب السهل» ليس اسماً قديماً ولأن النصوص التي ذكرها المتقدمون متعلقة بوادي «ذي طلوح» تنطبق عليه.

ومن ذلك قول ياقوت: وذو طلوح في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد..

أقول – القول له –: قوله بين الكوفة وفيد يعني بذلك حزن بني يربوع لا وادي ذي طلوح بالذات وما ذكره صحيح؛ إذ حزن بني يربوع يشمل قسماً كبيراً من التيسية التي يقع بعضها في طريق حاج الكوفة الذي يمر بفيد إلا أنها ممتدة بحيث تذهب أيضاً جنوباً حتى تكاد تصل إلى طريق حاج البصرة إلى مكة ولكنها تقصر دونه حيث تقف عند الطراق المسمى «طراق الأجردي» وذلك هو الموضع الذي ينتهي عنده مياه وادي ذي طلوح. هذا الذي استظهرنا أنه «شعيب «السِّهل» في الوقت الحاضر...

فذو طلوح القديم واقع في حزن بني يربوع ووادي السّهل كذلك.

ويدل على ذلك أيضاً ماذكره لغدة الأصفهاني وهو يعدد الأودية الواقعة بالحزن – ...)[1] انتهى قوله باختصار.

وانظر ما قاله عن وادي ذي طلوح في رسم «الأَجْرَدِي».

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص٣/١٢٤٢.

مناقشة كلام مؤلف معجم بلاد القصيم:

١- قال الأستاذ محمد العبودي عن «شعيب السِّهْل»:

«الذي يظهر لي أن شعيب السهل هذا هو الوادي الذي كان يسمى في القديم ذاطلوح» الخ..

التعليق:

١- يختلف مؤلف معجم بلاد القصيم في تحديده لوادي ذي طلوح مع الشيخ حمد الجاسر حيث يرى الشيخ حمد أنه وادي «الأجردي».

ورأي مؤلف معجم بلاد القصيم أقرب إلى الصواب لو اعتبرنا «الأجردي» من «بطن فلج» لأن وادي ذي طلوح يدفع فيه؛ ولكن لم يقل أحد من المتقدمين إن الأجـردي من بطن فلج، والأوصـاف لوادي ذي طلوح لا تنطبق على «شعيب السِّهل»؛ لأن وادي ذي طلوح من أودية حزن بني يربوع وبالتحديد من أودية «أود» وأود واقع في الحزن شرقي الدهناء بينما «السِّهل» واقع في حَزْن مليحة المسمى حالياً «التيسيَّة»، وتحول بين الموضعين رمال الدهناء.

٢- قوله: عن حزن بني يربوع: إنه يشمل قسماً كبيراً من التيسية التي يقع بعضها في طريق حاج الكوفة الذي يمر بفيد إلا أنها ممتدة بحيث تذهب جنوباً حتى تكاد تصل إلى طريق حاج البصرة إلى مكة الخ.

التعليق:

أكرر القول بأن التيسية ليست من حزن بني يربوع؛ فما انخفض منها بين المرتفعات وبين رمال «عرق المظهور» يسمى قديماً «نجفة مليحة» وما ارتفع شرقها يسمى «حَزْن مليحة» و«حزن الينسوعة».

فوادي السِّهل يجري في «حزن مليحة» وليس في «حزن بني يربوع».

أما استدلاله بما ذكره لغدة الأصفهاني وهو يعدد الأودية الواقعة بالحزن؛

فإن هذا الاستدلال لا محل له؛ لأن جميع الأودية التي ذكرها الأصفهاني في صفحة (٢٨٣) من كتاب بلاد العرب جميعها شرقي الدهناء في حزن بني يربوع بعيداً عن «التيسية» وهي:

«الغَبيطُ، والإيَادُ، وذو طلوح، وذو كُرِيب».

ولهذا فإن بحثي عن «ذي طلوح» سيكون هناك شرقي رمال الدهناء، فدعونا نواصل رحلتنا الميدانية للبحث عن وادي ذي طلوح.

*** مواصلة الرحلة الميدانية:**

في اليوم الثاني استأنفت الرحلة الميدانية وبصحبتي الأخ الرقيب «عايض بن مسفر العتيبي» وكان الهدف من هذه الجولة محاولة العثور على وادي «ذي طلوح» الذي جرت فيه المعركة المشهورة بين بني يربوع وبين بني وائل.

وقلت فيما تقدم:

إنني رشحت واديين يدفعان في وادي «فَلْج قديماً» -الباطن حالياً- من ناحيته الشمالية. هذان الواديان هما:

١- واد يدفع في فيضة «أم عَواقِيل» في بطن فلج.

٢- والثاني يسمى «شعيب القسومي» يدفع في فيضة «أم عُشَر».

وقد حملني على ترشيح هذين الواديين منطوق النص المروي عن «عُمَارة بن عقيل» حيث قال:

«ذو طلوح: وادٍ في أُوْد، يصب في رَقْمَة فَلْج، وهي خبراء من سْدر على بطن فلج وهي تأخذ ماءَه أجمع. والرقمة في أرض بني العَنْبر.

قال: وببطن ذي طلوح القُنْفُذَة، وهي لبني يربوع..)[1].

وأعرف مسبقاً أن القارىء الكريم لن يعذرني فيما لو حققت له وادي «ذي طلوح» تحقيقاً سطحياً يحتمل الظن أو التخمين؛ لاسيما وقد صَدَّعْتُ رأسه

---

(١) معجم ما استعجم: ص٨٩٣.

بمحاورة النصوص ومناقشة آراء الآخرين، ولكني أعده بأن يكون تحقيقي لوادي ذي طلوح وما يتعلق به من أماكن يتصف بالجزم وما التوفيق إلا من عند الله.

لقد اخترت في تحقيقي لوادي ذي طلوح الطريق الذي سلكه بنو يربوع عندما بلغهم أن الجيش الذي غزاهم نزل «القَسُوميَّة».

فقد تتبعوا أثر الجيش حتى ورد ماء «اليَنْسُوعَة» فوجدوهم قد سقوا دوابهم ونثروا ما معهم من التمر استعداداً للغارة، ثم أخذوا بطن المذنب فاتبعوهم وعندما قطع الطريق مجرى وادي ذي طلوح اختفى عليهم تتبع الأثر بسبب حلول الظلام، فأرسلوا من يتحسس عنهم فوجدهم في أسفل الوادي عند الطلحتين.

وهذا التتبع يتطلب منا التعرف على المواضع التالية:

خبراء الينسوعة، آبار الينسوعة، المِذْنب، ثم وادي ذي طلوح، ورقمة فلج.

لقد ابتدأنا رحلتنا هذا اليوم الأربعاء ١٤١٧/١٢/٢٣هـ بالتوجه إلى الوادي الذي يدفع في فيضة «أم عواقيل» وقد سرنا مع مجراه فوجدناه شعباً فيه شجيرات سدر وقليل من شجر الطلح وهو ضيق المجرى، فانحدرنا عل فيضة «أم عواقيل» في بطن وادي فلج. وهذه الفيضة واقعة بالقرب من مدينة الملك خالد العسكرية من الناحية الشمالية الشرقية تبعد عن بلدة «أم عشر» ستين كيلاً.

وقد استبعدت أن تكون هذه الفيضة هي الينسوعة وأن آبار أم عواقيل هي آبار الينسوعة؛ ولهذا توجهنا إلى الاختيار الثاني وهو «شعيب القسومي» الذي يدفع على روضة «أم عشر» التي أصبحت الآن بلدة عامرة تحمل هذا المسمى، وكانت في السابق منزلاً من منازل طريق حاج البصرة.

عند وصولنا إلى «شعيب القسومي» الفيناه وادياً تكثر فيه أشجار الطلح الكبيرة على طول مجراه، وشجر الطلح نادر الوجود في «حزن بني يربوع» وما حوله، حيث الغالب وجود شجر السدر في الرياض ومجاري الأودية.

لقد كانت مفاجأة أن نجد شجر الطلح في مثل هذه الكثافة في هذا الوادي.

ومع هذا فلم أتسرع وأرجح أنه وادي «ذي طلوح» الذي نبحث عنه؛ إذ لابد من توفر شروط منها:

١- كونه يدفع في فيضة في مجرى وادي الباطن لنقول عنها: إنها رقمة فلج.

٢- لابد أن يكون بالقرب منه فيضة حولها آبار لنقول عنها: إنها آبار الينسوعة.

فانحدرنا مع مجرى الوادي حتى دفع في فيضة «أم عشر» وفي بلدة «أم عشر» سألنا عما إذا كان يوجد في بطن وادي فلج فيضة حولها آبار قديمة، فقيل لنا إنه يوجد إلى الشرق فيضة تسمى «أم عشر» أيضاً وبالقرب منها شرقاً توجد عدة آبار جاهلية تسمى الآبار «السَّبْع».

وقبل أن نتجه إلى هذه الفيضة وهذه الآبار دعونا نتكلم عن «الينسوعة».

*** اليَنْسُوعَة:**

الينسوعة المعروفة عند الباحثين في وقتنا الحاضر هي منزل من منازل طريق حاج البصرة، تسمى الآن «بريكة الأجردي» وهذه فرغنا من الحديث عنها والتجول حولها؛ أما «الينسوعة» التي نبحث عنها والتي ورد ذكرها في خبر يوم «ذي طلوح» فإليك ما قرأته من نصوص قديمة بشأنها:

أولاً: قال ياقوت الحموي:

(يَنْسُوعُ: بالفتح ثم السكون، والسين مهملة، وواو ساكنة، وعين مهملة، قال أهل اللغة: انتسعت الإبل إذا تفرَّقت في مراعيها، بالعين والغين، وقال الأصمعي: يقال لريح الشمال نِسْعٌ شبهت لدقة مهبها بالنسع المضفور من أدم يُشد به الرحال:

وهو موضع في طريق البصرة قال بعضهم:

فلا سقى الله أياماً عنيتُ بها ببطن فَلْج على الينسوع فالعُقدِ

وهي ينسوعة التي نذكرها ببعدها أسقطت الهاء فيما أحسب.)[1]

---

(١) معجم البلدان: ص٥/٤٥١.

ثم تكلم ياقوت عن «الينسوعة» وهي ينسوعة القُفّ الواقعة عند منقطع رمال الدهناء من الغرب، وهي منزل حاج البصرة.

التعليق:

وحتى ياقوت الحموي أشكل علية التفريق بين الينسوعتين، فقال:

«وهي ينسوعة التي سنذكرها» والصحيح أن التي ذكرها الشاعر ببطن فلج هي الينسوعة الشرقية حذف الهاء للوزن، وهي غير «ينسوعة القف».

ثانياً: قال أبو عبيد البكري:

(خَبْراءُ البَيْسُوعة: بفتح أوله وبالسين المهملة والعين المهملة وهي مذكورة في رسم الرقمتين مع خبراء مَاوِيَّة.

وإبراهيم بن محمد بن عرفة يقول: الينسوعة باليـاء والنون، وينشد بيت الجعدي:

وهو الذي رَدَّ القبائل بالـ ... ينسوعتين بكوكب ضَخْم

الكوكب: معظم الكتيبة.)[٢]

وقال في رسم «الرقمتين»:

(الرقمتان: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، تثنية رَقْمَة:

رقمتا فلج، وهما خبراوان: خبراء مَاوِيَّة، وخبراء البيسوعة، وهي أضخمها قال مالك بن الريب:

فلله دري يوم أترك طائعاً ... بَنِيَّ بأعلى الرَّقمتين وماليا

وقال زهير:

ودار لها بالرقمتين كأنها ... مراجع وشم في نواشر معصم

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٢٩٢.

وقد ذكرته في رسم فدك. وقال ابن دريد: الرقمتان: هذا الموضع الذي ذكر زهير. والرقمتان: روضتان: احداهما قريب من البصرة، والأخرى بنجد، وقال قوم من أهل اللغة: بل كل روضة رقمة.

وقال أبو سعيد: الرقمتان اللتان عنى زهير: احداهما قرب المدينة، والأخرى قرب البصرة، وإنما أراد أنها صارت ما بينهما حيث انتحت.

وقال في موضع آخر: احداهما قرب المدينة، والأخرى موضع عندهم بالبادية وأنشد لرؤبة:

كـــــأنـهـن والـتـنـائـي يـسـلـي بالرقـــمـــتين قِطعٌ من سَـــحْلِ

وقال أبو حاتم: الرقمتان في طرف اليمامة، من بلاد بني تميم، مما يلي مهب الشمال..)[1].

التعليق:

يبدو أن «البيسوعة» محرفة من «الينسوعة» بالياء، ومادام أنه ذكر أن إبراهيم ابن محمد بن عرفة يقول: الينسوعة بالياء ؛ فما قاله هو الصحيح إذ ليس هناك موضع اسمه البيسوعة.

وكذلك ماجاء في رسم الرقمتين فهناك خبراوان إحداهما تسمى «ماوية» والأخرى تسمى «الينسوعة» والينسوعة هي أضخم الخبراوين.

ومن النصوص الواردة يتبين أن هناك روضتين تسميان الرقمتين، وهناك قريتين تسميان الرقمتين أيضاً وسنتمكن إن شاء الله من تحديد مكان الروضتين ومكان القريتين لننهي بذلك الخلاف الحاصل حول هذه المسميات.

مواصلة الرحلة:

من «أم عشر» القرية اتجهنا شرقا مع مجرى وادي «الباطن» ـ فَلْج قديماً ـ

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٦٦٧.

وعندما قطعنا خمسة عشر كيلاً وصلنا إلى روضة كبيرة دائرية الشكل يكثر فيها شجر العُشَر والنباتات الأخرى، هذه الروضة هي «خبراء الينسوعة» وهي إحدى الرقمتين. تقع على خط العرض ٤٢ً ٤٩َ ٢٧ْ وخط الطول ٤٠ً ٩َ ٤٥ْ.

أما الرقمة الثانية فهي «خبراء ماوية» وتسمى الآن : «أم عواقيل»

ومنزل حاج البصرة المسمى «ماوية» يقع بجوارها من ناحية الشرق ومازالت البركة الدائرية ومصفاها وكذلك آثار قصر بجوارها بادية للعيان حتى الآن وقد وقفنا على تلك الخبراء والآثار.

وتبعد عن خبراء الينسوعة خمسة وأربعين كيلاً.

عندما تجاوزنا خبراء أم عشر- الينسوعة - شاهدنا على ضفتي الوادي آثار أساسات مبان قديمة، وهي عبارة عن بقايا مبان متناثرة هنا وهناك يفصل بين الأثرين مجرى الوادي.

لم يخالجني شك بأن هذه الآثار هي آثار قريتي «الرقمتين» وقد سميتا بهذا المسمى لوقوعهما بجوار «الرقمة» المسماة بـ «خبراء الينسوعة».

وتقع آثار القرية الجنوبية على خط العرض ٣٤ً ٤٩َ ٢٧ْ وخط الطول ٥٣ً ٠٩َ ٤٥ْ وتقابلها من الشمال القرية الأخرى.

انظر إلى صور آثارهما المناظر، رقم (١٣) ورقم (١٤) ورقم (١٥).

وفي شرقي القريتين في بطن الوادي يوجد بئر مطوية مشبوك عليها، وعن هذه البئر شرقاً بئران مدفونتان متجاورتان، تقعان على خط العرض ٣٢ً ٥٠َ ٢٧ْ وخط الطول ٣٦ً ١١َ ٤٥ْ.

(١٣) منظر آثار قرية «الرقمة» الشمالية، بجوار روضة الرقمة

من الجهة الشرقية الشمالية.

(١٤) منظر آثار قرية «الرقمة» الجنوبية شرقي روضة الرقمة.

(١٥) منظر من آثار قرية «الرقمة الجنوبية» ويرى في الصورة

جانب من روضة «الرقمة».

(١٦) منظر احدى الآبار العامرة من الآبار السبع «الينسوعة قديماً» مغطاة ومحاطة بسياج.

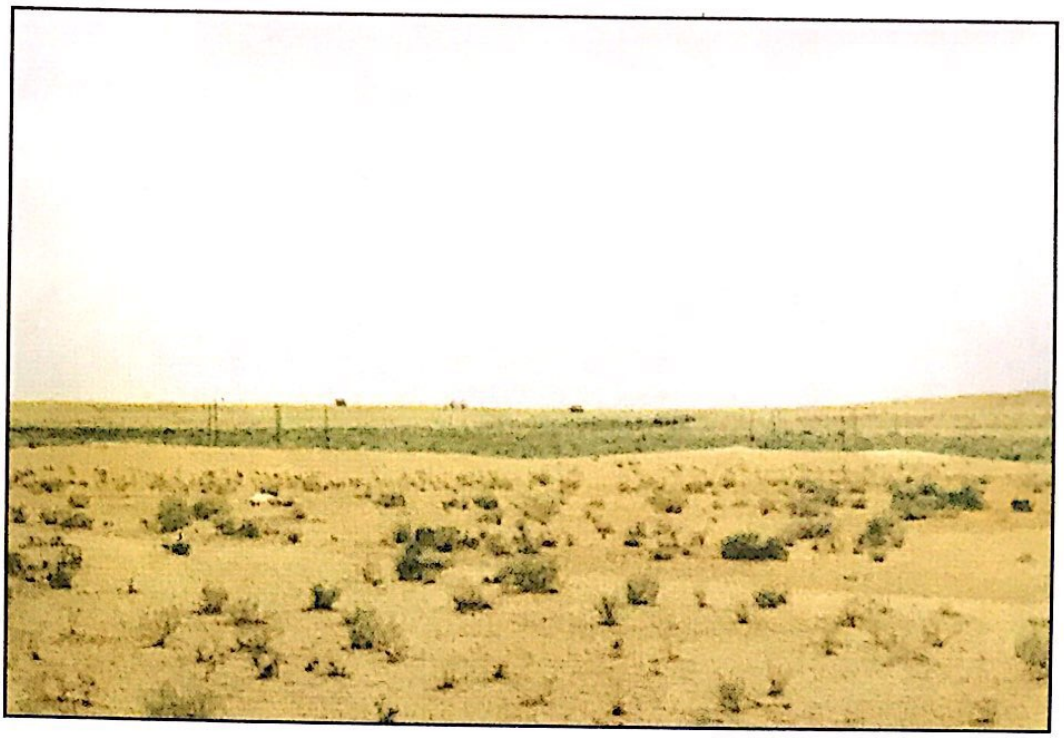

(١٧) منظر لبعض آبار «الينسوعة» الآبار السبع وهي مدفونة، ويرى شمالاً غربيا منها «بطن المذنب» الذي سلكه الغزاة عندما نثروا التمر وصدروا من الآبار.

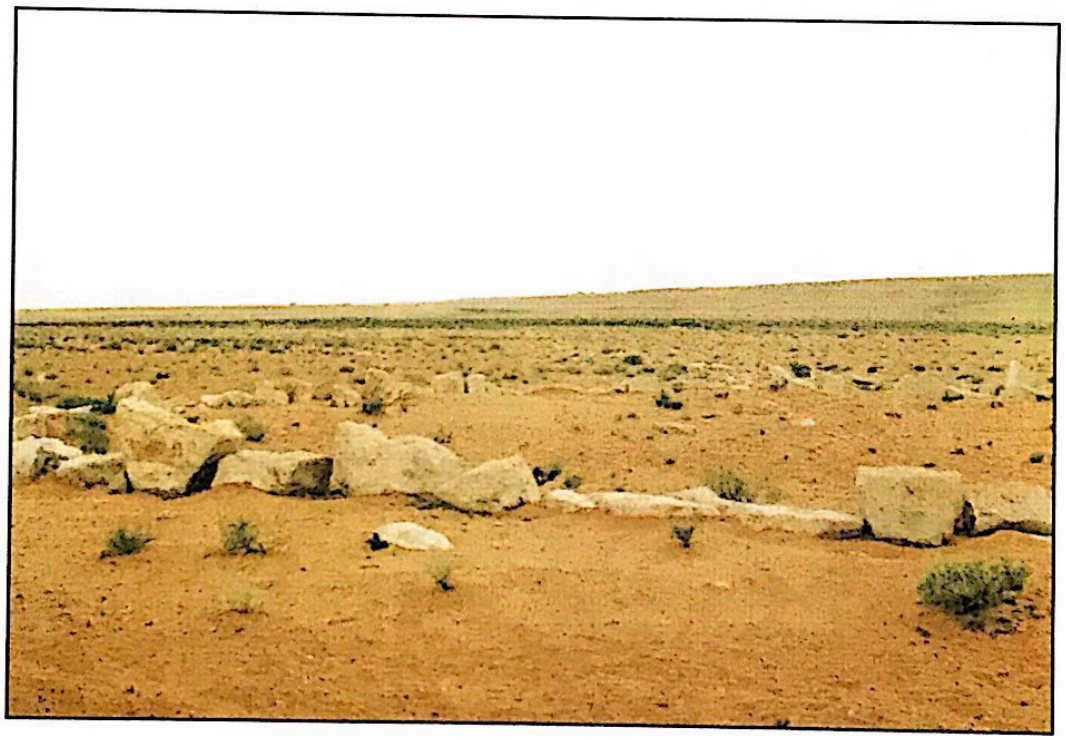

(١٨) منظر أثر لمبنى مربع الشكل يقع جنوب آبار الينسوعة.

وبعد مغادرتنا للقريتين والآبار، وصلنا إلى «الآبار السَّبْع» وهذه الآبار متفرقة منها ثلاث آبار مطوية بالحجارة ومغطاة بشبك من الحديد، والأربع الباقيات مدفونة وجميع هذه الآبار معمول حول كل منها سياج.

هذه الآبار واقعة على خط العرض ٤٦ً ٥٠َ ٢٧ْ وخط الطول ٤٠ْ ١٢َ ٤٥ْ.

انظر إلى صور لها المناظر رقم (١٦) ورقم (١٧) ورقم (١٨)

لقد كانت لي وقفة طويلة عند هذه الآبار؛ لأن وصف «الينسوعة» ينطبق عليها وهي التي وردها الغزاة ونثروا تمرهم عندها استعداداً للغارة ولكن أين «بطن المذنب» الذي سلكوه عندما صدروا من هذه الآبار؟

إن بطن المذنب هو هذا «الشعيب» المنحدر باتجاه الآبار من ناحية مغرب الشمس. فالذي رو ى خبر يوم ذي طلوح، لم يقل إنهم سلكوا بطن الوادي، وإنما قال: أخذوا بطن «المذنب».

من الآبار سلكنا بطن «المذنب» هذا باتجاه الشمال الغربي، وفي أعلاه رأينا شجيرات السِّدْر تنتظم مجراه؛ عند ذلك تذكرت مناقشة أجريتها مع رئيس مركز قرية «الذيبيَّة» الواقعة شرقاً من «ماوية»؛ حيث سألته عن سبب تسميتهم لقريتهم بـ«الذِّيبيَّة» فقال:

قبل أن تقوم القرية كان الموضع يسمى «ذُنَيْب الذيب» وهو يطلق على واد صغير ينحدر من الجنوب ويصب في بطن «فلج» وقد سمي بهذا المسمى لوجود شجيرات سدر متتابعة على طول مجراه شبهوها بذنب الذئب مصغراً.

ففضلنا تسمية القرية باسم «الذيبية».

فهل «المذنب» هذا الذي تنتظمه شجيرات السّدر كان مسماه من هذا القبيل؟! لست أدري. والذي أدريه أن علماء اللغة قالوا عن «المذنب»:

(... والمِذْنَبُ: مسيل الماء في الحضيض، والتلعة في السَّنَد، وكذلك الذنابة والذُّنابة أيضاً، بالضم؛ والمِذْنَبُ: مسيل الماء إلى الأرض.

والمِذْنَبُ: المسيل في الحضيض ليس بخد واسع.

وأذناب الأودية: أسافلها...

وقال أبو حنيفة: المِذْنَبُ كهيئة الجدول، يسيل عن الروضة ماؤها إلى غيرها، فَيُفَرَّقُ ماؤها فيها، والتي يسيل عليها الماء مذنب أيضا؛ قال امرؤ القيس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها ... وماء الندى يجري على كل مِذنَبِ

وكله قريب بعضه من بعض..)[1] انتهى.

إن آبار «الينسوعة» هذه تبعد عن ماء «طَلَح» خمسة وخمسين كيلاً، وعن آبار «القسومية» أحد عشر كيلاً، وعن سامودة تسعة وعشرين كيلاً وعن بلدة «أم عشر» تسعة عشر كيلاً ونصف الكيل.

وتابعنا مسيرنا مع درب الغُزاة حتى وصلنا إلى وادي «ذي طلوح» المسمى حالياً «شعيب القسومي» ومن المصادفات الغريبة أن يكون وصولنا إليه في نقطة يوجد فيها آثار قديمة يبدو أنها مساكن موغلة في القدم منها ماهو شرقي مجرى الوادي ومنها ماهو غربي الوادي وبين الآثار الموجودة غربي المجرى يوجد بئر مدفونة، يبدو لي أنها بئر «القنفذة» التي ورد ذكرها في النص المتقدم معنا.

وهذه الآثار واقعة على خط العرض ١١° ٤٨' ٢٧" وخط الطول ٥٥° ٠٣' ٤٥" تبعد عن بلدة أم عشر، ثمانية أكيال وسبعمائة متر.

لقد تجولنا في أعلى الوادي وأسفله، وأعالية تنحدر من جهة الشمال من أرض حجرية تسمى «حْجَرَة الخنبش».

وعندي أن حجرة الخنبش هذه جزء من أرض «أود قديماً» حيث أن «ذا طلوح» من أودية أود.

وانظر إلى الخريطة رقم (١) لترى مواضع تلك الأماكن التي تكلمنا عنها ومدى تقاربها.

---

(١) انظر مادة «ذنب» من لسان العرب المحيط.

وادي «ذي طلوح» هذا مقبل من ناحية أود، ويصب في رقمة فلج التي هي «أم عشر حالياً».

وانظر إلى صور هذ الوادي بما فيه من شجر طلح وآثار، المناظر: رقم (١٩) ورقم (٢٠) ورقم (٢١) ورقم (٢٢).

هذا هو وادي ذي طلوح» الذي سميت المعركة التي جرت بين بني وائل وبين بني يربوع باسمه، كما سميت باسم ثان هو «يوم أود» وسبب هذه التسمية أن بني يربوع تداركوا قائد الوائليين «الحوفزان» بأسفله كما قال الفرزدق:

والحَوْفَزَانُ تداركته غارة منا بأسفل أود ذي الآرام

كما سمي هذا اليوم بمسمى ثالث هو «يوم الصَّمْد» وهذا الصَّمْد هو صَمْد «طَلَح» الذي أوقد عليه بنو يربوع ثلاثة أيام عندما بلغهم توجه الجيش الغازي إليهم لأنهم نازلين على ماء «طَلَح» ومنه تتبعوا آثار الجيش حتى صبحوهم بأسفل «ذي طلوح» فكسبوا المعركة.

ومما تقدم أقول:

١- إن ماء «طَلَح» هو أحد مياه «البشوك» المسمى الآن «طَلْحاَ» أو «طَلْحَة».

٢- كما أن «جَوّ أم عمارة» هو أسفل «أُوْد».

وأن وادي أود هو مسارب المياه التي تصب في جو أم عمارة، قادمة من الجهة الغربية.

٣- وأن «القسومية» أو القسوميات هي تلك الآبار التي تسمى الآن آبار غباشة، وغبيشان.

٤- وأن آبار الينسوعة: هي مايسمى الآن «الآبار السَّبْع». وتقع عنها خبراء الينسوعة غرباً غير بعيد.

٥- وأن وادي «ذي طلوح» هو مايسمى الآن «شعيب القسومي»

(١٩) منظر من وسط وادي «ذي طلوح» الذي سميت به المعركة، ويرى جانب من آثار المساكن القديمة التي على ضفافه

(٢٠) منظر وادي ذي طلوح، مأخوذ من أعلى جانب وادي «فلج» من ناحية الجنوب، ووادي ذي طلوح يجري باتجاه رقمة فلج.

(٢١) منظر أعالي وادي ذي طلوح التي تسيل من جهة أود كما تحدثت النصوص القديمة.

(٢٢) منظر «رقمة فلج» التي يدفع فيها وادي ذي طلوح وتسمى الآن «أم عشر» والبلدة على ناحيتها الجنوبية والجنوبية الشرقية.

وهذه الأماكن الخمسة وغيرها جَرَّنا للوقوف عليها والكلام عنها التوصل إلى معرفة «أُوْد» الذي قيل: إن «توضح» موضع ما بين رمل السَّبِخَة وأود.

وظني أن القائل يقصد بـ «أود» الآبار أو الوادي. وبما أننا لم نقف بَعْدُ على آبار «أود» ونحدد مكانها؛ فقد قمت برحلة في يوم الخميس ١٤١٨/١/٩هـ صحبني فيها الأستاذ سعد بن عبد العزيز السالم.

عند وصولنا إلى قرية «سامودة» واصلنا السير باتجاه الشمال مع الطريق المزفت المتجه إلى «لينة» و «رفحاء».

وعندما قطعنا قرابة خمسة عشر كيلاً ومن نقطة تقع على خط العرض ٣٣° ٥٧' ٢٧" وخط الطول ٤٢° ٤٥' ٤٤" اتجهنا شرقا عبر مسيل واد يسيل من تحت الطريق من خلال أربع عَبَّارات؛ هي أعالي وادي «أود» ولم نكد نسير ثلاثة أكيال حتى وصلنا إلى آبار «العود حالياً» وهي التي قال عنها الشيخ حمد الجاسر:

(وليس من المستبعد أن يكون أود هو ما يعرف الآن باسم البشوك، فمن مياهه ماء يدعى «العود» قد يكون اسمه محرفاً عن «أود»). انتهى.

وهي عبارة عن ست آبار قديمة منحوتة في الصخر، بعيدة القعر.

تقع على خط العرض ٢٥° ٥٨' ٢٧" وخط الطول ٤٢° ٤٧' ٤٤".

وهي شبيهة بآبار «طَلَح» ويبدو قدمها من آثار الأرشية التي حفرت أخاديد في حجارة الطي.

انظر إلى صور لبعض الآبار المناظر رقم (٢٣) ورقم (٢٤) ورقم (٢٥).

ولعلي بذلك حددت مكان «أود» الذي تقع «توضح» بينه وبين رمل السَّبخة.

وبما أن توضح لم يعرف مشيخة بني تميم موقعها بالتحديد عندما أخبرهم الشيخ المُسِنّ؛ لأن مكانها نبت فيه شجر، فلم تعرف آنذاك؛ فإنه من الصعب علينا العثور عليها الآن، ولكن حسب الوصف لا أستبعد أن تكون توضح موجودة في فيضة «مغمية» الواقعة جنوباً من سامودة، وهي لا تبعد كثيراً عن الطريق

المزفت، فهذه الفيضة يكثر فيها شجر السدر، ولا يوجد شجر بين سامودة ورمل السبخة غيره. وما دام الأوائل لم يعثروا على توضح؛ فإنه من الصعب علينا التعرف عليها إلا بالتنقيب عنها.

ويكفينا معرفة الحَيِّز الذي تقع فيه. وبالله التوفيق.

(٢٣) منظر البئر الأولى من جهة الغرب من آبار «أود» -العود حالياً - وانظر إلى الأخاديد التي حفرتها الأرشية في أسفل الطي.

(٢٤) منظر البئر «الثانية» من آبار «أود» الستِّ العميقة المنقورة في الصخر.

(٢٥) منظر البئر الخامسة من آبار «أود» وهي عميقة جداً ومنقورة في الصخر.

«الْمِقْراة»

المقراة

قال امرؤ القيس في البيت الثاني من معلقته:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

تكلمنا عن «توضح» ومع أنها لم تتضح لنا ولم نحدد مكانها بدقة؛ إلاَّ أن البحث عنها حقق لنا العديد من الأماكن التاريخية والجغرافية القريبة منها، وقد يكون هذا كافياً مادام القدماء لم يتعرفوا عليها نظراً لكونها مدفونة وقد نبت عليها الشجر.

وما علينا إلاَّ أن نجرب حظنا مع أختها «المقراة» وفيما يلي ما قاله علماء البلدان عنها:

أولاً: قال ياقوت الحموي:

(مِقْرَاةُ: بالكسر ثم السكون، وهو في اللغة شبه حوض ضخم يقرأ فيه ماء البئر أي يجيء إليه، وجمعها المقاري، والمقاري أيضاً: الجفان التي تقرى فيها الأضياف؛ والمقراة وتوضح في قول امرىء القيس:

فتوضح فالمقراة لم يَعْفُ رسمُها لما نسجتها من جنوب وشَمأَل

قريتان من نواحي اليمامة، وقال السّكري في شرح هذا البيت:

الدخول فحومل وتوضح والمقراة مواضع ما بين إمَّرَة وأسود العَيْن.)[1] وقال ياقوت في رسم «الجرع»:

(الجَرَعُ: بالتحريك، جمع جَرَعة، وهي الرملة التي لا تنبت شيئاً: موضع في شعر ابن مقبل:

للمازنية مصطاف ومرتبعُ مما رأت أود فالمقراة فالجرع.)[2]

---

(١) معجم البلدان: ص ١٧٤/٥.

(٢) معجم البلدان: ص ١٢٧/٢

التعليق:

لقد استبعدنا أن تكون المواضع التي ذكرها امرؤ القيس موجودة في وسط منطقة اليمامة. وتوضح والمقراة اللتان قصدهما امرؤ القيس في معلقته ليستا قريتين.

أما عن قول السكري: إن جميع المواضع الأربعة: الدخول وحومل وتوضح والمقراة موجودة ما بين إمرة وأسود العين؛ فإن هذا الكلام لا يؤيده الواقع ولا النصوص المتواترة. ومع أن المساحة الواقعة بين إِمَّرَة وأسود العين وهي «حمى ضرية» في صدر الإسلام، أحرى من اليمامة أو عالية نجد الجنوبية لكون ما بين إمرة وأسود العين كان من منازل بني كندة في الجاهلية؛ فهذه المساحة من الأرض داخلة ضمن نطاق ملك والد امرىء القيس.

ولهذا فلن نُعْدَم العثور على موضع واحد من المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته.

ولعل الشاعر ابن مُقْبل حدد لنا الجهة التي تقع فيها «المقراة» حيث أفادنا أن «المازنية» كانت تصطاف وترتبع في أماكن يراها من كان في «أود» أو «المقراة» أو «الجَرَع».

وهذه المواضع التي ذكرها شرقي الدهناء بعيداً عن وسط عالية نجد.

ثانياً: قال أبو عبيد البكري في رسم «الدخول» بعد أن ذكر بيتي امرىء القيس:

(... وقال أبو الفرج: هذه كلها مواضع ما بين إمَرَّة وأسود العين إلاَّ أن أبا عبيدة يقول: إن المقراة ليس موضعاً، وإنما يريد الحوض الذي يجمع فيه الماء.)[1] انتهى.

وقال البكري في رسم «أُوْد»:

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٥٤٨.

(وقال ابن حبيب: أُوْد لبني يربوع بالحَزْن، وأنشد لابن مقبل:

للمـــازنيـــة مـــصطاف ومـــرتبع مما رأت أود فـــالمقـــراة فـــالجـــرع

رأت قابلت. قال: وقيل: أُوْد والمقراة حِذاء اليمامة...)[1]

التعليق:

تكلمنا عن قول السكري؛ أما قول أبي عبيدة:

«إن المقراة ليس موضعاً، وإنما يريد الحوض الذي يجمع فيه الماء.»

أقول: لا أتصور أن أبا عبيدة -وهو من هو - قد فهم أن امرأ القيس عندما ذكر منازل أحبته بين الأماكن الأربعة عَدَّ من بينها حوضاً يجمع فيه الماء.

وما أميل إليه: أن أبا عبيدة كان يشرح معنى «المقراة» من ناحية اللغة، وأن المقراة» التي ذكرها امرؤ القيس كانت بئر ماء؛ هذه البئر سميت المقراة تشبيها لها بالحوض وهو «القرو» الذي يجمع فيه الماء، أو أنه قد بني حول هذه البئر «حوض» يجمع فيه الماء لسقي الإبل وغيرها، فسميت البئر بهذا الاسم «المقراة».

وهذا ما سنركز عليه عند بحثنا عن «المقراة» في الرحلة الميدانية. ولعل «ابن مقبل» قربنا أكثر من مكان «المقراة» حيث جعلها قريبة من موضعين هما «أُوْدُ» و«الجُرَع».

فأُود: تمكنا من التعرف عليه، أما «الجرع» فيقع جنوباً من «أود» غير بعيد.

الجُرَعُ:

الجُرَعُ : لايزال معروفاً باسمه حتى الآن، ويقع غرب بلدة « أم عُشَر » مقابلاً لـ «أُوْد» من ناحية الجنوب.

وقد حدد لنا الشيخ حمد الجاسر موقعه بدقة حيث قال في نظراته في «تاج العروس»:

---

(١) معجم ما استعجم: ص٢٠٩.

(... ويحف بالثمامي غرب نفود الجُرَع، وهو من أطراف الدهناء يتصل بالدهناء التي تغلظ غرب «الثمامي...»[1]) انتهى.

ولكونه معروفاً باسمه القديم فقد أثبت على بعض الخرائط.

أما ما أورده البكري من قول مفاده:

«أود والمقراة حذاء اليمامة».

فهو قول صحيح؛ لأن أود والمقراة متجاورتان، وهما بالفعل واقعتان على حدود منطقة اليمامة من الناحية الشمالية الشرقية، وتقدم معنا قول أبي حاتم عن الرقمتين وهما غير بعيدتين من أود؛ لكونهما في بطن فلج حيث قال: «الرقمتان في طرف اليمامة، من بلاد بني تميم مما يلي مهب الشمال.»

وعامل اليمامة عندما يأتي لجمع «الزكاة» كان يجتاز أوداً والمقراة ليُصَدِّق أهل «لينة» شمالاً غربياً من «أود».

هذا ماقاله قدماء البلدانيين عن «المقراة».

فماذا قال عنها الباحثون في وقتنا الحاضر؟

---

(١) نظرات في كتاب تاج العروس: ص ٣٢٩.

*** أقوال علماء البلدان في زمننا هذا عن المقراة:**

أولاً: قال الشيخ محمد بن بليهد:

(المقراة: واد ينصبُّ إلى جهة الجنوب بين الهضب والسّوادة، وقد حُرِّف اليوم إلى القمرا، فهذا الوادي المذكور يسمى «القِمْرَا» في ألسن جميع أهل نجد، وجميع هذه المواضع المذكورة متقاربة.)[1].

ثانياً: قال الأستاذ سعد بن جنيدل عن «المقراة» بأنها «جفرة الصاقب» حيث قال:

(ويبدو لي أن الجفرة هي الموقع الذي ذكره امرؤ القيس باسم «المقراة» مقروناً بذكر الدخول وحومل وتوضح لقرب هذه المواضع من بعضها، فالدخول وحومل كل منهما لا يزال معروفاً باسمه...)[2].

وبعد أن أورد العديد من النصوص وناقشها قال بعد ذلك:

(أما ما ذكره الشيخ محمد بن بليهد: قال: والمقراة: واد ينصب إلى جهة الجنوب بين الهضب والسّوادة، وقد حرف اليوم إلى القمرا، فهذا الوادي يسمى: القمرا، في ألْسُن جميع أهل نجد.

قلت- القول للأستاذ سعد-:

هذا الوادي الذي تحدث عنه، وقال إنه كان اسمه المقراة، لم يستند فيما ذكره إلى دليل. والواقع أن هذا الوادي اسمه القمرى مقصوراً، قديماً وحديثاً، وقد ذكره أبو علي الهجري بهذا الاسم وحدده تحديداً صائباً، ولكن الشيخ محمد بن بليهد لم يطلع على كتاب الهجري لأن تحقيقه وطبعه كان متأخراً بعد وفاته رحمه الله...)[3]

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١٧/١.

(٢) معجم عالية نجد: ص ٣١١/١.

(٣) معجم عالية نجد: ص ٣١٤/١.

التعليق:

بما أن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته غير موجودة أصلاً في الناحية التي تكلم عنها كل من الشيخين، وهي «عالية نجد الجنوبية» فإن إمكانية العثور على «المقراة» فيها أمر مستبعد. فكما أن وادي «القمرى» ليس هو «المقراة» لأن مسماه قديم؛ فإن «جفرة الصاقب» التي قال عنها مؤلف «معجم عالية نجد»: إنها المقراة التي ذكرها امرؤ القيس، ليست هي أيضاً.

وقد أَخَذَ على الشيخ محمد بن بليهد؛ بأنه لم يستند في قوله: إن المقراة هي وادي «القمرى» إلى دليل.

فلعلي أتساءل وأقول: وماهو الدليل الذي استند عليه صاحب معجم «عالية نجد»» من أنَّ «المقراة» هي «جفرة الصاقب» ؟!

ومادام لدينا نصوص صريحة تتكلم عن المقراة وما بقربها من المواضع شرقي الدهناء؛ فإنه من الأصوب التحري عنها هناك، بدلاً من تخمين موقع لا يؤيده نص قديم.

ومن النصوص القديمة التي ذكرناها آنفاً:

١- قول ابن مقبل:

للمازنية مصطاف ومرتبع مما رأت أود فالمقراة فالجرع

٢- قول ابن حبيب : «أُوْد لبني يربوع بالحَزْن، وأنشد بيت ابن مقبل، وقال: وقيل: أُوْد، والمقراة حِذاء اليمامة.

أقول: مادمنا تعرفنا على «الجُرَع» وكذلك «أُوْد»، وعرفنا أن أود والمقراة متقاربتان، وأنهما حذاء اليمامة؛ أي ليستا في منطقة اليمامة وانما بمحاذاتها في حَزن بني يربوع شرقي الدهناء.

فقد ترجح عندي أنها لا تبعد كثيراً عن أختها «توضح» التي قلنا لعلها واقعة بين بلدة «سامودة» ورمل السّبخة.

كما رجحت أن «المقراة» أقرب إلى «أود» لاقترانهما بالقول معاً.

لهذا قدرت أنها واقعة بين بلدة «ساميودة الآن» وبين «أُوْد» - العَوْد حالياً؛ وبإلقاء نظرة على الخريطة تبين أنه لا يوجد بئر ماء ظاهرة على الخريطة أو معروفة لدى سكان تلك الناحية ماعدا «بئر ساميودة» الواقعة عن البلدة شمالاً غير بعيد منها.

ولهذا قررت الوقوف عليها.

الرحلة الميدانية:

في يوم الخميس ٦/شوال ١٤١٧هـ قمت برحلة كان يرافقني فيها الأستاذ «سعد الماضي» وبالوصول إلى بلدة «ساميودة» اتجهنا شمالاً مع الطريق المزفت حتى حاذينا «فيضة ساميودة» فعرجنا إليها يميناً، وبالوصول إليها الفيناها فيضة تكثر فيها أشجار السِّدر وفي طرفها الجنوبي عثرنا على البئر، وهي بئر جاهلية سميت حديثاً باسم «ساميودة» وفوهتها ضيقة مطوي أعلاها، وهي منقورة بالصخر، وبجوارها من الجهة الشمالية آثار حوض.

وهي واقعة على خط العرض ٣٣° ٥٤َ ٢٧ْ وخط الطول ٠٢° ٥٥َ ٤٤ْ

انظر إلى صورة البئر وما حولها المنظرين رقم (٢٦) ورقم (٢٧).

إني لا أستبعد أن تكون هذه البئر القديمة هي «المقراة» التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته.

أما سبب تسميتها بالمقراة؛ فلكونها منحوتة بالصخر فشبهوها بالقَروْ الذي ينحت من الحجر ويجمع فيه الماء.

أو أن الحوض الموجود بجوارها كان قديماً يجمع فيه الماء فسميت البئر باسمه وهو «المقراة» كما قال أبو عُبَيْدة في النص المتقدم والله أعلم.

(٢٦) منظر فوهة بئر المقراة «سامودة حالياً» وحوضها هو الذي

عند مقدمة السيارة

(٢٧) منظر بئر المقراة من الداخل أسفل الطي، وهي منقورة بالصخر.

«مَأْسَلُ»

مأسل

بعد أن تَذَكَّر امرؤ القيس المنازل بسقط اللوى بين «الدَّخُول» فـ «حَوْمل» فتوضح فالمقراة؛ راح يتذكر ما جرى له في منازل أخرى مثل «مأسل» فقال:

كَدَأْبِكَ من أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بمأسَلِ

فياترى، أين مأسل هذا الذي عناه امرؤ القيس؟

لعلنا باستعراض ما قاله علماء المنازل والديار عن هذا الموضع نهتدي إلى الجهة التي يقع فيها:

أولاً: يقول الشيخ محمد بن بليهد:

(مأسل: ماء في الهضب مجاور لتلك المواقع التي تقدم ذكرها، وهذا الاسم يطلق على ثلاثة مواضح في جهة نجد الجنوبية.

والثاني: مأسل الجمح يقع شمالي عرض شَمَام.

والثالث: في حصاة آل عُلَيَّان بين الركاء والسَّوادة...

وبلغني أن في جبل طيء ماعين يقال لأحدهما: مأسل، وللثاني مُوَيْسِل.[1] انتهى.

ثانياً: قال الأستاذ سعد بن جنيدل:

(ماسلٌ... وذكره البكري مهموزاً فقال: مأسل... موضع في ديار ضَبَّة، تنسب إليه دارة مأسل، وهناك قتل شُتَير بن خالد بن نفيل بن عمرو بن كلاب، وقد ورد ذكره مهموزاً وغير مهموز في المعاجم الجغرافية القديمة.

والواقع أنه في بلاد عُقيل، وليس هو في بلاد ضبَّة.

وهذا الماء لا يزال معروفاً باسمه واقع في بلاد الدواسر في هذا العهد...

---

(١) صحيح الأخبار : ص ١٩/١.

وقد ذكره ياقوت وحدده تحديداً صائباً فقال: ماسلٌ: ماءٌ في ديار بني عُقيل، وعن ابن دريد: نخل وماءٌ لعقيل، وتصغيره مويسل قال الراجز:

ظلت على مُـوَيْسل حـيـامـا ظلت عليـه تعلك الرِّمـامـا

وماسل: اسم جبل في شعر لبيد، ودارة مأسل.

قلت – القول للأستاذ سعد–:

ماسل: اسم يطلق على الماء وعلى الجبل الذي هو واقع فيه، وهو في جبال حمر، وفي شماله ماء مُوَيْسِل – تصغير ماسل – رس عذب والدارة المنسوبة إليه تقع غرباً منه، وهذه المواضع واقعة في الشرق الجنوبي لهضب الدواسر، وفي ماسل يقول لبيد بن ربيعة العامري:

لو كـان شيء خـالد لَتَـوَاءَلَتْ عَـصْـمَـاءُ مـؤلفـةٌ ضَـواحِي مـأسل

ويبدو لي أنه هو الذي عناه امرؤ القيس بقوله:

كـدأبك من أم الحـويرث قـبلهـا وجـارتـهـا أُم الرِّباب بمـأُسل

لقربه من جبال جلجل ودارة جلجل الوارد ذكرها مع ذكر ماسل، وكذلك قربه من الدُّخول وحومل...)[1] انتهى باختصار.

بعد ذلك ذكر ماسل الجمح الواقع في الطرف الغربي الشمالي لجبال عرض شمام كما ذكر ماء مأسل الواقع جنوبي «عماية العليا».

التعليق على هذين القولين:

يتفق الأستاذ سعد بن جنيدل مع الشيخ محمد بن بليهد في وجهة النظر حول «مأسل» الذي عناه امرؤ القيس. بأنه الواقع في عالية نجد الجنوبية وقد اقتصر كل منهما على ذكر ثلاثة مواضع تسمى «مأسل»، إلا أن الشيخ محمد بن بليهد قال:

«وبلغني أن في جبل طيء ماءين يقال لأحدهما: مأسل، وللثاني مويسل.» وبما

(١) معجم عالية نجد: ص ١١٣٥/٣.

أن كلاً منهما يميل إلى أن موضع «مأسل» الذي عناه امرؤ القيس: هو ذلك الموضع الواقع في الهضب جنوباً من الدخول في عالية نجد الجنوبية؛ لذا لم يلتفت أيٌّ منهما إلى محاولة تحقيق المواضع الأخرى المسماة بهذا الاسم وخاصة ماورد في النصوص والشعر العربي حيث يفهم أنها تقع شمالاً من هذه الناحية.

وبما أنه استقر عند صاحب «معجم عالية نجد» أن الذي عناه امرؤ القيس واقع في بلاد بني عُقَيْلٍ قديماً نجده يعلق على قول البكري: إن مأسلاً في بلاد بني ضَبَّة بقوله: «والواقع أنه في بلاد عُقَيْل، وليس هو في بلاد ضَبَّة.»

وأقول:

إن «مَأْسل» الذي ذكر البكري أنه موجود في بلاد بني ضَبَّة، أو ذاك الذي ذكر ياقوت أنه رملة، أو ماء ببلاد طيء مصغراً؛ أحرى أن يكون هو الذي عناه امرؤ القيس؛ لأن وسط عالية نجد، وبلاد كَلْبٍ، او بني تميم، أو بني أسد؛ هي الأماكن التي عاش فيها امرؤ القيس؛ ولذا ورد في شعره ترديد كثير من أسماء الأماكن الموجودة في مواطن هذه القبائل التي حاربت مع آبائه وأجداده أو حاربتهم، ومع أني لا أرشح أياً من المواضع المسماة بـ«مأسل» حتى الآن؛ إلاّ أنه من المناسب إيراد موجز لأقوال علماء المنازل والديار التي ورد فيها ذكر لمأسل:

أولاً: قال ياقوت: (مَاسِلٌ... اسم رملة، وقيل: ماء في ديار بني عُقَيْل، وقال ابن دريد: نخل وماء لعقيل، وتصغيره مويسل...)[1]

وفي رسم «مُوَيْسل» قال:

(مويسل: بالضم ثم الفتح، تصغير ماسل، وقد تقدم: ماء في بلاد طيء...) الخ..

ثانياً: قال البكري:

(مَأسَلُ بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعده سين مهملة مفتوحة: موضع في ديار

---

(١) معجم البلدان: ص ٤٢/٥.

ضبَّة، تنسب إليه دارةُ مأسل. وهناك قُتِل شُتَيْر بن خالد بن نفيل بن عمرو ابن كلاب.)[1] وقال البكري في رسم «مُوَيْسِل» بالتصغير:

(... قال يعقوب: هو مُوَيْهٌ عذب لبني طَريف بن مالك من طيِّء قال مُزَرِّد:

تَرَدَّدُ سَلْمَى حول وادي مُوَيْسِل ... تَرَدُّدَ أمّ الطِّفْلِ ضَلَّ وَحِيدُهَا

وتسكن من زُهْمَانَ أرضاً عَذِيَّةً ... إلى قَرْنِ ظَبيْ حامداً مُسْتزيدُهَا

وقرن ظبي: أبرق ببلاد أبي بكر بن كلاب، من أسافل وادي الشَّطُون.

والشطون: من أذيال الحِمَى العُلْيَا، وزهمان: وادٍ يدفع في الرُّمة لبني فزارة قاله كله يعقوب.) انتهي.

* **الرأي حول "مأسل":**

من النصوص القديمة، وأقوال الباحثين في وقتنا الحاضر لم يتضح لنا جلياً مكان «مأسل» الذي ذكره امرؤ القيس:

والذي أرجحه أنه موجود شمال عالية نجد، لا في جنوبها كما قيل.

ومما يقوي هذا الترجيح أن صاحبتي امرىء القيس «أم الحويرث» وجارتها «أم الرَّباب» اللتين ذكر أنهما تقطنان في «مأسل»؛ قد ذكر أنهما من قبيلة «كَلْب» ومساكن هذه القبيلة تقع شمالاً لا جنوباً.

وقد قلت في مدخل هذا البحث:

إني لن أتوصل إلى قول حاسم ودقيق في تحديد بعض الأماكن التي سأتطرف للكلام عنها، ولكن من المفيد إثارة الحوار حول مالم نتوصل إلى تحديد دقيق بشأنه؛ ليبقى الباب مفتوحاً أمام الباحثين؛ فقد يأتي من له القدرة على تحقيقه، أو يظهر لنا بعض المخطوطات من كتب التراث التي تضم بين طَيَّاتها نصوصاً تدل على المكان الصحيح.

ومأسل: أحد هذه الأماكن التي لم أهتد إلى معرفة مكانها، وأكتفي بالترجيح بأنه واقع في شمالي نجد.

«دَارَةُ جُلْجُل»

دارة جلجل

ويصل بنا المطاف حول البحث عن الأماكن الواردة في المعلقة إلى المكان الذي يعتبره امرؤ القيس من حيث قضاء الوقت الممتع مع صويحباته - أفضل الأماكن وأحبها إلى نفسه وهو «دارة جُلْجُل».

حيث قال في البيت العاشر من المعلقة:

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لك مِنْهُنَّ صَـــالِحٍ ولا سِـــيَّـــمـــا يَوْمٍ بِدَارةِ جُلْجُلِ

أقول: أملي أن يعذرني القارىء الكريم إن أطلت باستعراض النصوص الواردة وأقوال الآخرين، لأن أمر تحقيق هذه الأماكن ليس من السهولة بمكان؛ خاصة إذا كان الأمر يترتب عليه نقض لأقوال علماء أفاضل، اجتهدوا في التحقيق، وانفرد بعضهم برأي قد يخالف فيه البعض الآخر. وموافقتنا لهذا الرأي أو ذاك؛ لابد أن تكون مبنية على أسس واضحة يقتنع بها المتعطش إلى معرفة هذه الأماكن ومواقعها الصحيحة.

ولعلنا في دارة جلجل نجد ما يعضد تحقيقنا للأماكن الأخرى.

ودارة جلجل لم تكن بأحسن حظاً من الأماكن الأخرى؛ فقد نُقِلَتْ من مكانها الصحيح في وسط «عالية نجد» إلى جنوبها.

والآن دعونا نستعرض آراء الباحثين في وقتنا الحاضر وما قالوه عن هذه الدارة.

*** أقوال الباحثين عن دارة جلجل:**

أولاً: يقول الشيخ محمد بن بليهد - رحمه الله -:

(دارة جلجل... وأما دارة جلجل التي عناها امرؤ القيس فهي باقية إلى اليوم في بطن الهضب، تقع في جهته الجنوبية الشرقية، ويقال لها اليوم «دارة

جلاجل» وهو الموضع الذي عناه عمرو بن الخثارم البَجَلي بقوله:

وكنا كـــأنا أصل دارة جلجل مُـدِلٌّ على أشْـبَـالِهِ يَتَـهَـمْـهَمُ

وهي دارة عظيمة تحيط بها هضبات باقية على هذا الاسم.

وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي «دارة جلجل: من منازل حُجرْ الكندي بنجد» وهذه العبارة صحيحة.)[1] انتهى كلامه.

التعليق على هذا الرأي:

بما أن الشيخ محمد بن بليهد يرى أن الدخول وحومل اللذين عناهما امرؤ القيس واقعان في عالية نجد الجنوبية راح يتلمس «دارة جلجل» بالقرب منهما، وحيث تبين لي -كما تقدم- أن مايسمى بالدخول وحومل في تلك الناحية ليسا باللذين عناهما امرؤ القيس، لأن هذه ليست منازل كندة.

أما عن قوله بأن عبارة الأصمعي صحيحة.

فأقول: لو أنه رحمه الله حدد لنا دارة جلجل ضمن نطاق مملكة «حجر الكندي» الواقعة في وسط عالية نجد لكانت عبارته هذه صحيحة.

وعالية نجد الجنوبية ليست من منازل حجر الكندي.

ثانياً: قال الأستاذ سعد بن جنيدل:

(دارة جَلاَجل:

جَلاَجلُ... ماء قديم يقع في المجامع في هضب الدواسر الأسمر، يحفُّ به جبل سمر من الغرب، وماء الطيري يقع جنوباً منه، والسّريف شرقاً منه، وماء ثريا شمالاً منه، وهو في أعلى وادي سمر، في جانبه الأيسر، والدارة تقع عن الماء شمالاً شرقياً، وهي دارة واسعة، محفوفة بالجبال من نواحيها المختلفة تابعة لإمارة الدواسر.

---

(١) صحيح الأخبار: ص ١/٢٠.

ويبدو لي أن هذه الدارة هي التي ورد ذكرها في شعر امرىء القيس بن حُجْر باسم دارة جلجل، لأن المواضع التي ذكرها في أول قصيدته مع ذكر هذه الدارة تقع قريبة منها.

وقد اختلف أصحاب المعاجم في تحديد هذه الدارة اختلافاً كبيراً، فمنهم من قال إنها في الحمى، ومنهم من قال هي في بلاد كندة وغير ذلك من الأقوال المختلفة) وبعد أن أورد بعض أقوال قدماء علماء البلدان، ورأي الشيخ محمد بن بليهد قال:

(وهكذا نرى اختلاف الأقوال في تحديد هذه الدارة، ويرى الشيخ محمد بن بليهد أن ماقاله الأصمعي صحيح، وأنها في نجد، وأنها هي دارة جلاجل التي نتحدث عنها. ويبدو لي أن رأي الشيخ بن بليهد على جانب من الصواب[1]) انتهى ماقاله مؤلف «معجم عالية نجد».

التعليق:

مؤلف معجم «عالية نجد» وافق الشيخ محمد بن بليهد على رأيه حول تحديد «دارة جلجل» وكذلك «الدخول» و «حومل».

وخالفه في تحديد «توضح» و «المقراة».

ولست مع الأستاذ سعد بن جنيدل في رده لما جاء في النصوص القديمة مثل قول من قال إنها في الحمى، أو في بلاد الضباب، أو موضع في بلاد كندة. وغير ذلك من الأقوال.

ولو أنه - سلمه الله - وفق بين النصوص الواردة وعززها بنصوص أخرى وردت لعثر على دارة جلجل في وسط عالية نجد، وكفى نفسه مؤونة البحث عنها جنوباً.

---

(١) معجم عالية نجد: ص ٢/ ٤٩٦.

ثالثا: قال الشيخ حمد الجاسر، وهو يتكلم عن «دارات العرب»:

(١٧-دارة جلجل:

هذه من أشهر الدارات أورد ياقوت في تحديدها:

١- قول ابن السكيت في شرح قول امرىء القيس:

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جُلْجُل

قال: دارة جلجل بالحمى. ونقل مثل ذلك عن الأصمعي وأبي عبيدة.

٢- ويقال بغمر ذي كندة.

٣- وقال ابن دريد في كتاب «البنين والبنات»: دارة جلجل بين شُعَبى، وبين حسلات، وبين وادي المياه، وبين البردان وهي [في] دار الضباب، مما يواجه نخيل بني فزارة.

٤- ونقل عن الأصمعي بأنها من منازل حُجْر الكندي، بنجد.

٥- وأورد في دارة واسط بيتاً يدل على تقارب الدارتين.

هذا ملخص ما أورد ياقوت في تحديدها، على أن الهجري، وهو ممن عرف نجداً معرفة مشاهدة وعلم، قال عن دارة جلجل:

وجلجل يمانيَّةٌ من دوربني الحارث بن كعب، وأرى أن الصواب مع الهجري إذ لو كانت في الحمى لكثر ذكرها على ألسنة شعرائه، على أنا نجد قولاً للأصمعي، وهو يحدد موضع مملكة حجر الكندي بنجد يقول:

ما بين طمية إلى حمى ضرية إلى دارة جلجل من العقيق إلى بطن نخلة الشامية؛ فهذه العبارة إن كانت صحيحة تدل على أن دارة جلجل ليست كما حددها ابن دريد، ذلك التحديد الدقيق، بين مواضع لا تزال كلها معروفة في غرب بلدة ضرية، وقد أورد ياقوت أيضاً لابن دريد قوله:

---

(١) معجم عالية ص ٤٩٦/٢.

البردان ماء للضباب قرب دارة جلجل، والبردان هذا يقع بقرب وادي المياه، الواقع غرب ضرية، والذي هو جزء من وادي الجريب.[1])

انتهى كلام الشيخ حمد الجاسر.

وانظر تعقيب الأستاذ سعد بن جنيدل على ما قاله الشيخ حمد الجاسر حول «دارة جلجل» في المجلد الخامس من مجلة العرب صفحة (٩٩٤).

التعليق على ماقاله الشيخ حمد الجاسر:

يتميز شيخنا حمد الجاسر عن غيره من المؤلفين والباحثين أنه يحرص على تجميع النصوص حول المكان الذي يتحدث عنه من أكثر من مرجع، وإن كان بعض هذه النصوص لا يؤيد ما يميل إليه من رأي. وكأني به -سلمه الله - أورد ماقيل عن «دارة جلجل» ليفتح أمام الباحثين باباً لمحاولة الإجابة عن بعض التساؤلات التي فرضتها بعض النصوص، أو الوصول إلى التوفيق بين النصوص المتضاربة وهنا نجده يميل إلى الأخذ بمقولة الهجري:

«وجلجل يمانية من دور بني الحارث بن كعب»

حيث قال: «وأرى أن الصواب مع الهجري».

وقد أيد هذا الترجيح الأستاذ سعد بن جنيدل بعد أن اطمأن إلى التعليل الذي أورده الشيخ حمد، فقال:

(والمعروف في هذا العهد أنه لا يوجد في عالية نجد أو ناحيته الجنوبية موضع بهذا الاسم أو قريب منه إلا موضع واحد، هو جبال «جلاجل» الواقعة في الهضب الأسمر، هضب الدواسر، ويحتمل أن كلمة جلاجل محرفة من كلمة جلجل...)انتهى.

---

(١) مجلة العرب: مجلد ٤ صفحة ٧.

أقول:

لابد لأي باحث يريد تحقيق المواضع تحقيقاً صائباً أن يورد جميع الأقوال التي تتكلم عن الموضع المراد تحقيقه، وإذا ظهر تعارض بين النصوص، فلابد من التوفيق بينها إن أمكن.

وهذا ما فعله الشيخ حمد الجاسر عندما علق على كلام «الحازمي» في كتاب «الأماكن» حيث قال الحازمي: «باب جُلْجُلٍ: وحَلْحَل».

(أما الأول: بجيمين مضمومتين: دارة جُلْجُل: قال الأصمعي وأبو عُبَيد:

هي من الحمى وقال غيرهما: في ديار الضباب ذكرها امرؤ القيس وغيره.)

انتهى كلام الحازمي.

وقد علق الشيخ حمد الجاسر على هذا بقوله:

(قال نصر: وأما بضم الجيمين: دارة جُلْجُلٍ بنجد في دار الضِّباب، مما يواجه ديار فزارة. اهـ.

وجمع ياقوت بين القولين، وذكر معنى الجُلْجُل لغة، وأشار إلى أنه فَسَّر الدارة في بابها. وما أورد الحازمي من قول الأصمعي وأبي عبيد وقول غيرهما ينطبق على موضع واحد، فبلاد الضِّباب أغلبها في الحمى، حمى ضرية، أما قول نصر بأنها مما يواجه ديار فزارة فيفهم منه أنها في الشمال الغربي من الحمى، حيث عَدَّ الهجري من بلادها الزُّهلول ومياهاً في جهته، ولكن الهجري ذكر أن دارة جُلْجُل يمانية من دور بني الحارث بن كعب، وبلاد هؤلاء في جنوب الجزيرة في بلاد نجران وما بقرب تلك البلاد، ويمكن الجمع بين قول الهجري وبين قول الأصمعي وأبي عبيدة بأن الاسم قد يطلق على موضعين فأكثر.) انتهى كلام الشيخ حمد.

وإن كان لي من تعليق على كلام الشيخ فهو: أن الهجري ذكر دارة جلجل من دارات الحمى «حمى ضرية» مقرونة مع دارة شعبى، ودارة قنيع، ودارة عسعس، وغيرهن.

ولم يقل: إن دارة جُلْجل يمانيـة من دور بني الحـارث بن كـعب؛ وإنما قـال: وجلجل يمانية.. وأحسب أن قصده من هذا التعريف؛ ليوضح لنا أن أصل كلمة جُلْجُل التي نسبت لها الدارة من دور بني الحارث الذين كانو يسكنون نواحي نجران. وعلى أي حال فلا وجه للاستدلال بقول الهجري على أن دارة جلجل في بلاد بني الحريش في عالية نجد الجنوبية!!

تحقيقي لمكان دارة جلجل

عند تحقيقي للمواضع التاريخية والجغرافية؛ أحرص كثيراً على جمع شتات النصوص القديمة من شعر ونثر؛ لأنها المرشد إلى الموضع المراد تحقيقه ومن ثم تطبيق هذه النصوص على واقع الأرض.

وبما أن «دارة جُلْجُل» التي نتحدث عنها تعتبر من أشهر دارات العرب، ومع هذا كثر الاختلاف في تحديد مكانها؛ لذا فإن تكرار إيراد النصوص حولها مما يجعل القارىء يتصور ما نتحدث عنه، ومما يمكننا من وضع خطة للقيام برحلات ميدانية للبحث عن هذه الدارة الغامضة.

وإليك ملخصاً لما قاله القدماء - مما تقدم - عن دارة جلجل:

١- دارة جلجل بالحمى، ويقال بغمر ذي كندة.

٢- دارة جلجل بين شُعَبى وبين حَسَلات وبين وادي المياه وبين البردان، وهي دار الضباب مما يواجه نخيل بني فزارة.

٣- دارة جلجل من منازل حُجْر الكندي بنجد.

٤- البردان: ماء للضِّبَاب قرب دارة جلجل.

٥- دارة جلجل: موضع بديار كندة، يقال له الحمى.

٦- دارة جلجل: عند عين كندة.

٧- دارة جلجل: عَدَّها الهجري ضمن دارات حمى ضرية قرب دارة شُعَبَى، ودارة قنيع ودارة عسعس، ودارة وسط.

تمهيد الطريق أمام الرحلات الميدانية:

من مجمل النصوص المتقدمة يتضح لنا أن مسمى دارة جلجل موجود في مكانين متباعدين أحدهما: في ديار كندة في غمرها المسمى بـ «غمر ذي كندة»،

وبالتحديد عند عين كندة، الواقعة في جبال الحجاز.

والمكان الآخر: في الحمى «حمى ضرية» الذي هو من منازل حُجْر الكندي والد امرىء القيس، وقد حدد لنا موقعها ابن دريد تحديداً دقيقاً.

استنتاج:

لا مندوحة من الجمع والتوفيق بين النصوص الواردة؛ حتى نخرج بتصور واضح يدلنا على هذين الموضعين.

وقد تصورت أن هناك في غمر ذي كندة الواقع في أعالي وادي «نخلة الشامية» موضعاً يسمى «دارة جلجل».

لذا يلزمنا تحديد «غمر ذي كندة» وكذلك «عين كندة» لنتمكن على ضوء ذلك من تحقيق دارة جلجل.

وهذه الدارة هي التي سميت باسمها «دارة جلجل» الواقعة في عالية نجد وبالتحديد في بلاد «الضِّباب» من حمي ضرية، وذلك عندما سكن بنو كندة تلك النواحي إبان قيام ملكهم، وهي من منازل «حجر بن الحارث».

فقد أطلقوا هذا المسمى على إحدى دارات الحمى، وسرعان ما اختفى هذا المسمى عندما أفل نجمهم ورحلوا وتفرقوا في البلاد.

*** غمر ذي كندة:**

قال ياقوت: الغَمْرُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه ، وهو الماء الكثير المغرق، وثوب غَمْرٌ إذا كان سابغاً...

وغمر ذي كندة: موضع وراء وَجْرَة بينه وبين مكة مسيرة يومين، قال عمر بن أبي ربيعة فيه:

إذا سَلَكَتْ غَمْر ذي كِندَة ... مع الصبح قصداً لها الفَرْقَدُ

هنالك إمَّا تُعَزِّي الفؤاد ... وإمَّا على إثرهم تكمَدُ

قال ابن الكلبي في كتاب الافتراق:

وكان لجنادة بن مَعَدّ الغَمْرُ غمر ذي كندة وما صاقبها وبها كندة دهرها الأول، ومن هنالك احْتَجَّ القائلون في كندة ما قالوا لمنازلهم في غمر ذي كندة يعني من نسبهم في عدنان...[1])

(١) معجم البلدان: ص ٢١٢/٤.

ومما قاله أبو عبيد البكري عن سبب افتراق قضاعة:

(... فاجتمعت نزار بن معدّ على قضاعة، وأعانتهم كِنْدَةُ، واجتمعت قضاعة وأعانتهم عَكٌّ والأشْعَرون، فاقتتل الفريقان، فَقُهِرت قضاعة، وأجلوا عن منازلهم، وضعنوا منجدين...[1]) انتهى.

من هذين النصين عرفنا أن بني كندة كانوا في زمنهم الأول يسكنون شرقي مكة المكرمة على مسافة يومين منها- بالنسبة لسير الإبل- ولهم هناك موضع يقال له غمر ذي كندة.

وقد تعرفت على مكان هذا الغمر عند تحقيقي لمسار طريق «الحج البصري» الذي أوصلته إلى ميقات ذات عرق.

واستزادة في معرفة المنازل والديار قررت زيارة المتعشى الذي يلي الميقات مما يلي مكة واسمه «الغُمَيرْ» تصغير غَمْر.

وهناك سألت عن «غمر ذي كندة» فاتضح لي أنه لم يبق من مسماه القديم سوى «وادي كندة» حيث لا يزال يسمى بهذا الاسم حتى وقتنا الحالي.

ومادمنا عرفنا الطريق إلى «الغُمَيرْ» دعونا نقوم برحلة ميدانية لتحقيق «غمر ذي كندة» و«عين كندة» و «دارة جلجل» الواقعة في منازل بني كندة القديمة والتي سميت دارة جلجل النجدية باسمها.

الرحلة الميدانية:

في صيف هذا العام ١٤١٧هـ وبالتحديد في ويوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول؛ قمت برحلة صحبني فيها ابن العم الأستاذ عبد العزيز بن صالح الشايع وكانت بداية رحلتنا من مدينة «الطائف» عن طريق «السَّيل الكبير» - ميقات قرن المنازل-

من السيل اتجهنا شمالاً عبر وادي «حُرَاض» حتى وصلنا وادي «نخلة

(١) معجم ما استعجم: ص ١/٢٠.

الشامية» ومع مجراه اتجهنا شرقاً إلى «الغُمَيْر» وقد وصلناه ظُهْراً، ولما كان الجو حاراً استرحنا في ظل شجرة سِدْرٍ كبيرة في وادي «الفَيْضَةِ» حتى بَرَّدَ الوقت قليلاً، وبما أننا سبق أن زرنا «الغمير» قبل هذه المرة، ووقفنا على بركته العجيبة؛ فقد كان لنا جولة في أرجاء هذه الأرض المنبسطة التي تحيط بها الجبال من جميع جهاتها، ولا أعرف السبب الذي جعل أهل تلك الناحية يطلقون عليها مسمى «مَكَّة الرَّقَّة».

لقد لفت انتباهنا في هذه الرَّقة المستوية وجود آثار شبكة من مجاري المياه المشيدة بالحجارة بعضها مُغطى وبعضها مكشوف، مع وجود عدد من الخرزات كموزع لمجاري المياه.

هذه السَّواقي التي أشرت إليها لا يتنبه لوجودها إلا من يدقق النظر ويتتبعها. ولا شك أن هذه الأرض كانت ذات يوم عبارة عن حدائق غناء.

لقد تساءلنا من أين تأتي المياه التي كانت في الماضي تجري في هذه السواقي؟!.

ونظراً لوجود البركة الكبيرة التي شيدت في مكان مرتفع، أدركنا أن المياه تتجمع فيها ومن ثم تغذي الأرض المنخفضة عبر قنوات معقدة التنفيذ.

ونظراً لبناء البركة في مكان مرتفع عن منسوب مجرى الوادي، جعلنا نتساءل كيف يتم وصول المياه إلى البركة؟!

في الزيارة الأولى عند تحقيق طريق الحج البصري، شاهدنا سلسلة من الحجارة في بطن الوادي فعللنا أن هذه السلسلة عبارة عن سد لمجرى الوادي لحجز مياه السيول حتى يرتفع المنسوب إلى مستوى البركة فتملؤها.

أما في هذه الزيارة فكان التعليل مختلفاً؛ لأننا نبحث عن عين جارية في هذا الموضع كانت تسمى «عين كندة»؛ الأمر الذي جعلنا نتتبع مجاري المياه القادمة للبركة والصادرة منها.

وعند ذلك أدركنا سرَّ تشييد البركة في مكان مرتفع لكونها تتغذى بالمياه من عين جلبت لها من مكان أعلى منها.

في زاويتها الشمالية الشرقية درج مكون من عشر درجات، يماثله درج آخر في الزواوية الجنوبية الغربية.

إن هذه البركة تختلف عن البرك الأخرى المنفذة على طريقي زبيدة، وحاج البصرة؛ وهي جديرة باهتمام مهندسي الري والصرف.

والآن دعونا نتعرف أكثر على متعشى الغُمَيرْ المسمى عند العامة بـ «مَكَّة الرَّقَّة»:

* **الغُمَيْر، وغمر ذي كنْدَة:**

١- قال صاحب كتاب «المناسك» وهو يعدد منازل طريق الحج البصري:

(... وذات عرق من الغمار، إلى الغُمَير، فهو الغمر الثاني، وهي التي يقول فيها الراجز:

حتى إذا مرت على الغُمَيْرِ وذاك عند مطلع القُمَيْر

ومن وراء ذلك غمر ذي كندة الذي يقول فيه ابن أبي ربيعَة:

إذا جاوزتْ غَمْرَ ذي كندة مع الركب، قصد لها الفرقد

٢- قال صاحب كتاب بلاد العرب:

(ومنهل يقال له الغُمَيرْ، إذا خرجت من غمرة أو وجرة فأردت أن تجعل إلى مكة مرحلتين فالمرحلة الأولى الغُمَيْر. ومن جعلها ثلاثاً فمرحلة ذات عرق، ثم البستان ثم مكة.[٢]).

---

(١) المناسك: ص ٦٠٣.

(٢) بلاد العرب: ص ٣٧٧.

٣- قال ياقوت:

(غُمَيْرٌ: بلفظة تصغير الغَمْر، وهو الماء الكثير؛ قال أبو المنذر: سمي الغُمَير لأن الماء الذي غمر ذلك الموضع غير كثير: موضع بين ذات عرق والبستان وقبله بميلين قبر أبي رغال.[١]).

وقال ياقوت أيضاً:

(بُستان الغُمير: بالتصغير، كان يقال له في الجاهلية غَمْر ذي كِندة، فاتخذ فيه ناسٌ من بني مخزوم أرضاً فيقال له: بستان الغُمَيْر.[٢]).

٤- أما ابن خرداذبة فقال وهو ويتحدث عن طريق الجادة من معدن النقرة إلى مكة:

(... ثم إلى ذات عرق فيها بئر كثيرة الماء ستة وعشرون ميلاً والمتعشى أوطاس على اثني عشر ميلاً ثم إلى بستان بني عامر كثيرة الماء اثنان وعشرون ميلاً، والمتعشى غمر ذي كندة على أحد عشر ميلاً ثم إلى مكة أربعة وعشرون ميلاً...[٣]) انتهى.

وقد وافقه على هذا القول ابن رستة في كتابه «الأعلاق النفيسة».

ومن الملاحظ أنهما جعلا متعشى «غمر ذي كندة» بعد بستان ابن عامر ممايلي مكة وهذا غير صحيح؛ فالغمير وغمر ذي كندة يقعان قبل البستان ممايلي ميقات ذات عرق. والصواب مع الحربي وياقوت الحموي.

مايستفاد من هذه النصوص:

من النصوص المتقدمة عرفنا أن الموضع المسمى حالياً «مكة الرَّقة» هو متعشى الغمير وقد سماه ابن رستة وابن خرداذبة «غمر ذي كندة».

---

(١) معجم البلدان: ص ٤ / ٢١٣.

(٢) معجم البلدان: ص ١/ ٤١٤.

(٣) المسالك والممالك: ص١٣٢.

وسماه ياقوت الحموي «بستان الغمير» وقال عنه: إنه كان يقال له في الجاهلية «غمر ذي كندة» فاتخذ فيه ناس من بني مخزوم أرضاً فيقال له: بستان الغمير. انتهى.

أقول: إن هذه الأرض المسماة في وقتنا الحاضر «مكة الرقة» التي وجدنا فيها قنوات المياه والبركة هي بلا شك بستان الغمير الذي يعتبر متعشى الحاج بعد ميقات ذات عرق.

ومما يؤيد قول ياقوت هذا ما أورده الحربي في أرجوزة الطريق حيث قال الراجز:

(ثم مضت إلى الغمير عامده قد جهدت وهي تُخبُّ جاهده

....

فشربت وبركت في النخل بمنزل ليس بِحدّ سَهْل[1])

فقائل الأرجوزة أفادنا أن راحلته عندما وصلت إلى متعشى الغمير شربت ثم بركت في النخل، وهذا يفيد أن بستان الغمير كان عامراً في ذلك الوقت.

ومن حسن الحظ أن يبقى مُسَمَّى «كندة» يحمله اسم واد يحف بهذا الغمر يسمى حالياً «وادي كندة» وهو مثبت على الخرائط نظراً لشهرته، ويقول عنه الأستاذ عاتق البلادي:

(... وادي كندة: واد يجتمع مع وادي الملحاء والفيضة فيتكون منها وادي الزَّرقاء الذي يرفد نخلة الشَّامية من الشرق، تجتمع الأودية الثلاثة عند مكة الرقة...[2]) ويقول في رسم «وادي كندة»:

(واد من روافد وادي الزرقاء، ووادي الزرقاء: من روافد نخلة الشامية، كان درب حاج العراق يأخذ نخلة الشامية ثم الزرقاء ثم يجزع وادي كندة... وكانت

---

(١) المناسك: ص ٦٣٧.

(٢) معجم معالم المحجاز: ص ٢٣١/٧.

قبيلة كندة قد سكنت هذه الديار قبل نزوحها إلى نجد، فيظهر أنها أعطت اسمها لهذا المكان.[1])

مواصلة الرحلة:

من الغُمَيْر واصلنا رحلتنا عبر «وادي كندة» للتعرف على مجراه ولم نكد نقطع منه مشرقين سوى كيلين حتى شاهدنا على ضفته اليسرى بعض البساتين والنخيل، وكنت حريصاً على مقابلة أحد سكان هذا الوادي لمساءلته عن أمور لاتزال غامضة.

وفي أحد البساتين شاهدنا رجلاً مسناً ومعه أولاده يجذون من حمل النخل فتوقفنا وسلمنا على الرجل وأولاده، وبعد أن ضمنا المجلس معهم سألناه عن الوادي وهل كان يجري فيه أو حوله عين ماء؟

فقال إنه لا يعرف شيئاً عن العين، وكل ما يعرفه أن الوادي إذا سال مكث مدة والماء يجري فيه، فإن كان هناك عين قديمة فقد اختفت معالمها مع طول الزمن، ثم أشار إلى جدار سميك من الحجر وقال هذا عبارة عن سد قديم لا نعرف من بناه، ولم يبق منه سوى الموجود داخل المزرعة.

وسألناه قائلين هل يوجد في وادي كندة أو بجواره مايشبه الدارة؟

فقال: لا يوجد سوى مكة الرقة، وموضع في أعلى الوادي يسمى:

«جُمْد الوَقْب».

وقد وقفنا على جمد الوقب هذا ولكنه في نظرنا لا يصدق عليه مسمى «الدارة».

ونحن بحاجة في هذا الوادي أو قربه إلى دارة لكي نطلق عليها مسمى «دارة جلجل».

---

(١) معجم معالم الحجاز: ص ٩/ ١٠٧.

* دارة جلجل الحجازية:

قال البكري في رسم «دارة جلجل»:

(... وقال أبو الفرج: قال الكلبي: دارة جلجل عند عين كندة.)[1]

وتقدم معنا نص يقول: «دارة جلجل بالحمى، ويقال بغمر ذي كندة.»

من هذا نفهم أن مسمى «دارة جلجل» يطلق على موضعين:

أحدهما: دارة جلجل الحجازية الواقعة في «غمر ذي كندة» عند العين المسماة «عين كندة».

والثاني: دارة جلجل النجدية الواقعة بالحمى، وهي التي عناها امرؤ القيس في شعره وسنهتدي إليها إن شاء الله.

والمراد تحقيقه في هذه الرحلة هو الدارة الموجودة في غمر ذي كندة.

ومن التجوال في «مكة الرقة» والوقوف على الآثار الموجودة فيها، وكذا السير مع مجرى «وادي كندة» ومشاهدة آثار السد الموجودة فيه لم يبق لدي أدنى شك بأن هذه الأرض المستوية المحاطة بالجبال من جميع جهاتها، التي تسمى الآن «مكة الرقة» وفي صدر الإسلام تسمى: الغمير، أو بستان الغمير، وقد يسميها البعض غمر ذي كندة.

هي «دارة جلجل قديماً».

ووصف الدارة ينطبق عليها؛ فقد عَرَّف «أبو عُبَيْدَة» الدارة بأنها كل متسع من الأرض حوله جبال.

وللدارة تعريفات أخرى ولكننا لسنا بصدد إيراد ماقيل عن تعريف «الدارة» وهذه الدارة «دارة جلجل الحجازية» تقع في أعالي وادي «نخلة الشامية» يمر من خلالها طريق حاج العراق ومن يمر بميقات ذات عرق، وهذه الدارة التي سميت

---

(١) معجم ما استعجم: ص ٣٨٩.

عندما مر بها الطريق «متعشى الغُمَير» تقع بين الميقات ومنزل بستان ابن عامر، وتقع على خط العرض ٤٩ً ٤٩َ ٢١ْ وخط الطول. ١٦ً ٢١َ ٤٠ْ.

والبركة تقع في الناحية الجنوبية من الدارة، ومن جوار هذه البركة أخذت المسافات التالية:

١- يبعد المكان عن ميقات ذات عرق اثني عشر كيلاً ونصف الكيل.

٢- ويبعد عن ميقات «قرن المنازل» - السيل الكبير - ثلاثة وعشرين كيلاً.

٣- وعن عُشَيرة القديمة، واحداً وثلاثين كيلاً.

وهذه المقاسات مأخوذة على السَّمت.

وقد استرعى انتباهي وجود كثير من الخربشات والنقوش على جدار البركة الشمالي من الداخل.

وقد تعني هذه النقوش شيئاً بالنسبة للمتخصصين والمهتمين بالكتابات القديمة.

بعد عودتي من هذه الرحلة الميدانية؛ رغبت الاطلاع على ماقاله الباحثون عن «مكة الرَّقة»، وبالرجوع إلى العدد الثاني من دورية «أطلال» قرأت ماكتبه الأستاذان: «خالد الدايل، وصلاح الحلوة» في التقرير المبدئي عن الموسم الثاني لاستكشاف درب زبيدة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) وقد الفيتهما قد وصفا «البركة» وصفاً بارعاً، وكذلك السَّد المقام على وادي كندة، وكذا بقية الآثار الموجودة في الموقع.

ومما قيل في هذا التقرير:

(مكة الرقة: تقع ... في نهاية المضيق بمسلك وادي الشامية ووادي كندة مع وادي الملحاة. وهي تطل من أعلي هضبة على تقاطع وادي كندة مع وادي ملحاة، حيث يضيق وادي كندة في هذه المنطقة وتزداد تعرجاته. ويحتوي الموقع على بركة مربعة الشكل وقنوات متعددة وثلاث آبار، ويوجد سَدّ بالوادي شرقي الموقع. ويعتبر هذا الموقع أكبر موقع تم استكشافه هذا الموسم من حيث المياه المتاحة للري.) انتهى.

تصوري لآثار المنشآت الموجودة في مكة الرقة:

تختلف المنشآت التي مازالت آثارها شاخصة للعيان عن آثار منشآت منازل طريق الحج، فالبركة وقنواتها الواصلة إليها والصادرة منها لم أشاهد مثلها في برك طريق زبيدة وكذلك طريق الحج البصري؛ الأمر الذي يوحي بأن البركة أنشئت أصلاً لري مزارع وبساتين.

وبرك الطريق تستمد مياهها من بطون الأودية إذا سالت، أما البركة الموجودة في «مكة الرقة» فقد شيدت في موضع أعلى من منسوب مجرى الوادي الذي يحف بها.

وهذا الوضع يدل دلالة واضحة على أنها تُغَذَّى بالمياه من عين جارية في زمن مضى، وقد تكون هذه العين هي «عين كندة» التي حكت النصوص أن دارة جلجل عندها.

فهل أنشأ بنو كندة في جاهليتهم هذه البركة بقنواتها المعقدة التنفيذ؟

يبدو لي أن هذا أمر مستبعد، وقد يكون وادي كندة يجري على مدار السنة، وقد أحدثوا فيه سداً يحجز المياه فغمرت المياه جزءاً من مجرى الوادي فسمي «غمر ذي كندة».

وعندما أنشأ أناس من بني مخزوم بستاناً في الأرض المنبسطة المحاطة بالجبال، أقاموا مشروع البركة وقنواتها، وتحكموا بمصادر مياه «عين كندة» حتى أوصلوها إلى البركة، ومن ثم صرفوا تلك المياه المتجمعة عبر قنوات ما تزال آثارها تشاهد في الموقع.

والدليل على أن هذه البركة تغذى بالمياه من العين ماقاله صاحب كتاب المناسك حيث قال:

(وبالغمير عين جارية، وبركة يجتمع فيها ماء العين، وحوانيت كثر خراب.[1]

---

(١) المناسك: ص ٣٥٣.

ولا أستبعد أن هذا البستان كان مهجوراً عندما كان طريق الحج العراقي يمر بهذا المكان؛ لأنه يعتبر المتعشى بعد ميقات ذات عرق والدليل على ذلك أن صاحب أرجوزة الطريق قال عن راحلته عندما وصلت إ[illegible]نغمير»:

ثم مضت إلى الغمير عامده قد جهدت وهي تخب جاهده
فشربت وبركت في النخل بمنزل ليس بحدّ سهل

فلا أتصور أن ركائب الحجاج ستبرك بعد أن تشرب من الماء وسط النخل إلا أن يكون هذا النخل مهجوراً ولكنه مازال قائماً على أصوله آنذاك.

ومما تقدم من تضافر النصوص، وما أسفرت عنه الرحلات الميدانية فقد ترجح عندي، أن «مكة الرقة» أو مايسمى بـ «الغمير» هو المكان الذي كان يسمى «دارة جلجل» في ديار كندة قديماً، والتي منها جاء مسمى «دارة جُلجل» الواقعة في «عالية نجد» في نطاق «حمى ضرية» والآن دعونا نتحسس دارة جُلجل امرىء القيس في مظانها.

* **دارة جُلْجُل النَّجْدِيَّة:**

لقد أكثرت المراجع القديمة من ذكر قصة امرىء القيس مع صويحباته في دارة جلجل. ولسنا بصدد سرد هذه القصة، ولا بصدد إيراد أقوال النقاد حول صحة جميع أحداثها من عدمها. ويكفينا هنا أن امرأ القيس ذكر في معلقته دارة اسمها «دارة جلجل» أخبرنا أنه قضى فيها يوماً من أيام تمتعه ولهوه.

فأين ياترى، هذه الدارة؟

يكاد يتفق الباحثون في وقتنا الحاضر على أنها واقعة في عالية نجد الجنوبية شرقي الهضب حالياً، وأنها مايسمى بـ «جَلاَجل».

وقد تبين لي أن القائلين بهذا الرأي لم يُعْمِلوا النصوص القديمة، بل حاول البعض تعطيلها والاستعاضة عنها باجتهاد مبني على الحدس والتخمين.

وبما أن أصول التحقيق السليم تقتضي تطبيق النصوص القديمة على الموضع المراد تحقيقه. إلاَّ إذا ظهر خطؤها بشكل واضح وجلي.

وحتى نهتدي إلى المكان الصحيح لدارة جلجل التي عناها امرؤ القيس دعونا نلقي نظرة سريعة على أقوال المتقدمين التي مرت معنا لنسير على ضوئها في بحثنا أثناء الرحلة الميدانية.

١- قالوا: دارة جلجل بالحمى.

٢- دارة جلجل: موضع بديار كندة، يقال له الحمى.

٣- دارة جلجل: من منازل حُجْر الكندي.

٤- دارة جلجل: ذكرها الهجري ضمن دارات حمى ضرية.

٥- دارة جلجل: بين شُعَبَى وبين حَسَلاَتٍ وبين وادي المياه وبين البَرَدان، وهي دار الضِّباب مما يواجه نخيل بني فزارة.

٦- البَرَدان: ماء للضِّباب قرب دارة جلجل.

هذه النصوص الستة سبق أن أوردناها موثقة، ومنها مجتمعة يتضح لنا أن «دارة جلجل» واقعة في الحمى «حمى ضرية» والحمى من منازل حُجْر الكندي والد امرىء القيس.

وابن دريد حددها لنا تحديداً يرشدنا إلى موقعها بدقة، وتحديده لاغبار عليه.

ولو تعرفنا على الأماكن التي ذكرها، وحددنا أماكنها؛ لأمكننا التعرف على المكان الصحيح لدارة جلجل والآن دعونا نلقي الأضواء على هذه المواضع الأربعة التي ذكرها وهي: شُعَبى، وحسلات، ووادي المياه، وماء البردان.

أقول:

شُعَبى وحَسَلات: لا تزالان معروفتين باسميهما حتى الآن.

أما وادي المياه والبردان: فهما الموضعان اللذان يحتاجان منا إلى تحقيق وسنتوصل إلى التعرف عليهما إن شاء الله.

* **وادي المياه:**

١- قال الشيخ محمد ن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار» رسم «مياه»:

(... أعرف وادي المياه لأن به مياه كثيرة تردها الأعراب، وهي: منهل الرضم والمكلاة والصّفوية وأبرقيَّة وقليب الطّحش، وهذه المياه هي التي نسب إليها هذا الوادي، وهذا الوادي، ووادي الشبرم يجتمعان ويصبان في وادي الجريب ثم تتجه وتصب في وادي الرّمة، ووادي المياه يحمل هذا الاسم إلى هذا العهد.[١] انتهي.

٢- قال الأستاذ سعد بن جنيدل في كتابه «معجم عالية نجد»:

(وَادِى المِيَاه... وقد سمي وادي المياه لكثرة مياهه. يبدأ هذا الوادي من عَفِيف ومن المواضع الواقعة منه شرقاً شمالياً ويتجه سيله شمالاً ويتجمع مجراه شمال عفيف على بعد ثلاثين كيلاً ويدفع شمالاً بحذاء رمل العريق تصغير عرق، وتدفع فيه الروافد من جانبيه على طول امتداده الطويل، وبعد أن ينكب جبال النَّجَج يلتقي بوادي الشبرم ثم يستمر في اتجاهه حتى يلتقي بوادي الجرير، ووادي الجرير يدفع في بطن الرمة...

وهذا الوادي معروف بهذا الاسم قديماً، وكان فيه لبني كعب بن كلاب حقوق في أعلاه، وفيه لبني الأضبط... وكذلك فيه حقوق لمحارب قديماً.

قال الأصفهاني: ولبني محارب من المياه في الحمى ماء يقال له غبير، في وادي المياه، بين شعبى وبين رملة بني الأدرم، وماء يقال له غُبَار وأحساء كثيرة في وادي المياه، وهذه المياه لبني سعد بن سنان بن الحارث، من بني محارب بن خصفة.)[١] انتهي. كلامة باختصار.

---

(١) صحيح الأخبار: ص ٨١/٥.

التعليق:

أقول: لقد التبس الأمر على الشيخين؛ فحسبا أن مايسمى الآن بـ «وادي المياه» هو وادي المياه قديماً، بينما الصحيح أن مسماه القديم «وادي اللِّوَى» ولعل هذا يتضح من استدراكاتي التالية على ما أورده مؤلف «معجم عالية نجد»:

١- قال الأستاذ سعد عن وادي المياه:

«وكان فيه لبني كعب بن كلاب حقوق في أعلاه، وفيه لبني الأضبط،... وكذلك فيه حقوق لمحارب قديماً».[١]

وقد نسب النص الذي أورده للأصفهاني، وعزاه في ذيل الصفحة للهجري، وأحالنا إلى صفحة (١٦٤) من أبحاث الهجري.

ويبدو لي أنه أورد قول الهجري في صفحة (٢٦٤).

وبالنسبة للوادي الذي ورد أن في أعلاه حقوقاً لبني كعب بن كلاب، وفيه حقوق لبني الأضبط؛ فهو وادي «اللوى» وليس وادي «المياه».

والدليل على ذلك قول صاحب كتاب بلاد العرب:

(ثم بطن اللوى، صدره لهم، وأسفله لبني الأضبط، وأسفل من ذلك لفزارة، وهو واد عظيم إذا سال سال أياماً.[٢]) انتهى.

وهذا النص استشهد به مؤلف معجم عالية نجد في رسم «اللِّوى» وهو يتكلم عن وادي اللوى الواقع شرقي حرة كشب؛ بينما الصحيح أن يستشهد به على وادي اللوى الواقع غربي «عُرَيق الدَّسم» و انظر صفحة (١١٣١) من كتاب «عالية نجد».

٢- سواء عزونا النص للهجري أو للأصفهاني، فإن وادي المياه الذي جاء ذكره

---

(١) معجم عالية نجد: ص ١٢٩١/٣.

(٢) بلاد العرب: ص ١١٦.

في قول كل منهما، ليس المقصود به مايسمى الآن وادي المياه الذي كان يسمى قديماً وادي اللوى؛ وإنما المقصود واد آخر يدل على ذلك ما نستنتجه من النص الوارد.

فالهجري - رحمه الله - قال:

«ولبني محارب من المياه في الحمى ماء يقال له غُبَيْر، في وادي المياه بين شُعَبَى وبين رملة بني الأدرم، وماء يقال له غُبَار وأحساء كثيرة».

ولو سلمنا جدلاً بأن مياه بني محارب، غبير وغبار وأحساءهم واقعة في مايسمى بـ «وادي المياه حالياً» الواقع غربي نفود «عريق الدسم»، فإن هذه المياه ستكون بلاشك واقعة بين شعبى ورميلة بني الأدرم وهذا يعني أن رميلة بني الأدرم ستكون واقعة غربي هذا الوادي لأن شعبى تقع شرقيه وكذلك رمل عريق الدسم.

ولو كان الأمر كذلك لوجدنا رمالاً غربي الوادي الذي قلنا إنه وادي المياه، ومن المعروف أنه لايوجد غربيه أية رمال حتى نصل جبال الحجاز فأين تقع رميلة بني الأدرم إذاً؟!!

٣- مياه بني محارب المذكورة في النص لا تقع في وادي «المياه حالياً» - اللوى قديماً - وإنما تقع في وادي المياه الذي لم نتعرف عليه بعد.

ولعلنا هنا نتعرف على الجهة التي يقع فيها حتى نقف عليه في رحلتنا الميدانية.

يقول صاحب كتاب بلاد العرب:

(ولبني محارب في شرك الضباب: ماء يقال له غبير والمُنْبَجِس.

والعُرْفطانة. وهؤلاء في شعب من شُعَبى.[1]

---

(١) بلاد العرب: ص١٨٥.

وبهذا القول حدد لنا هذا النص أن مياه بني محارب التي منها «غُبَير» واقعة في شُعَب من شعبى؛ أي أن هذه المياه شرقي عريق الدسم لا غربيه كما قيل.

ومن قبله قال الهجري: إن ماء غبير في وادي المياه بين شُعَبى وبين رملة بني الأدرم؛ مما يدل على أن وادي المياه هذا ينزل من شعبى وأن هذه المياه واقعة بين شعبى ورملة بني الأدرم.

وسنتعرف بإذن الله على هذه الرملة عندما نعثر على حفر بني الأدرم الواقع بالقرب من شعبى.

ولما تقدم أقول: إن مايسمى في زمننا هذا «وادي المياه» الواقع غربي «عريق الدسم» هو وادي «اللوى» الذي قال عنه ياقوت الحموي في رسم «اللوى»:

«اللوى... وهو أيضاً موضع بعينه قد أكثر الشعراء من ذكره وخَلَّطَتْ بين ذلك اللوى والرمل فعزَّ الفصل بينهما..» انتهى.

ويبدو لي أنه لا صعوبة في الفصل بينهما؛ فاللوى يطلق على الرمل المسمى حالياً «عُرَيْق الدَّسَم» كما يطلق على الوادي الذي يماشيه من الغرب. وهو الذي قالت لنا النصوص إن أعلاه لبني أبي بكر بن كلاب، وأسفله لبني الأضبط وأسفل من ذلك لفزارة.

وأسفل هذا الوادي الذي تقع بلاد بني فزارة فيه هو المقابل لبلاد الضِّباب التي توجد فيها «دارة جلجل» وسيتضح لنا هذا من خلال الرحلات الميدانية إن شاء الله.

* **الْبَرَدَانُ:**

هذا هو الموضع الثاني من المواضع التي فقدت مسماها القديم، وقيل إنه يَحُدُّ «دارة جلجل»؛ فلذا توجب علينا التعرف عليه.

والبردان: مواضع متفرقة عَدَّد منها ياقوت الحموي في كتابه «المشترك» تحت

«باب البردان عشرة مواضع» وقال عن العاشر منها:

«العاشر قال الأصمعي ومن جبال الذّهلول وماؤه البردان وهو ملح كثير النخل» اهـ.

ويبدو لي أن الصحة «ومن جبال الحمى الذهلول». كما أورده في المعجم حيث قال في رسم «البردان»:

(... والبردان أيضاً: ماء للضِّباب قرب دارة جُلْجُل؛ عن ابن دريد. والبردان أيضاً قال الأصمعي: من جبال الحمى الذُّهلول ثم البَردَانُ، وهو ماء ملح، كثير النخل.[1])

وقال صاحب كتاب بلاد العرب:

(ومن جبالهم الذُّهْلُولُ الأسود. قال الشاعر:

إِذَا جَبَلُ الذُّهلول لاَحَ كَأَنَّهُ مِنَ البُعْدِ زِنْجِيٌّ عَلَيْهِ جُوَالِقُ

وله مَعْدِنٌ يقال له معدن الشجرتين. وماؤه البَرَدانُ وهو ماء مِلْحٌ كثير النخل.[2])

وقال الزمخشري:

(الذهلول: جبل أسود، قال: (؟)

إذا جبل الذهلول زال كأنه من البعد زنجيٌّ جُوالِقُ[3].

وقال الزمخشري أيضاً:

(الشجرتين: معدن بالذهلول.[4])

---

(١) معجم البلدان: ص ٣٧٥/١.

(٢) بلاد العرب: ص ٩٦.

(٣) الأمكنة والمياه والجبال: ص٩٣.

(٤) الأمكنة والمياه والجبال: ص١٣٣.

الحَيْرَةُ بين حرفي "الذال" و "الزاي":

مع تغيير مسميات المواضع، وما يحصل لها من تصحيف؛ فقد شاب تحقيقها شيء من التداخل، ولذا لم يسلم لنا جبل «الذهلول» بالذال من التداخل مع «الزهلول» بالزاي..

ومع أنني تمكنت من التفريق بينهما عند قراءتي للنصوص؛ إلاَّ أن أصول التحقيق السليم تقتضي إيراد ماحصل من ملابسات.

وقد أبرز هذا اللبس الشيخ حمد الجاسر، وهو يتحدث عن المعادن في كتاب «الجوهرتين» حيث قال هناك:

(معدن الذُّهْلُول «الزهلول»:

قال نصر: الزهلول: جبل أسودُ للضِّبَاب، له معدنٌ يقال له معدن الشَّجَرَتَيْن، وماؤه البَرَدان، وماؤه ملح، كثير النخل.اهـ.

وكلام نَصْرٍ كأنه منقول من كتاب «بلاد العرب» إلاَّ أنه ورد في هذا الكتاب بالذال «الذهلول» وياقوت أورد الاسم بالحرفين، في رسمهما وفي قوله:

«الشجرتان:معدنُ الشجرتين هو معدن الذهلول» بالذال.

وفي كتاب «بلاد العرب» في الكلام على بلاد الضِّبَاب وبني جعفر والقبيلتان متجاورتان:

ومن جبالهم: الذهلول الأسود...

وقال الهَجَري في الكلام على حمى ضرية بعد ذكر الجبال الواقعة شمال الحمى التي تلي النَّائعَيْن...،منها عُفْرُ الزهاليل، به ماءة يقال لها الزُّهْلولة، والزهاليل جبال سود في أرض بني عديٍّ بن فَزَارة، حولها رمل كثير، وهي بلد كريم قال الشاعر لإبله وهو ببِيْشَةَ وقد نزعت إلى الْحِمَى:

كُلي الرِّمْثَ والخُضَّار من هُدْبَةِ الغَضَا ... ببيشَةَ حتَّى يَبْعَثَ الغَيْثَ آمِرُهْ

ولا تَأمَلي غَيْثاً تَهَلَّلَ صَوْبُهُ ... على شُعَبا أَوْ بالزَّهَالِيلِ مَاطِرُهْ

... النصوص المتقدمة يظهر فيها التخالف في اسم الجبل وفي سكانه الأقدمين، فقد ورد في كلام صاحب كتاب «بلاد العرب» وكلام نَصْرٍ «الذهلول» بالذال، وكذا في كلام ياقوت في موضع، وفي موضع آخر ورد بالزاي «الزهلول»، وورد عن الهَجريّ بصيغة الجمع «الزَّهَالِيل» بالزاي أيضاً. وهذا الاختلاف قد يكون ناشئاً عن تصحيف أحد الحرفين بالآخر.

أما الاختلاف الثاني فهو عن سكان الزُّهلول الأقدمين فإن صاحب كتاب «بلاد العرب» ومن تابعه عَدَّ الزُّهلولَ من بلاد الضِّبَابِ، وبلاد هؤلاء وسط حمى ضرية، والهَجَرِيُّ ذكر أنه من بلاد فَزارة الواقعة في شمال الحِمَى المتصلة ببلاد عَبْس. وهذا الاختلاف سببه - فيما يظهر - تَغَيُّرُ منازل القبائل، ولاسيما المتجاورة منها كالحال بين الضِّباب وبين بني فزارة.

هذا إذا لم يكن الاسم يطلق على موضعين فأكثر، ككثير من المواضع، ولا أراه هنا، بل أرى أن زهلول الضباب هو أحد الزهاليل التي ذكرها الهجري مادام واقعاً في الحمى.

وأرى الجبل والمواضع التي حوله واقعةً في شمال حِمى ضريَّة على مقربة من جبل أبان الأبيض جنوبه حيث النائعين «النايعُ والنُّوَيِّع الآن» وعمود العمود «عَمُودان» وهذه الجبال الثلاثة لا تزال معروفة. ولا أستبعد أنَّ الرِّمال الواقعة في تلك الناحية المعروفة بنفود كُتَيْفَةَ قد غَطَّتْ معالم تلك المواضع.

وكنت استنتجت في بحث نشر في مجلة «العرب» من كلام صاحب كتاب «بلاد العرب» أن معدن الزهلول يقع في جهة المحدثة في عالية نجد، يمين الدَّفِينَةِ للمتجه إلى الحجاز. ولكن اتضح لي من نص الهجري خطأ هذا التحديد، إن كان النصان ينطبقان على موضع واحد.[1] انتهى كلام الشيخ حمد الجاسر.

---

(١) كتاب الجوهرتين: ص ٣٥٩ - ٣٦١.

التعليق:

ألم أقل لكم إن الشيخ إذا أشكل عليه تحقيق موضع من المواضع أورد جميع الأقوال التي وردت بشأنه، وإن كانت لا تؤيد الرأي الذي يميل إليه؛ لكي يفتح الباب على مصراعيه أمام الباحثين. ولذا أرى حول ما أورده شيخنا - مد:

١- حول ورود اسم هذا الجبل مرة باسم «الذهلول» ومرة باسم «الزهلول»، قال الشيخ:«قد يكون ناشئاً عن تصحيف أحد الحرفين بالآخر.»

وأنا مع الشيخ في هذا الحدس.

٢- قال الشيخ عن الاختلاف الوارد عن سكان الزهلول؛ حيث عده صاحب كتاب «بلاد العرب» ومن تابعه من بلاد الضباب، والهجري ذكره من بلاد فزارة قال: وهذا الاختلاف سببه فيما يظهر - تغير منازل القبائل ولا سيما المتجاورة منها كالحال بين الضباب وبين بني فزارة.

إلا أن الشيخ حمد استثنى في حالة ما إذا كان الاسم يطلق على موضعين فأكثر وصرح بأنه لا يرى هذا؛ بل يرى أن زهلول الضباب هو أحد الزهاليل التي ذكرها الهجري.

أقول حول ما استنتجه الشيخ من النصوص:

أنا معه في أن ورود اسم الذهلول مرة بالذال ومرة بالزاي سببه التصحيف.

أما عن الاختلاف الوارد حول سكان الزهلول، حيث ذكر مرة أنه من بلاد الضباب، ومرة أخرى من بلاد بني فزارة؛ فأرى أن الذي في بلاد الضباب اسمه «الذهلول» بالذال، والذي في بلاد بني فزارة «الزهاليل» بالزاي والجمع.

والذي دخله التصحيف هو «الذهلول» الواقع في بلاد الضباب.

ولذا فإنه لا تغيير في منازل هذه القبائل المتجاورة.

ولست مع الشيخ فيما يراه من أن زهلول الضباب هو أحد الزهاليل التي ذكرها الهجري.

فزهاليل بني فزارة تقع شمالاً من جبل شُعَبَى، وذهلول الضباب واقع في جنوبي شعبى أو في جنوبها الغربي، وهذا ما سنتأكد منه أثناء جولاتنا الميدانية إن شاء الله.

أما مؤلف «معجم بلاد القصيم» فقد ذكر «الذهلول» و«الزهلول» في رسم «زهلولة» حيث قال:

(زِهْلُولَة»... مزارع صغيرة لجماعة من قبيلة مطير، تقع غير بعيد من «مسكة» إلى الشمال الشرقي منها...

وتسميتها قديمة. قال ياقوت: زُهْلُول، بضم أوله وسكون ثانيه، ولامين، وهو الأملس، وفرس زهلول: أملس الظهر، وزهلول اسم جبل أسود للضباب به معدن يقال له: معدن الشجرتين، وماؤه البردان، ماء ملح، كثير النخل، عن نصر.

وقال لغدة: ومن جبالهم أي: الضباب الذهلول الأسود...

وقد ذكرها أبو علي الهجري بأوضح من هذا وأصرح قال، وهو يتكلم على الحمى حمى ضرية: ثم الجبال التي تليه في أرض فزارة منها عفر الزهاليل به ماءة يقال الزهلولة، والزهاليل: جبال سود...

وكون الهجري وياقوت في موضع ذكراها بالزاي، وليس بالذال إلى جانب كونها تنطق الآن بالزاي يدل على أن الصحيح نطقها بالزاي لا بالذال كما أوردها بعضهم..[1] انتهى ماقاله مؤلف معجم بلاد القصيم باختصار.

تعليقي على ماأورده الأستاذ محمد العبودي:

لقد بحثت عن تلك المزارع الصغيرة التي قال إنها لجماعة من قبيلة مطير، وأنها تقع غير بعيد من بلدة «مسكة» إلى الشمال الشرقي منها، وأن تسميتها قديمة، وسألت عن هذه الزهلولة في «الصُّمْعُورِيَّة» وفي «بقيعا اللهيب» وفي «بدايع الضبطان» وفي «ضرية» وممن سألتهم كبار في السن من قبيلة مطير، وجميعهم لم يعرفوها.

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص/١١١٥.

وكنت حريصاً على الوقوف على هذه المزارع المسماة بـ«الزهلولة» لمساءلة أهلها عن سبب تسميتهم لها، لأني أتوقع ماء الزهلولة التي ذكرت في جبال «الزهاليل» ليست في هذا المكان الذي حدده صاحب «معجم بلاد القصيم».

فهل تكون هذه المزارع التي أشار إليها هجرت فنسي مسماها؟

لست أدري!!

أما استشهاده بقول ياقوت في رسم «الزهلول» فلست مع هذا الرأي لظني أن كلمة «الزهلول» مصحفة عن «الذهلول» بالذال؛ فلذا كرر ياقوت هذا النص في رسم «الذهلول».

وهذا يوافق ما أورده صاحب كتاب «بلاد العرب» وكذلك الزمخشري وغيرهما.

أما «الزهلولة» التي ذكر الهجري أنها في «عَفْر الزهاليل» فلا شك فيها وليس المجال مجال تحقيق الزهاليل وعفرها وماءة الزهلولة، وإنما نحن بصدد تحقيق «الذهلول» وماءه «البردان» ومعدنه المسمى «معدن الشجرتين».

لهذا فإن لدينا جبالاً اسمها «الزهاليل» في بلاد بني فزارة، ولدينا جبل اسمه «الذهلول» في بلاد الضباب، وعلى هذا المفهوم سيكون بحثنا عن «الذهلول» في الرحلة الميدانية وبالله التوفيق.

الرحلات الميدانية:

القصد من هذه الرحلات الميدانية هو تحقيق ثلاثة مواضع هي:

«وادي المياه»، وماء «البَرَدان» و «معدن الشجرتين».

وفيما سبق تعرفنا على موضعين من المواضع التي تحدد لنا مكان «دارة جُلجل» هذان الموضعان هما: شُعبى وحَسَلات.

وادي المياه:

أعترف بأني وقعت في حيرة من أمر وادي المياه هذا، وسبب هذه الحيرة أن المتعارف عليه الآن أنه الوادي الذي يسيل من جهة الجنوب إلى الشمال بمحاذاة نفود «عُرَيق الدَّسَم» من جهته الغربية.

وقد تبين لي من استقراء النصوص القديمة أن هذا الوادي لا يسمى قديماً بوادي المياه، وإنما يسمى «وادي اللِّوى».

وهذا الاسم يطلق على الوادي وعلى الرمل، وقد صدق ياقوت الحموي - رحمه الله - عندما قال في رسم «اللوى»:

«وهو أيضاً موضع بعينه قد أكثر الشعراء من ذكره وخَلَّطت بين ذلك اللوى والرمل فَعَزَّ الفصل بينهما». انتهى.

والمتمعن في النصوص التي مَرَّ ذكرها لا يصعب عليه التفريق بين اللوى المعني به الرمل، وبين اللوى المعني به الوادي؛ فقد أوضحت النصوص أن أعلا هذا الوادي لبني أبي بكر بن كلاب، وأوسطه لبني الأضبط، وأسفل من ذلك لبني فزارة.

وبما أن هذه النصوص لم تذكر أن لبني محارب حقوقاً في هذا الوادي، وإنما ذكرت أن لهم آباراً في «وادي المياه» الواقع في بلاد «الضِّباب».

وقد حَدَّد لنا الهَجَريُّ - رحمه الله - في النص المتقدم ذكره موقع هذه الآبار بقوله:

«ولبني محارب من المياه في الحمى ماء يقال له «غُبَيْر» في وادي المياه بين شُعَبَى وبين رملة بني الأدرم، وماء يقال له «غُبَار» وأحساء كثيرة ويعضد قول الهجري ما قاله صاحب كتاب «بلاد العرب» وهو يعدد مياه بني محارب التي تقع في بلاد الضِّباب، ومنها ماء «غبير» وبين لنا أن هذه المياه تقع في شعب من شعبى.

لذا فإن بحثنا عن«وادي المياه» سيكون شرقاً من نفود «عُريَق الدَّسم» المسمى قديماً «رميلة اللوى» وليس غرباً من هذا النفود كما بدا للبعض. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو:

هل هذا الوادي المسمى بـ «وادي المياه» ينحدر من شمالي جبل «شُعَبَى» أم من الجهة الجنوبية؟

لقد احترت كثيراً في تحديد إجابة صحيحة لهذا السؤال؛ ولذا قررت التوجه أولاً إلى الجهة الشمالية عبر وادي «نجْخ» الذي يسيل من شمالي شعبى وشرقها ويتجه شمالاً.

والسبب في اختيار هذا الاتجاه هو الربط بين وادي المياه وجبل «الزهلول» ومعنى هذا أن نحقق الزهلول، ووادي المياه، وماء البردان. وبذلك نصيد أكثر من عصفورين في حجر واحد!!

وقد شدني إلى هذا الاتجاه ذكر الهَجَريّ لِعفْر الزَّهَالِيل وماء الزّهْلُولَة، وماذكره صاحب «معجم بلاد القصيم» من أنه يوجد مزارع شمال شرق قرية «مسكة» تسمى «زهلولة».

وقد قمت برحلة ميدانية بتاريخ ١٤١٧/٣/١٥هـ صحبني فيها كل من الأستاذ سعد بن عبد العزيز اليحيان، والأستاذ سعد بن علي الشعيلان، والابن الأستاذ محمد بن عبد الله الشايع.

وكان لنا جولة في تلك الناحية حيث زرنا القرى الواقعة شمال «ضَرِيَّة» مثل «بقيعاء الجنوبية»، و«بدائع الضبطان» و «بدائع ريمان» وكل من سألناه من أهل هذه القرى التي مررنا عليها لم نجد لديه معرفة بما نسأل عنه من تلك المسميات القديمة.

وقد ذُكِرَ لنا رجل مسن يسكن في قرية «الصمعورية» اسمه «عوض بن سعيد الذكري» لديه معرفة بأسماء المواضع قديمها وحديثها ولديه إلمام بتاريخ المنطقة.

وحيث كان وصولنا للصمعورية بعد حلول الظلام فقد قررنا المبيت بالقرب من البلدة لعلنا نقابل الرجل في الصباح.

وفي الصباح طرقنا عليه بابه ففتح لنا ورحب بنا، ورغم كبر سنه فقد استوعب جميع الأسئلة التي وجهتها إليه، وقال: إن جميع الأماكن التي تسألون عنها غير معروفة في الوقت الحاضر، وربما أنها استبدلت بأسماء جديدة أو أنها في غير هذه الناحية.

وعن مزارع «زهلولة» التي قيل عنها: إنها تقع شمال شرق بلدة «مسكة» قال: إنه لا يعرف عنها شيئاً.

وقد ودعناه شاكرين له مقابلته الطيبة، وما استفدناه منه من معلومات أخرى لم نكن نعلم عنها شيئاً.

وفي ضحوة هذا اليوم كان لنا جولة حول الجبل المسمى «شَوْفَان» الواقع شمالاً من «شعبى» ورغم التطواف حول هذا الجبل فلم نعثر على مايشجع على استمرار البحث في هذه الجهة.

والكلام عن الزهاليل وعفرها يطول ومحله في غير هذا البحث.

ونظراً لحرارة الجو فقد قررنا القيلولة في هضاب «حَسَلَات»، وهذه الهضاب هي أحد المواضع التي تحدد لنا مكان «دارة جُلْجُلٍ» التي مازال بحثنا عنها متواصلاً.

حسلات:

هي تلك الهضاب الحمر ذات المنظر البديع الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من جبال «شُعبى» تحفها رمال النفود من الغرب.

وحسلات وما حولها من الأماكن التي يحس فيها المرء بالراحة والمتعة خاصة في فصل الربيع، عندما تزدان الأرض بأنواع النباتات والأزاهير.

فالمشاهد لهذه الهضاب الجميلة وسط هذه الخميلة لا يسعه إلاَّ أن يُمَجِّد الخالق المبدع.

«انظر إلى هذين المشهدين من هذه الهضاب رقم (٢٨) ورقم (٢٩)، وحَسَلات مسماها قديم مازالت محتفظة به، وهي واقعة في بلاد «الضباب قديماً». ويبدو لي أن مسماها هذا جاء من اسم بعض أفراد هذه القبيلة؛ فقد ورد أن أولاد «معاوية بن كلاب» - الضِّباب -» هم:

عَمْرو، وخالد. وأن عَمْراً أنجب من الولد:

زُهَيْراً، وحُصَيناً، وحَمَلاً، ومالكاً، ورِبيعَةَ، وعَامِراً، وضَباً، ومُضَبّاً، وَضَبَاباً، وحَسْلاً، وحُسَيْلاً. الخ.

وبهذه الأسماء سُمُّوا بالضِّبَاب.

ويوجد في هذه الهضاب ماء قديم يسمى «حُسَيلة»

والحِسْلُ: هو ولد الضَّب حين يخرج من البيضة. ويسميه البعض الآن «سُحَيْلِياً» تصغير«سِحْل» قدموا السين على الحاء.

ولَعَلي أثناء هذه الاستراحة في هذا «الغار» المطل على هذا المنظر البديع أستعرض ما قيل عن «حَسَلات»:

أولاً: قال ياقوت الحموي: (حَسَلات: بالتحريك أيضاً، وآخره تاء فوقها نقطتان: وهي جبال بيض إلى جنب رمل الغضَا، كأنه جمع حسلة مثل ضَرْبَة وضربات وهو الشوق الشديد، وقال ابن دريد في كتاب البنين والبنات: الحسلات هضبات في ديار الضباب) وفي رسم حَسْلَة قال ياقوت:

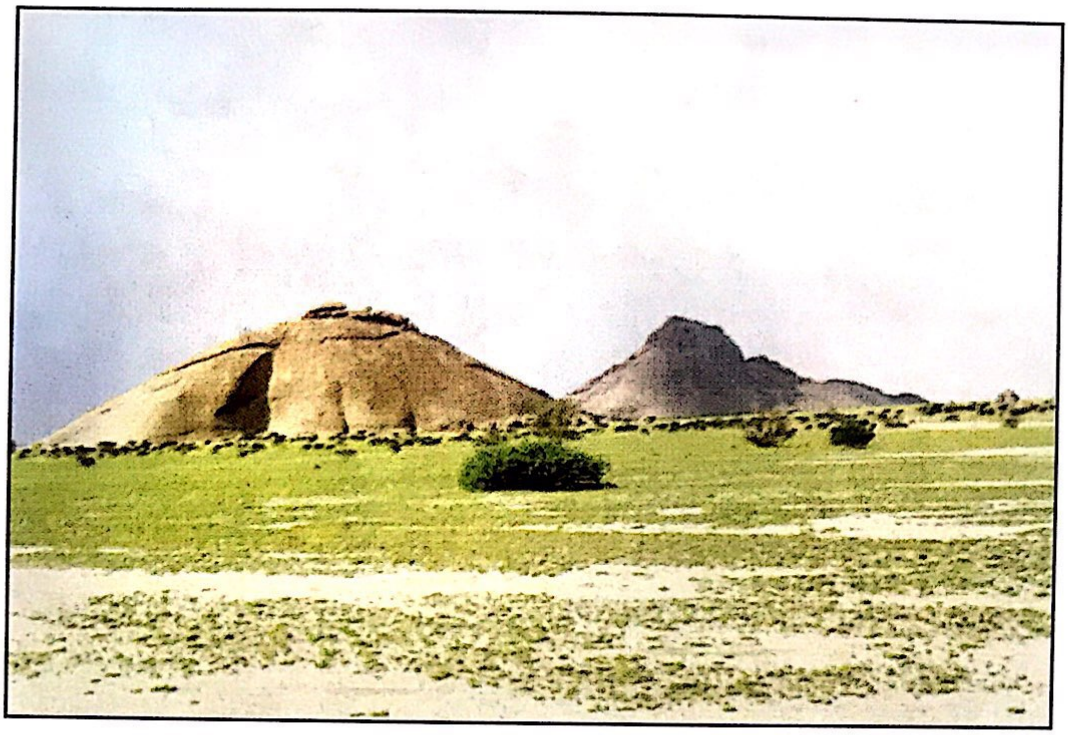

(٢٨) منظر من هضاب «حَسَلات» الجميلة

(٢٩) منظر آخر من هضاب «حسلات» الواقعة شمال غر ب جبال «شعبى».

(حَسْلَةُ: بسكون السين وهو الذي قبله يقال له حَسْلَة وحَسَلات؛

قال:

أَكُلَّ الدهر قلبُك مستعارُ ... تهيج لك المعارف والديارُ

على أني أرقت وهاج شوقي ... بِحَسْلَةَ موقدٌ ليلاً ونارُ

فلما أن تضجَّع موقدوها ... وريح المندلي لهم شِعارُ)[1]

التعليق علي هذا النص:

قول ياقوت بأن حسلات جبال بيض، وصف غير دقيق لأنها حُمْر. أما تحديده لها بأنها إلى جانب رمل الغَضَا؛ فقوله هذا يدلنا على أن هذا الجانب من رميلة اللوى» كان يسمى قديماً بـ «رمل الغضا» نظراً لوجود شجر الغضا فيه.

وكما أسموا هذا الجانب بهذا المسمى فقد أسموا جانباً آخر بـ«رملة بني الأَدْرَم» وهذه الرملة الأخيرة نحرص على التعرف عليها نظراً لعلاقتها ببحثنا، وسنتمكن من التعرف عليها إن شاء الله.

أما قول ياقوت في رسم «حَسْلة»: «وهو الذي قبله يقال له حَسْلَة وحَسَلات» فيبدو لي أن حَسْلَة غير حسلات وأن الأبيات التي استشهد بها تعني مكاناً آخر اسمه «حسلة» سنتعرف عليه بعد إيراد الأقوال الأخرى.

ثانياً: قال أبو عبيد البكري:

(الحَسَلاتُ: بفتح أوله وثانيه، على بناء فعلات: هضاب محددة مذكورة في رسم ضرية. وهناك ماء يسمى حَسْلَة [هكذا وقع في كتاب السكوني].)

وفي رسم «ضَرِيَّة» قال وهو يعدد المياه الداخلة في حمى ضرية من مياه الضباب:

(ولهم ستة أمواه، ماء يقال له حَسِيلَة، وهو من حَسَلات، وحسلات هضاب مُلْسٌ في ظهر «شُعَبَى» ولهم أيضاً «البَرَدَان» وهو سيد مياههم...)[2] انتهى.

---

(١) معجم البلدان: ص ٢٥٨/٢.

(٢) معجم مااستعجم : ص ٤٤٦.

أقول: قول البكري هذا مطابق لما أورده الهجري فانظر صحفة ٢٦٤ من كتاب «أبي على الهجري وأبحاثه».

وهذا يدل على أن ماء «حُسَيْلة» منسوب إلى حَسَلات لأنه واقع بين الهضاب، وقد يطلق البعض على هذا الماء اسم «حَسْلة» ولكنها غير حسلة ذات البرقة التي ورد ذكرها في الشعر.

ثالثاً: وصف لنا مؤلف «معجم بلاد القصيم» مكان حَسَلات وصفاً دقيقاً وأورد بعض أقوال المتقدمين.

ولي وقفة حول ماجاء في كلامه عن «حَسَلاتٍ» فأقول:

١- بعد أن حدد موقعها قال:

«وهي قديمة التسمية واسمها القديم كان بصيغة الإفراد «حَسْلَة» وبصيغة الجمع «حسلات» انتهى.

أقول: لست مع من قال: إن حسلات هذه تسمى «حَسْلة»؛ لأن حسلة بصيغة الإفراد موضع آخر غير حسلات.

٢- عندما استشهد بأبيات القَتَّال الكلابي التي منها هذا البيت:

عفا من آل خَرْقَاء الستار فبرقة حَسْلَة منها قِفارُ

قال:

«وحسلات فيها أكثر من برقة ذلك بأنها واقعة بالقرب من رمال عريق الدسم كما سبق.» انتهى.

أقول:

لم يذكر المتقدمون أن بالقرب من حسلات بُرْقَة؛ أما كونها واقعة بالقرب من رمال «عريق الدسم» فهذا تعليل لا يعتد به. وليس كل موضع فيه رمل يسمى برقة، والعرب يفرقون بين البرقة، والأبرق، والبرقاء - مؤنث الأبرق-

وبرقة حسلة من برق العرب المشهورة؛ فلذا ذكرها ياقوت الحموي عندما عَدَّد

البُرَق في معجمه حيث قال:

(بُرْقَةُ حَسْلَة: موضع في قول القتال الكلابي:

عـفـا من آل خَـرْقـاء السِّـتـار فَـبُـرْقَـةُ حَـسْلة منهـا قـفَـارُ

لَعَـمْـركَ إنني لأحِبُّ أرضـاً بهـا خـرقـاء لو كـانت تُزَارُ

٣- قوله وهو يعلق على قول ابن دريد في وصفه لموقع «دارة جُلْجُل»:

«أقول:- القول له : نخيل بني فزارة المشار إليها تقع إلى الشرق الشمالي من مسكة قرب نفود كتيفة وماحوله» انتهى.

هذا القول للأستاذ محمد العبودي أحد قولين له حملاني على القيام بهذه الرحلة لزيارة كتيفة وما جاورها، أما القول الثاني فهو ماذكره من وجود مزارع تسمى «الزهلولة» شمال شرق «مسكة».

وهذه الزهلولة لم نعثر عليها في رحلتنا هذه.

أما نخيل بني فزارة فيبدو لي أنها تقع غرباً من «عريق الدسم» لا شرقاً منه كما قال.

رابعاً: قال مؤلف «معجم عالية نجد»:

(حَسَلاتٌ... هضاب حمر، تقع غرباً من هضاب شعب العَسيبيات، شمالاً من هضبة الغرابة، في غربي أعلا الجرير، غرباً من بلدة عفيف، وفي الهضبة الغربية منها رس عذب، وإياها يعني الشاعر الشعبي بقوله:

سَـوَّيْتْ ليْ فنجـالْ عـذب شـرابه بدْلالْ شـامـيَّـات بيض ربيـبَـهْ

من هضبـة حَـمْـرَا وطاها سَـحَـابَهْ شـمـال حـبـر من الغـرابه قـريبَـهْ

كان الشاعر من قبيلة شمر،نزل عند هضبة حسلة وقد أصابها مطر وارتوى من رس الماء العذب الذي فيها وعمل من مائه قهوة، وحينما شرب منها قال هذه الأبيات... ولم أر لحسلات هذه ذكراً فيما اطلعت عليه من كتب المعاجم القديمة... إلى أن قال: ويبدو لي أن حسلة الواقعة في أعلا الجرير هي الجبل

المعروف قديما باسم واهب، لأن واهباً ورد في الشعر العربي مقروناً بذكر حبر والمضيَّح وهضب القليب القريبة من حسلة.[1]) انتهى كلامه.

التعليق:

بدا لمؤلف «معجم عالية نجد» أن «حَسْلَةَ» الواقعة في أعلى «الجرير» هي الجبل المعروف قديماً باسم « وَاهِب».

وحيال ذلك أقول:

إن حَسْلَة هذه ليست وَاهباً؛ لأن وَاهِباً معروف الآن باسمه القديم وهو موضع يطلق عليه «قاع واهب»؛ يقع جهة الجنوب من هضبة «حَسْلَة» التي نتكلم عنها على بعد ثلاثين كيلاً، وعلى بعد خمسة عشر كيلا جنوب جبل «حِبِرّ» كما يقع على بعد نحو عشرين كيلا غرباً من هضاب «الذَّنَائب» المشهورة.

وقد سمى الشيخ محمد بن بليهد هذا القاع باسم «خَفق وَاهِب»

حيث قال:

(وقال بشر بن أبي خازم:

أي المنازل بعد الحي تعترف ... أم هل صباك وقد حكمت مطرف

كأنها بعد عهد العاهدين بها ... بين الذنوب وحزمي واهب صحف

أما حزمي واهب فهما معروفان بهذا الاسم إلى هذا العهد، بين الذنوب وبين الخرب واللساسة، وعندها ملزم ماء يسمى «خفق واهب» وما حوله من السنفان مضاف إليه، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.[1] انتهى كلامه.

وفي رسم « وَاهِب» قال مؤلف «معجم عالية نجد»:

(... موضع له شهرة في الشعر العربي، ورد مقروناً بذكر حِبّر وذكر المُضَيَّح، وهما جبلان معروفان، أما واهب فإنه غيرمعروف باسمه في هذا العهد، ويحتمل أنه يقع قريباً من حبر.

---

(١) معجم علاية نجد: ص ١/ ٣٧٢.

قال البكري: واهب جبل لبني سليم قاله أبو حاتم عن الأصمعي وكذلك حِبرّ، وأنشد لابن مقبل:

سَلِ الدَّار من جَنْبَي حـبـر فـواهب إلى مـا رأى هضب القليـبب المضـيَّح

وقال ياقوت: واهب: اسم جبل لبني سُلَيْم، وأورد شعر ابن مقبل وشعر بشر ابن أبي خازم المتقدمين.

قلت – القول له – يبدو لي أن هذا الموضع قريب من حِبّر ومن هضب القليب الواقعان في أعالي الجرير غرب بلدة عفيف.

ويحتمل أنه هو الهضبة المعروفة في هذا العهد باسم «حَسْلَة» الواقعة قريباً من حبر ومن المضيَّح ومن هضب القليب، ويؤيد ذلك أن واهباً ورد في الشعر وفي عبارة البكري مقروناً بهذه الأعلام.). انتهى كلامه.

التعليق:

لقد فات على أستاذنا «سعد بن جنيدل» – سلمه الله – أن واهباً لايزال يحمل مسماه القديم حتى الآن، وهو مثبت على بعض الخرائط.

وواهب قريب بالفعل من جَبَل «حِبرّ» ولكني لست معه في أن حِبرًا قريب من «هضب القليب» حيث تبين لي أن هضب القليب ليس هو هضبة «طُخْفَة» الواقعة غرب مجرى وادي «الجرير» كما حققه في كتابه «معجم عالية نجد». فارجع إلى تحقيقي لهضب القليب في كتابي «الأول» من سلسلة «نظرات في معاجم البلدان» من صحفة (١٤) إلى صفحة (١٠٠) لتعرف المكان الذي جرت فيه حرب داحس والغبراء أما ما ورد في النصوص من أن واهباً اسم جبل لبني سليم؛ فقد يكون من أورد هذا القول قصد حزوم واهب التي ذكرها الشيخ محمد بن بليهد. والمتعارف عليه أن بلاد بني سُليم واقعة إلى الغرب من هذه الأماكن التي نتحدث عنها، فقد ذكر أن «الدَّفينة» وما جاورها قد سكنها بنو سُلَيم في صدر الإسلام؛ حيث ورد في كتاب «المناسك» للحربي قوله:

(ثم الدثينة - بالثاء والفاء - أخبرني ابن أبي سعد عن النوفلي قال: الدثينة لبني سليم، كان وفدهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستقطعوه إيَّاها، فأقطعهم، ولهم فيها بئر فسألوه أن يزودهم شيئاً يتبركون به فأعطاهم جباية قد تفل عليها فجاءوا بها فألقوها في بئرهم، فهي من أعذب مياه الناس وأعظمها بركة.[1]).

ومما تقدم يمكنني القول بأن «حَسْلَة» ليست ما يسمى بـ «وَاهِبٍ» وأن «حسلة» هذه الواقعة غرب أعالي وادي «الجريب» هي التي وردت في شعر القتال الكلابي حيث قال:

عفا من آل خَرْقَاء السِّتَارُ ... فَبُرقَةُ حَسْلَةٍ منها قِفَارُ
فَأَوْحَشَ بعدنا منها حِبرٌّ ... ولم توقد لها بالذِّئب نَارُ
لَعَمْرُكَ إنَّني لأُحِبُّ أَرْضَاً ... بها خَرْقَاءُ لو كانتَ تُزَارُ
كأن لِثَاتِهَا عَلَقَتْ عليها ... فُروعَ السِّدْر عَاطِيَةً نَوارُ
أطاع لها بِمَدْفِعِ ذي سُدَيْرٍ ... فُروعُ الضَّالِ والسَّلَمُ القِصَارُ

فالسِّتار الذي ذكره القتال يقع شرق مجرى وادي «الجَرِيب - الجرير حالياً- غير بعيد منه.

وحسلة تقع غرباً من مجرى هذا الوادي.

أمَّا «الذِّئبُ» فهو جبل يقع شمالاً من «حَسْلَة»، كما يقع جبل «حِبِرّ» جنوباً منها، وجميع هذه الأعلام يشاهد بعضها بعضاً.

ويبدو لي أن الشهرة كانت للهضبة الغربية لوجود الماء فيها وقد تُجْمَع مع ما حولها فيقال حسلات، و ياقوت قال في رسم «حسلة»:

«ويقال له حسلة وحسلات».

---

(١) كتاب المناسك: ص ٦٠٠.

أما برقة حسلة فهي واقعة إلى جهة الجنوب من الهضاب على بعد ثلاثة أكيال فقط وقد وقفت عليها مع الأخ سعد الماضي فانظر إلى صورة حسلة وبرقتها المنظرين رقم (٣٠) ورقم (٣١) وتقع البرقة على خط العرض ٢٩° ٤٧َ ٢٣ْ وخط الطول ٥٠° ٥٠َ ٤٢ْ.

لعلي أطلت هذه الاستراحة في «حَسَلَاتٍ» الأمر الذي قد يفوت على القارىء متابعة ما نحن بصدده وهو البحث عن «دارة جلجل» وتحقيق المواضع التي تحدها مثل: «وادي المياه» وماء «البَرَدان» و«الذُّهْلُول» و «معدن الشَّجَرَتَيْن».

ولعل القارىء يعذرني إذا قلت له: إنني أخذت على نفسي أن أحقق أثناء الرحلات الميدانية ما يصادفني عَرَضاً من المواضع التي أرى أن تحقيقها كان غير صائب أو لم تحقق أصلاً.

ومن حَسَلاتٍ حَسَلْنَا مطيتنا عائدين من هذه الرحلة.

الرحلة الميدانية الثانية:

من نتائج الرحلة الأولى تبين لي أن «وادي المياه» وكذلك ماء «الْبَرَدَان» وهما موضعان من المواضع التي قيل إن «دارة جلجل» تقع بينها، لا يقعان شمال أو شمال شرق جبال «شُعَبى»؛ الأمر الذي حدا بي إلى البحث عنهما جنوب هذه الجبال.

وعلى ضوء ذلك وما استخلصته من النصوص القديمة التي أوردناها عند الكلام عن هذه المواضع اتضح لي مايلي عن وادي المياه:

١- وادي المياه واقع في بلاد «الضِّباب» ويشاركهم فيه بنو محارب بمياه لهم في هذا الوادي منها «غُبَيْرٍ» و«غُبَار» وأحساء لهم كثيرة.

كما تبين أن هذا الوادي ينحدر من جبال «شعبى».

٢- حدد لنا الهجري -رحمه الله - أن ماء غبير وماء غُبَار واقعان في وادي المياه بين «شعبى» وبين «رملة بني الأدرم».

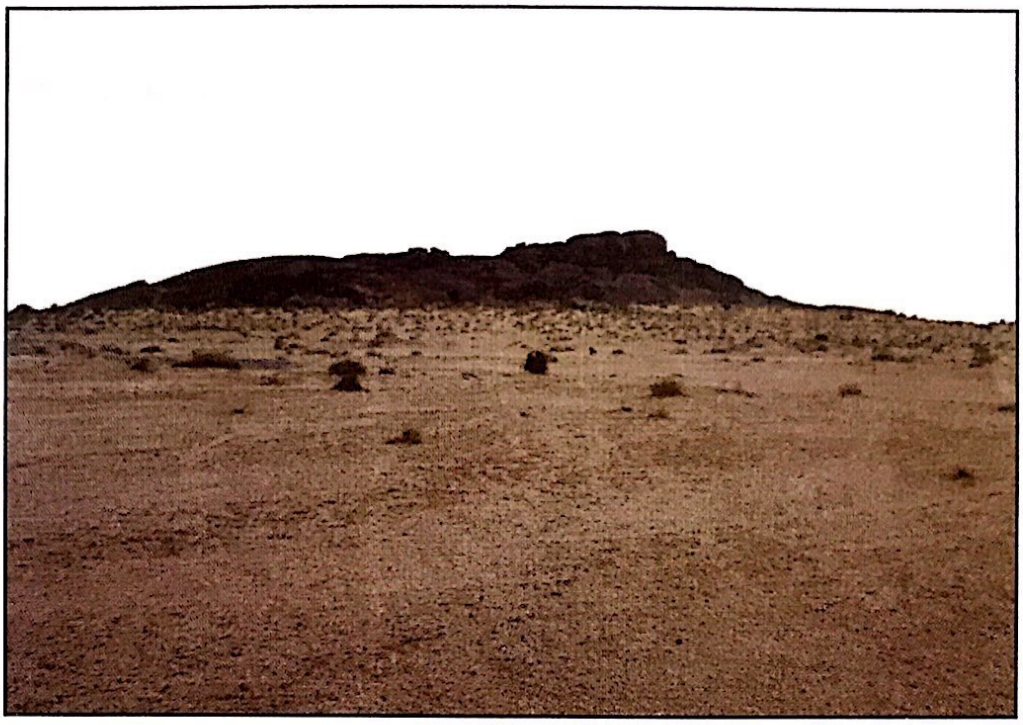

(٣٠) منظر هضبة «حسلة» الواقعة غرب وادي «الجريب»

(٣١) منظر برقة حسلة الواقعة عن حسلة جنوباً على بعد نحو ثلاثة اكيال.

كما ذكر أن لبني الأدرم ماء قديما يقع على الطريق من «ضرية» إلى «المدينة» على بعد ثمانية عشر ميلاً من ضرية.

ولاشك أننا إذا تعرفنا على هذا الماء تعرفنا على الرملة المنسوبة لبني الأدرم الذي يقع وادي المياه» بينها وبين شعبى.

٤- ذكر الهجري أن القاضي سعيد بن سليمان المساحقي حفر عيناً فأساحها بدارة تسمى «دارة الأسود» بجوار جفر بني الأدرم.

كما احتفر جُرْش بن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من جفر بني الأدرم. وهذه الأقوال والدلائل حددت لنا المسار الذي سنسلكه في هذه الرحلة وفي يوم الخميس ١٥/٤/١٤١٧هـ قمت برحلة صحبني فيها الأستاذ/ صالح بن عثمان المقري.

ومن ضرية سرنا باتجاه المدينة المنورة، وبما أني حرصت على مشاهدة أعلام هذا الطريق المتجة من ضرية إلى المدينة إن كان له أعلام كبقية الطرق التي تتبعتها؛ فلم نكد نسير كيلين ونصف الكيل حتى عثرنا على أول علم من أعلام هذه الطريق، وهو واقع على خط العرض ٤٦ً ٤٢َ ٢٤ْ وخط الطول ٣٨ً ٥٤َ ٤٢ْ. وبالقرب منه علم آخر.

كما شاهدنا أحد الأعلام غربي «المطيوي».

ثم بدت لنا جبال «شُعبى» شامخة، فقدرت أن الطريق سيجنح قليلاً ذات اليسار لتجنب هذه الجبال المنيعة.

وفي الطرف الجنوبي الشرقي منها سلكنا ريعاً فوجدنا أحد الأعلام في مدخله هذا العلم واقع على خط العرض ٤٣ً ٣٩َ ٢٤ْ وخط الطول ٢١ً ٤٧َ ٤٢ْ.

وفي وسط الريع عثرنا على علم آخر.

عند ذلك عرفت أننا نسير مع الطريق القديم المتجه للمدينة. وقد خمنت أننا عند تجاوز الجهة الجنوبية من امتداد جبال شعبى وقبل الوصول إلى رمال نفود

«عريق الدسم» سيعترضنا وادٍ فيه مياه بني محارب التي ذكرت في وادي المياه.

وهذا ما وضعته على الخريطة التقريبية التي أعددتها مسبقاً لسير الرحلة. ولم نكد نتجاوز الطرف الجنوبي الشرقي من الجبال حتى انداحت عن متسع من الأرض يحده من الغرب والجنوب رمال النفود، ومن الشمال والشرق جبال شعبى.

وفي الجانب الشرقي من هذا المتسع يجري واد رغيب واسع المجرى يوجد فيه بعض المزارع الصغيرة وقليل من المساكن.

وعند مدخل إحدى المزارع وجدنا رجلاً مسنّاً فسألناه عن اسم هذا المكان، فقال: هذه تسمى «هُوَيْشِلَة» والوادي يسمى وادي هويشلة كما أفادنا أنه يوجد في المكان آبار قديمة بعضها مطمور حتى الآن.

وتقع هو يشلة على خط العرض ٤٦ً ٣٧َ ٢٤ وخط الطول ٢٢ً ٤٥َ ٤٢ْ.

اتضح لي أن وادي هويشلة تنحدر فروعه من جبل «شعبى» ثم تتجمع في مجرى واسع عندما يمر بمزارع «هويشلة» ثم يستمر في جريانه حتى تصده رمال نفود «عريق الدسم» - رميلة اللوى قديماً-

وتتجمع مياهه هناك في موضع يسمونه «أَبُو شَفَلَّحْ».

ونظراً لانطباق النصوص ووصف القدماء أقول: إن هذا الوادي هو وادي المياه قديماً الذي توجد فيه مياه بني محارب «غبار» و «غبير» وأحساؤهم الأخرى.

قبل أن نغادر «هُوَيْشِلَة» سألنا الرجل عن «دارة شُعَبى» المشهورة فقال: يمكنكم الوصول إليها من طريقين:

الأول: عن طريق يسلك ريع «اكْعَضَبْ» وهو هذا الريع المتجه ناحية مغرب الشمس.

والطريق الثاني:- وهو الأسهل - أن تسيروا بمحاذاة الجبال لتكون على يمينكم ورمال النفود على يساركم، ثم تنعرجون يميناً لتدخلوا بين جبلين متميزين أحدهما وهو الشرقي يسمى «الشُّقَيْراء» والغربي يسمى «مُصَوْدَعة» فتجدون دارة «شعبى» أمامكم.

لقد سرنا بمحاذاة جنوبي جبال شعبى وعند أنفها الجنوبي الغربي عثرنا على أحد أعلام الطريق وهو واقع على خط العرض ١٤° ٣٦' ٢٤" وخط الطول ٣٦° ٤١' ٤٢".

كما شاهدنا على جبل مصودعة عدداً من الأعلام الإرشادية لمسار الطريق. وبما أن مسمى «مصودعة» يطلق على الجبل وعلى ماء قديم حولها؛ فقد سألت من قابلناه في «هويشلة» عن هذا الماء فأكد لنا وجوده، وقد حرصت على الوقوف عليه؛ إذ ربما يكون هو «جفر بني الأدرم».

وبعد تجولنا في دارة شعبى وما حول جبل مصودعة لم نعثر على أي آبار ما عدا آبار عليها نخيلات في غربي الدارة تبين أنها حديثة؛ لذا قررنا العودة لعلنا نصادف من يدلنا على البئر القديمة.

ولدى عودتنا من حيث أتينا وبين جبلي«الشُّقَيْراء» و «مصودعة» قابلنا صاحب سيارة فسألناه عن البئر القديمة الموجودة في هذا المكان، ولم يدلنا عليها إلا بعد معرفة الهدف الذي جئنا من أجله، فأشار إلى مكان قريب منا فقال: هذه الحجارة التي تشاهدونها بين الأشجار بالقرب من فوهة البئر، وهي مدفونة الآن.

وأفادنا أنها بئر جاهلية بعثها جَدُّه، وكانت مطوية بالحجارة، وقد وردوها سنة ثم اندفنت فأصبحت كما ترونها الآن.

هذه البئر واقعة على خط العرض ٣٠° ٤٠' ٢٤" وخط الطول ١٧° ٣٩' ٤٢".

ويقع بالقرب من هذه البئر أُبَيْرِقٌ يوجد في سفحه الغربي مقبرة يظهر عليها القدم.

لم أرشح هذه البئر القديمة لتكون هي «جفر بني الأدرم» لسببين:

الأول: أن جفر بني الأدرم يقع في «دارة الأسود» وليس في «دارة شعبى»

الثاني: أن هذه البئر تبعد عن «ضرية» حوالي تسعة وعشرين كيلاً فقط، بينما جفر بني الأدرم يبعد ثمانية عشر ميلاً، أي مايقارب ستة وثلاثين كيلاً، وهذا يعني أننا لم نصل بَعْدُ إلى «جفر بني الأدرم».

لذا واصلنا مسيرنا باتجاه ما يسمى الآن «جبل الجَفْر» الواقع في الجهة الشرقية من رمال «عريق الدسم» حيث تحيط به الرمال.

وكانت مفاجأة لنا عندما هبطنا في وسط دارة واسعة تحيط بها الرمال من أغلب جهاتها ما عدا الجهة الجنوبية الشرقية حيث يحدها هذا الجبل الأسود الكبير.

فما هي هذه الدارة؟!!

لقد تجولنا في أرجاء الدارة فوقفنا على الآبار والآثار الموجودة فيها، وقد كانت هذه الدارة مسكونة فرحل عنها سكانها حيث أسسوا لهم قرية تقع شمالاً منها خارج الدارة أسموها «جَفْرَة» ولا يزال يقطنها قلة منهم في خيام متفرقة هنا وهناك.

وفي شرقي الدارة شاهدنا رجلاً يستخرج الماء بدلوه، وبعد السلام عليه اتضح أنه يستخرج الماء من خزان استحدثه ليملأه بالماء العذب الذي يجلبه من مكان آخر.

لقد سألنا الرجل عن هذه الدارة وعن الجبل الأسود المطل عليها المسمى جبل الجفر، ومما أفادنا به أنه كان يوجد في هذه الدارة مجرى مائي قديم قادم من الجهة الشرقية ولكنهم لا يعرفون مصدره، وفي الوقت الحاضر طمرته الرمال، وقال: إن والده ذكر له رواية عن جده أنه شاهد جذوع النخل القديمة في الناحية الغربية من الدارة. أما النخيلات الموجودة في وسط الدارة فهي مستحدثة.

فيا ترى! هل هذه الدارة هي «دارة الأسود قديماً»؟

* دارة الأسـود:

أورد الهَجَرِيُّ - رحمه الله - ذكراً لدارة الأسود وهو يتكلم عن «حمى ضرية» حيث قال:

(وكـان لبني الأدرم - وهم من بني تيم بن لؤيٍّ - مـاءٌ قـديمٌ على طريق أهل ضرية إلى المدينة على ثمانية ميلاً[1] من ضرية يُسَمَّى الجفر ومعهم نفر من بني عامر بن لؤي فاحتفر سعيد بن سليمان المساحقي العامِريُّ عيناً فأساحها وغرس عليـها نخـلاً كثـيراً على مـيل أو نحـوه من جفـر بني الأدرم، بدارة الأسود جـبل عظيم أسود، وهي عامرة كثيرة النخل.)[2] انتهى كلامه. ولعل هذا الجبل الأسود هو الذي رسم له ياقوت الحموي في معجمه باسم «أسود الحمى» حيث قال:

(أَسْوَد الحِمَى: بكسر الحاء المهملة والقصر: جبل في قول أبي عميرة الجرمي:

ألا مـــالعين لا ترى أســـود الحـــمى ولا جـــبل الأوشـــال إلا اســـتـــهلت

غنيناً زمـاناً باللوى ثم أصـبـحت براق اللوى من أهلهـا قـد تخلت)[3]

إلى آخر الأبيات.

والهَجَرِيُّ ينسب هذا الشعر إلى مضاء بن مضرحي القشيري وأورد صدر البيت الأول هكذا:

ألا من لعين لا ترى قِلَلَ الحمى..

وأنت ترى أن القدماء اختلفوا في قائل هذه الأبيات من الشعر، كما اختلف الباحثون في وقتنا الحاضر في جبل الأوشال.

فالشيخ محمد بن بليهد يرى أنه جبل «ثهلان»، بينما يرى الشيخ محمد العبودي في كتابه «معجم بلاد القصيم» أنه «الشَّلاَّلات» وهي هضاب حمر تقع جنوب «ضرية» على بعد حوالي ستة أكيال.

---

(١) الصِّحة: ثمانية عشر ميلاً.

(٢) التعليقات والنوادر: ص ١٤١٠.

(٣) معجم البلدان: ص ١٩٢/١.

ويبدو لي أن أسود الحمى هو مايسمى الآن «أسود الجفر» نسب للجفر الذي حفره بنو الأدرم؛ بدليل أنه ورد في الأبيات المتقدمة ذكر «اللوى» وهو هذا الرمل الذي يقع فيه جبل الأسود.

أما عن جبل «الأوشال» ومن هو قائل هذا الشعر فلسا بصدد تحقيق ذلك.

ومما يدل على أن هذا الجبل هو المسمى «أسود الجفر» ما أورده الهجري بقوله:

(أسود الجفر: جبل عن أميال من ضرية إذا خرجت منها تريد النقرة والربذة بين طريقي العراق، وأنشد الكلابي لبعض بني كلاب:

لأنا يَوْم البَيْنِ أَصْبَرُ من أَحَا ... ومن هَضْبَتَيْ سَلْمَى ومن أَسْوَدِ الجَفْرِ

وَمِلْ هضبة الحمراء حَوْل ضَرِيَّةٍ ... هَلْ ابْلَيْتُ عُذراً في التَّجلد والصَّبْرِ)[1]

* **الأسودان:**

في المنطقة التي نتجول فيها جبلان أسودان هما:

أسود الجفر، وجبل أسود آخر اسمه «مُصَوْدعة».

ويبدو لي أنه التبس أمرهما على مؤلف «معجم بلاد القصيم» حيث ظن «مصودعة» هي «أسود الجفر» وإليك ماقاله عنهما:

قال في رسم «مصعودعة»:

(مُصَوْدعَةُ. على لفظ سابقه: جبل أسود واقع بجانب الجفر في غرب القصيم وكان يسمى قديماً أسود الجفر، وتقدم الكلام عليه في رسم «الجفر»...)[2].

وفي رسم «الجفر» قال:

(الجَفْرُ... مورد ماءٍ عذب بجانب جبل يسمى جبل الجفر. يقع إلى الجنوب الغربي من جبال شعبى فيما بينها وبين عريق «الدسم» في المنطقة الواقعة غرب

---

(١) التعليقات والنوادر: ص/١٣١٥.

(٢) معجم بلاد القصيم: ص ٢٢٧٧/٦.

ضرية في منطقة الحمى المشهورة في القديم.

وهو بجانب جبل تسميه البادية «مصودعة» أي: مصدعة بمعنى ذات صدوع. وقد يسمي بعضهم الجبل «مصودعة»...

وتسميته قديمة إذ كان الجبل الذي بجانبه يسمى في القديم «أسود الجفر».. وبعد أن أورد قول الهجري المتقدم، وقصة سعيد بن سليمان المساحقي، وقول ياقوت عن «الجفر» قال:-

أقول - القول لمؤلف معجم بلاد القصيم-:

موقع الجفر المذكور في هذين النصين ينطبق على موقع الجفر هذا فصح أنه هو لم يتغير من اسمه شيء.) انتهي قوله باختصار.

التعليق:

قال: إن جبل مصودعة كان يسمى قديماً «أسود الجفر» وفي رسم الجفر» قال عن ماء «مصودعة»: إنه بجانب جبل يسمى جبل الجفر. يقع إلى الجنوب الغربي من جبال شعبى فيما بينها وبين عريق الدسم... وهو بجانب جبل تسميه البادية «مصودعة».

أقول:

ظن مؤلف «معجم بلاد القصيم -سلمه الله- أن الماء المسمى «مصودعة» هو ماء «الجفر» والصحيح أن ماء «مصودعة» شيء والجفر شيء آخر.

فماء مصودعة -كما ذكر - يقع بين جبال «شُعَبى» وبين رمال «العريق» وهو بجانب جبل يسمى «مصودعة».

وهذا الجبل والماء الذي بجانبه يقعان شرقاً من الرمال، أما «الجفر» فهو واقع داخل الرمل في وسط «دارة الأسود» - أسود الجفر -.

وواقع الحال أن الرمال تحيط بجبل «أسود الجفر» ودارته التي يقع فيها ماء الجفر.

تذكير:

لعل القارىء لم ينس أن الغرض من هذه الرحلات الميدانية التي نقوم بها حول جبال «شعبى» وماجاورها هو البحث عن «دارة جلجل» التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته، وحددها لنا «ابن دريد» تحديداً واضحاً لاغموض فيه.

ومن تحديده هذا تعرفنا -حتى الآن- على «شعبى» و «حسلات» و «وادي المياه».

وأحب أن يشاركني القارىء في عدم التسرع والقول بأن هذه الدارة الكبيرة ماهي إلاَّ «دارة جُلْجُل» التي حدد مكانها ابن دريد؛ لأنه بقي علينا من الحدود التي ذكرها موضع واحد هو «ماء البَرَدان».

فمتى عثرنا عليه بالقرب من هذه الدارة وحققناه أمكننا حينذاك القول بأن هذه الدارة هي «دارة جلجل».

والذي يمكننا قوله هنا هو أن هذه الدارة هي التي كانت قديماً تسمى «دارة الأسود» وأصبحت فيما بعد تسمى «دارة الجفر» عندما حفر فيها بنو الأدرم جفرهم، وعاشوا في هذه الناحية ردحاً من الزمن، وأن الرمل الذي تقع فيه هذه الدارة - وهو جانب من «عريق الدسم» - كان يسمى قديماً «رملة بني الأدرم»، كما يسمى امتداد الرمل مما يلي هضاب حَسَلات «رمل الغضا» وهذه الرمال بجميع امتداداتها كانت تسمى قديماً «اللوى».

أثناء تجولنا في «دارة الأسود» أو بمسماها الآخر «دارة الجفر»؛ حرصت كثيراً على العثور على أي دليل يرشدنا إلى مكان حفيرة قاضي المدينة «سعيد بن سليمان المساحقي» حيث ذُكِرَ أنها تبعد عن جفر بني الأدرم بنحو ميل واحد، حيث أجرى منها الماء وازدرع وبنى له قصراً فكان يكثر الخروج إلى هذه

---

(١) معجم بلاد القصيم: ص٢/٧٣٥.

الضيعة حتى سمي الجفري.

الواقع أننا لم نَرَ أي أثر للمجرى المائي الذي تواتر خبر مشاهدته في هذه الدارة، كما لم نلحظ أي أثر يدل على وجود زراعة، وقد يكون السبب في اختفاء تلك الآثار هو تعاقب السنين.

والأثر الوحيد الموجود حالياً ماثلاً للعيان هو ركام من الحجارة يشاهد من بعد واقع في الجهة الغربية من الدارة.

ويبدو لي أن هذا الركام هو بقية أثر القصر الذي بناه «المساحقي» ولا أستبعد أنَّ كثيراً من حجارته نقلت لتأسيس المساكن الطينية القليلة الواقعة عنه شرقاً في وسط الدارة بالقرب من الآبار وهذه المساكن كانت تسمى «جَفْرَة» وكانت مسكونة قبل أن يهجرها أصحابها إلى قريتهم الجديدة الواقعة خارج الدارة من جهة الشمال.

انظر إلى صورة أنقاض قصر المساحقي المنظر رقم (٣٢) وإلى جانب من الدارة المنظر رقم (٣٣).

الرحلة الميدانية الثالثة:

الهدف من هذه الرحلة هو البحث عن الموضع «الرابع» الذي يحدد لنا «دارة جلجل» وهو ماء «البَرَدَان».

وقد صحبني في هذه الرحلة رفيق الرحلة السابقة الأستاذ صالح المقري ويظهر لي أن الأستاذ صالح استهواه البحث عن «دارة جلجل»؛ فأبدى رغبته بمصاحبتي عند القيام برحلة أخرى.

في هذه الرحلة كان لنا وقفة فوق الرمال الواقعة غربي «دارة الأسود» ومن هذا المرتفع كنا نشاهد الجبال الواقعة غربي نفود «عريق الدسم» وهي على التوالي من الشمال إلى الجنوب:

جبال «النَّجَجْ»، وجبال «الأشْمَاط»، وجبل «ضبع» - وهو أقربها للرمل

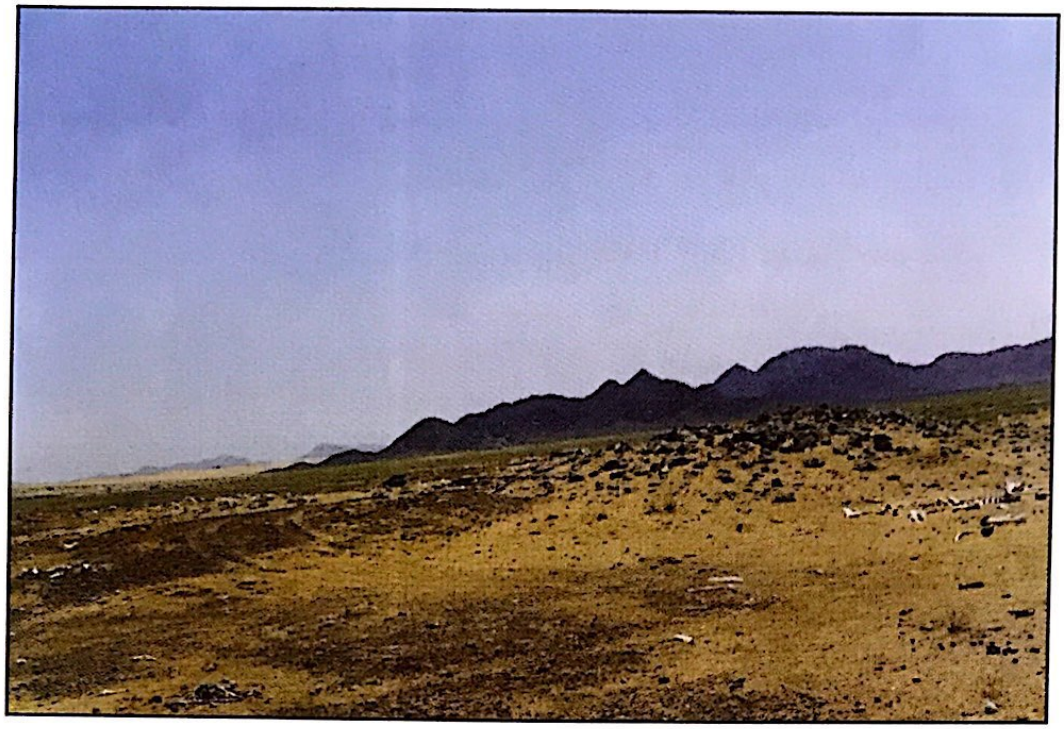

(٣٢) منظر آثار قصر القاضي «المساحقي» الواقع في الدارة، ويرى جانب من جبل «أسود الجفر».

(٣٣) منظر جانب من الدارة، وهي «دارة جلجل قديماً» ويبدو جبل «الذهلول»
يطل برأسه من وراء رمل النفود

وللدارة-، وجبل «كُلَيْوان»، وجبل «صَفُو».

كان الهدف من هذه الوقفة هو: ترشيح أي من هذه الجبال ليكون هو جبل «الذُّهْلُول» الذي قيل: إنه جبل ماء «البَرَدَان»، وأن معدنه معدن الشجرتين.

إن جميع هذه الجبال التي نشاهدها محاذية لرمال النفود من الغرب لونها أسود، ويجري بالقرب منها وادي «اللوى قديماً» المسمى حالياً «وادي المياه».

لقد استبعدت الجبال الشمالية لوقوعها في نطاق بلاد بني فزارة قديماً، كما استبعدت جبل «ضبع»، وكذلك جبل «صَفو» لتنحيه جنوباً.

وقد وقع الترشيح على جبل «كُلَيْوان» نظراً لانفراده وشكله المتميز، ولأنه واقع في بلاد بني الأضبط، وبنو الأضبط بنو عمومة الضّباب.

وهذا الجبل الذي نشاهده مجاور لبلادهم؛ فلا يستبعد أن يكون الماء الواقع قرب هذا الجبل من مياههم فيكون هو ماء «البردان» الذي نبحث عنه.

أضف إلى ذلك أنه لم يبق حولنا من الجبال السود التي حولها مياه سوى تلك الجبال الواقعة غربي «عريق الدسم».

ثم إن هذا الجبل الذي نشاهده لو أصبح هو جبل «الذُّهلول» لتشكل لدينا من بلاد الضباب التي تقابل بلاد بني فزارة ما يشبه القوس، وبذلك تنطبق عندنا النصوص القديمة وخاصة النص الذي روي عن ابن دريد.

والمطلوب منا في هذه الرحلة هو تحقيق ثلاثة مواضع:

١- ماء «البَرَدَان» الذي قيل: إنه سَيِّد مياه «الضباب».

٢- جبل «الذُّهلول» الذي قيل عنه إنه جبل البردان؛ أي قريب منه.

٣- معدن الشجرتين الذي أفادت النصوص أن ماءه البردان.

وقد سبق أن تكلمنا عن هذه المواضع الثلاثة بما فيه الكفاية فيما سبق من هذا البحث، وأوردنا النصوص القديمة التي تحدثت عنها.

عندما وصلنا إلى جبل «كُلَيْوان» ألفيناه جبلاً أسود اللون كأنه زنجي كما

وصفه الشاعر في بيت تقدم معنا، ولكننا لم نشاهد فوق ظهره أورأسه تلك الجوالق التي ذكرها، وربما أن هذه الجوالق تراءت لخيال الشاعر عندما شاهد هذا الجبل من بعد.

ويقع عنه من ناحية الشرق جبيل أصغر منه أسموه «كُلَيْوين».

وقرية «المَكْلاَة» تقع غير بعيد من هذا الجبل من جهة الجنوب الشرقي.

★ المكلاة:

قال عنها الأستاذ سعد بن جنيدل في كتابه «معجم عالية نجد»:

(المَكْلاَةُ... منهل عدٌ ماؤه حلو، يقع في أسفل وادي المياه غرب شعبى، وقد أُسِّسَت فيه هجرة صغيرة حديثة لقبيلة المغايرة... تبعد عن بلدة عفيف شمالاً ثمانية وثمانين كيلاً.[1]) انتهى.

التعليق:

أفادنا الأستاذ سعد أن هذه القرية أنشئت حديثاً، ولكنه قال: إن ماء منهلها حلو؛ بينما الماء الذي نبحث عنه وهو ماء «البردان» ماءه مُرٌّ كما حكت عنه النصوص.

وقوله هذا وضع أمامي علامة استفهام كبيرة، وعلامة الاستفهام هذه لن يجيب عليها إلا سكان هذه القرية.

لقد تجولنا حول القرية وحول الجبل عسى أن نعثر على آثار «معدن الشجرتين» ومائه المسمى «البردان» ولكننا لم نعثر على شيء ذي بال. وقد أدينا صلاة العصر في مسجد القرية، وبعد الصلاة ضمنا المجلس مع إمام المسجد وبعض أهل القرية، ورغم أسئلتي الكثيرة عن آثار المعادن حول قريتهم إلاَّ أن الإجابة كانت سلبية.

---

(١) معجم عالية نجد: ص ١٢٢٦/٣.

أما عن الآبار القديمة فقد صحبنا إمام المسجد وأوقفنا على عدد من الآبار المطمورة، وأفادنا بأنها لم تحفر في الوقت الحاضر وهي موغلة في القدم بحيث لا يتعرف عليها إلا من له سابق معرفة بها.

وهي واقعة على ضفاف الوادي مما يلي القرية، وعند السؤال عن حلاوة الماء من عدمه، أجابنا بقوله:

بالنسبة للآبار الواقعة خارج مجرى الوادي فماؤها مُرٌّ، أما الأحساء المحفورة في بطن الوادي فماؤها عذب.

لهذا أدركت أن مؤلف «معجم عالية نجد» على حق عندما قال: إن ماءها عذب.

وتبقى لدينا تلك الآبار المطمورة ذات الماء المر لنرشحها مبدئياً على أنها ماء «البردان قديماً» وعندما نعثر على «معدن الشجرتين» بالقرب منها؛ نجزم بهذا الترشيح.

ولكن أين هو هذا المعدن وأين موقعه بالنسبة للقرية أو للجبل؟!

هذا السؤال لم يجب عليه تجولنا هذا اليوم، ولم يجب عليه أهل القرية.

وقد كتبت خطاباً بتاريخ ١٤١٧/٤/١٧هـ لسعادة وكيل وزارة البترول والثروة المعدنية المساعد للمسح والتنقيب الدكتور محمد أسعد توفيق.

طالباً منه مساعدتي في تحديد موقع هذا المعدن. فأجابني سعادته بخطابه المثبتة صورته في الصفحة التالية.

وعلى ضوء الوصف وتحديد الموقع حسب خط الطول وخط العرض؛ قمت برحلة إلى «المكلاة» صحبني فيها الأستاذ صالح المقري، ولدى وصولنا إلى قرب الموقع بحثنا عن أي أثر له فلم نقف عليه، فتجولنا في الجهة الغربية من المكلاة، فالتقينا بصاحب غنم يرعاها وهو رجل كبير السن، فسألناه إن كان قد شاهد حُفرَ التعدين القديمة فقال: مع إني ولدت في هذه النواحي وتجولت فيها كثيراً؛

وزارة البترول والثروة المعدنية
وكالة الوزارة للثروة المعدنية

مكتب وكيل الوزارة
المساعد للمسح والتنقيب

سعادة الشيخ / عبدالله بن محمد الشايع

الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وصلتني رسالتكم وقد أسعدني زيارتكم وحبكم الكبير للبحث والتقصي عن آثار وأماكن التعدين في المملكة . ويسرني أن أزودكم بما تحتاجون اليه من معلومات قد ترونها مفيدة في تدوين وتسجيل تلك الآثار والأماكن حتى تكون مرجعاً نستنير ويستنير به الأجيال من بعدنا.

وللأجابة على سؤالكم حول العلامة المثبتة على الخريطة فهي تقع الى الغرب مباشرة من بلدة المكلاة وتشير الى وجود تعدين قديم للذهب والرصاص والنحاس وقد إكتشف حديثاً من قبل وكالة الوزارة للثروة المعدنية وسجل لدينا بأسم ظفار ZAFAR وهو يقع على خط العرض ٠٠ً ٣٢َ ٢٤ُ وخط الطول ٠٠ً ٢٩َ ٤٢ُ وقد يكون هذا الاسم مشتق من بيئة المنطقة ، ويوجد الى الجنوب الشرقي من هذا المكان بحوالي ٣ كم موقع تعدين آخر سجل لدينا بأسم العرق جنوب AL-ARIK SOUTH وهو يقع على خط العرض ١٥ً ٣١َ ٢٤ُ وخط الطول ١٨َ ٣١ً ٤٢ُ ونسميه جوسان GOSSAN وهي تسمية علمية تدلنا على وجود معادن وهي عبارة عن تحلات حمراء وصفراء لأكاسيد حديدية . أما معدن الشجرتين فقد ذكر في كتاب الجوهرتين للحسن بن أحمد الهمداني تحقيق الشيخ الفاضل حمد الجاسر بأنه معدن الزهلول (الزهلول) في الصفحات (٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٧٥) من هذا الكتاب ولم أجد تحديداً دقيقاً لموقعه في هذا الكتاب. وأعدكم بأن أبعث إليكم حول هذا المعدن (معدن الشجرتين) ما أجده متوفر لدينا.

وتقبلوا خالص تحياتي.،،،

الوكيل المساعد للمسح والتنقيب

د. محمد أسعد توفيق

الرقم ..... التاريخ ١٤٢٧/٧/٢٨هـ ..... المرفقات .....

هاتف ٦٦٧-١٥٢٤ (٢-٩٦٦) فاكس ٦٦٥-٦٠٢٣ (٢-٩٦٦) تلكس ٦٠١١٥٧ دي جي ام ار اس جي
المملكة العربية السعودية - ص.ب ٣٤٥ - جدة ٢١١٩١

إلا أني لم أشاهد شيئاً من هذا القبيل. ولكن هذا الوادي يسمى «وادي المعدن» وذاك الجبيل - وأشار ناحية الغرب - يسمى «ضُلَيْع المعدن» وبجانبه من جهة الشمال في مجرى الوادي بئراً تسمى بئر المعدن.

ومع كل هذه الدلائل والقرائن والتجول لم نقف على أي أثر للمعدن.

فطمعت بوصف أكثر فكتبت مرة ثانية لسعادة الوكيل المساعد للمسح والتنقيب فأجابني بخطابه رقم ٣/٥١/٢٩٢١ وتاريخ ١٤١٧/٦/٨هـ وكان مضمونه: (الموقع يقع على بعد كيلو متر واحد «أو أقل» إلى الغرب من قرية «المكلاة» على الاحداثيات التالية: خط عرض ٠٠ً ٣٢َ ٢٤ْ ، خط طول ٠٠ً ٢٩َ ٤٢ْ والخريطة المرفقة توضح موقعة بدقة أكبر...

وقد يكون الموقع قد طمر نتيجة لتوسع القرية، وهو عبارة عن حفرة قديمة وبقايا التعدين القديم «الخبث» على شكل أكوام من الركام.

ويجاور الموقع صخور الجرانيت البني الفاتح «أو المحمر» الخ).

أقول:

هذا وصف واضح لن نخطئه إن شاء الله، ولا يسعني هنا إلا أن أشكر سعادة الدكتور/ محمد أسعد توفيق وزملاءه على هذا التجاوب والتعاون من أجل تحقيق مواضع بلادنا التاريخية والجغرافية.

وبهذه المناسبة لا أنسى تقديم الشكر لسعادة مدير عام المساحة العسكرية اللواء الركن مريع بن حسن الشهراني، ومساعده سعادة اللواء المهندس خلف بن علي الهيدي؛ على ما لقيته وألقاه منهما من تشجيع ودعم وذلك بتزويدي بما أحتاج إليه من خرائط دقيقة عن الأماكن التي أحقق فيها بعض المواضع وعرفاناً بما لقيته من هؤلاء جميعاً أشكرهم، وأدعو الله أن يكثر من أمثالهم، وأمثالهم كثر ولله الحمد.

الرحلة الأخيرة لمعدن الشجرتين:

في يوم الإثنين ١٤١٧/٦/١٦هـ قمت برحلة إلى قرية «المكلاة» وصحبني في هذه الرحلة الأستاذ سعد بن علي الشعيلان، وقبل التحرك قمنا من واقع مصور الخريطة المرفق بخطاب وكالة الوزارة للمسح والتنقيب بتحديد الموقع بكل دقة حتى نحصل على «الثواني» في احداثية موقع المنجم الذي أسموه «ظفار» وهو معدن ذهب قديم تم اكتشافه من قبل الوزارة مؤخراً.

وعلى ضوء ذلك وصلنا إلى النقطة التي حددناها عند حفرة مربعة الشكل تقريباً عمقها حوالي ثلاثة أمتار، يوجد بالقرب منها ركامان صغيران يبدو من تفحصهما أنهما من بقايا التعدين القديم؛ أحدهما شرقي الحفرة، والآخر غربيها وهناك ركام يختلف عنهما لأنه مكون من قطع حجرية ذات ألوان مختلفة ويبدو أن هذا الركام الكبير قلب حديثاً عن وضعه السابق، ونظراً لقدم العهد بهذا المنجم فإن المتفحص يلحظ وجود حجارة متناثرة في المكان هنا وهناك.

المعزى تصل إلى منجم الذهب قبلنا:

كان وصولنا للموقع وقت الظهر، وعند الاقتراب من الحفرة الواسعة سمعنا صوت ثغاء غنم، وعند إلقاء نظرة في قعرها شاهدنا فيه ثمان من المعزى. لقد أدهشنا وجودها في هذه الحفرة. انظر إلى صورتها المنظر رقم (٣٤).

في بادىء الأمر حسبنا أنها قد اعتادت النزول وقت القيلولة بغية الظل وأن أصحابها يعرفون بذلك.

بعد ذلك تجولنا حول الجبل الأسود «كليوان» وأخيه الصغير «كليوين» عسى أن نقف على أماكن أخرى تابعة لهذا المعدن، وقد استمر وجودنا في هذه الناحية إلى مابعد العصر، وعندما مررنا على حفرتنا وجدنا الغنم في قعرها، وكانت تنظر إلينا كالمستغيث؛ قد بدا عليها الإعياء والعطش.

(٣٤) منظر حفر منجم «معدن الشجرتين» غربي المكلاة

وقد تحول الذهب إلى معزى!!

عند ذلك أدركنا أنهـا نزلت من إحـدى زواياها التي يغلب على الظن أنهـا سُهِّلت عند إعادة الحفر بحيث لم يبق على قعر الحفرة سوى المتر تقريباً ويبدو أنها عندما حاولت الصعود لم تستطع، وقد يكون تعليلنا الأخير لوجودها أقرب إلى الصواب.

وقبل أن نغادر «المكلاة» قافلين من رحلتنا مررنا على محطة الوقود في القرية وأخبرنا صاحب البقالة وهو أحد الإخوة السودانيين.

وقد فهمنا منه أن صاحب الغنم قد فقدها وجاء يسأل عنها والتزم الرجل بأن يبحث عن صاحبها ويشعره بذلك، ودعا لنا بالتوفيق وهذا ما نبتغيه.

*** تحديدي لمعدن الشجرتين ومائه "البردان":**

اتضح لي من اقوال المتقدمين والمتأخرين التي ذكرتها آنفاً عن ماء «البردان» و «معدن الشجرتين» وجبلهما المسمى قديماً «الذُّهْلُول» ومن نتائج الرحلات الميدانية مايلي:

١- ماء البردان: هو تلك الآبار المجاورة لقرية «المكلاة» من الجهة الشمالية الغربية بينها وبين الجبل وهي إلى القرية أقرب.

٢- معدن الشجرتين: هو هذا المعدن الذي عُثِرَ على آثاره القديمة مؤخراً، وهو لا يبعد عن القرية والآبار القديمة سوى كيل واحد إلى جهة الغرب منها.

ويبدو لي أن المعدن الآخر الواقع عنه شرقاً على بعد ثلاثة أكيال تقريباً المسمى علمياً «جوسان» تابع له.

٣- أما جبل «الذهلول» فهو هذا الجبل الأسود الواقع بجوار الماء والمعدن من جهة الشمال المسمى «كليوان» لأن تسميته هذه حديثة.

والنصوص القديمة أفادتنا أن ماء «البردان» جبله «الذهلول»، وأن ماء «معدن الشجرتين» هو البردان. والله أعلم.

خلاصة القول في تحقيق "دارة جلجل":

قال امرؤ القيس في معلقته:

ألارُبَّ يَوْم لك مِنْهُنَّ صَـــالِحٍ ولا سِـــيَـــمَّـــا يَوْم بِدارَةِ جُلْجُلِ

لقد أسهبت كثيراً في محاورة أقوال المتقدمين والمتأخرين، وعلَّقت على ماظهر لي أن التعليق عليه موصل للهدف المنشود.

ولاشك أن القارىء عرف مسبقاً أين موقع «دارة جُلْجُل» التي عناها امرؤ القيس.

ومادمت توصلت إلى تحقيق المواضع التي قيل إن دارة جلجل واقعة بينها وهي:

وادي المياه، وماء البردان، وما تعلق بهذين الموضعين من أماكن إضافة إلى الكلام عن شعبى وحسلات؛ فيمكنني القول:

بأن دارة جلجل هي تلك الدارة الواقعة في بلاد الضباب قديماً وبالتحديد بجانب جبل «الأسود» أو جبل «الجفر» الواقع في «حمى ضرية».

وكانت هذه الدارة تسمى قديماً «دارة الأسود» وحينما سكن بنو كندة هذه الناحية أطلقوا عليها مسمى «دارة جلجل».

وعندما أفل نجمهم ورحلوا عن هذه البلاد سميت «دارة الجفر» لأن بني الأدرم حفروا فيها جفرهم فنسبت لهذا الجفر؛ الأمر الذي نُسِيَ معه مسمى «دارة جلجل».

وكما قال ابن دريد ووصف لنا موقعها وصفاً واضحاً، فهي بالفعل واقعة بين «شُعَبَى» وهضاب «حَسَلات» وبين «وادي المياه» وبين «ماء البردان».

وانظر إلى الخريطة رقم (٢) لتعرف مكان «دارة جلجل» وتعرف المواضع التي ذكرها ابن دريد والتي أحاطت بدارة جلجل بما يشبه القوس، وهي المواضع من بلاد «الضِّباب» التي تقابل بلاد «بني فزارة» الواقعة في أسفل وادي «اللوى».

أملي أن أكون وفقت إلى الصواب في تحقيق هذا الموضع المشهور الغامض، وما التوفيق إلا من عند الله سبحانه.

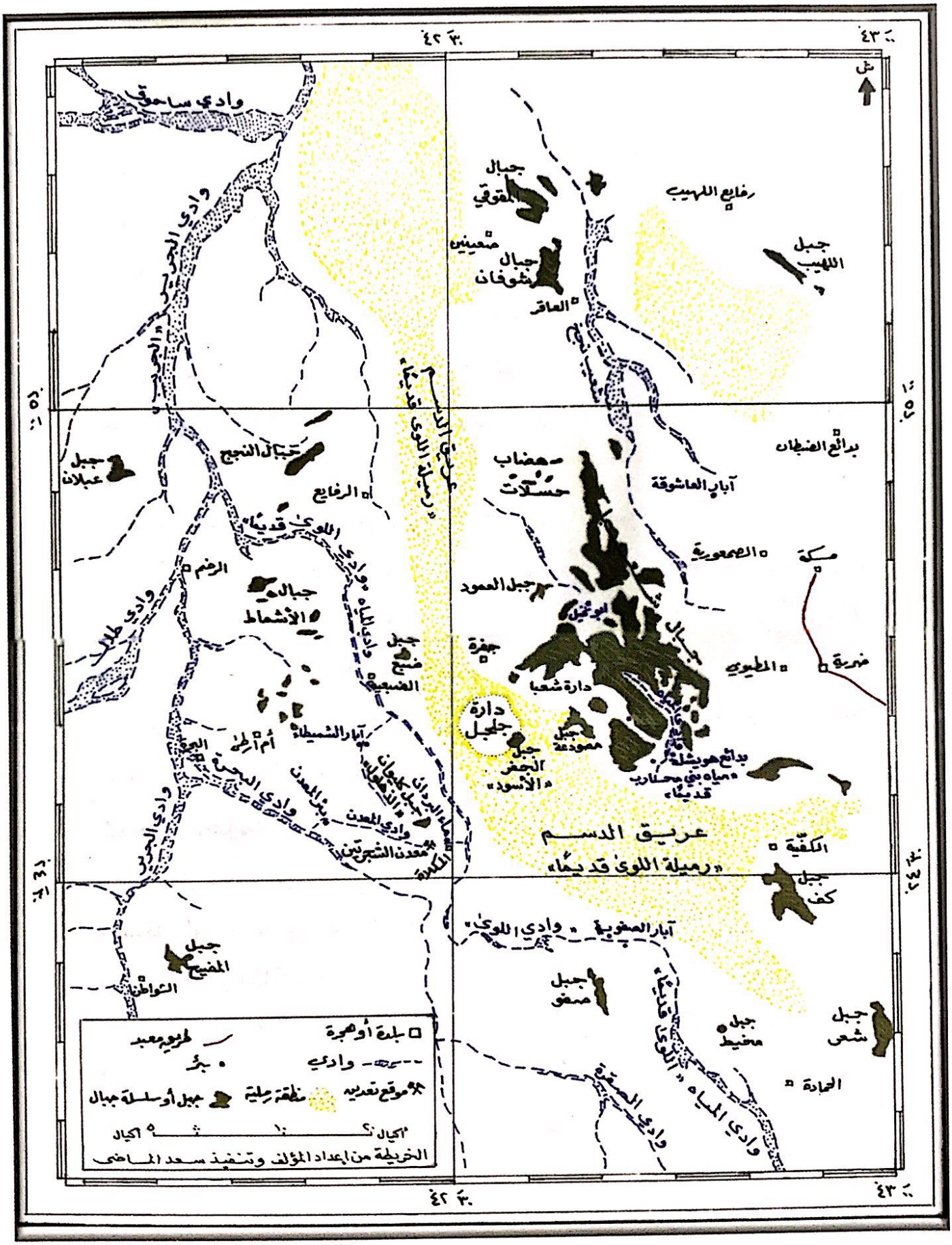
٤٣° ٣٠'
٤٢° ٣٠'
٢٥° ١٠'
٢٤° ٣٠'
شمال
وادي ساحوق
وادي الجوي
جبال المقوقي
رغابع اللهيب
جبل اللهيب
صعينين
جبال شوفان
العاقر
عريق الدسم «رميلة اللوى قديمًا»
جبال النجح
جبل عبلان
الرغابع
بدائع الضبطان
هضاب حسلات
آبار العاشوقة
الرضم
وادي اللوى قديمًا
وادي طلال
جبال الأشماط
وادي المياه
جبل ضنيع الضبيعة
جبل العمود
الصمعورية
مكة
جبال
جفرة
دارة شعبا
المطيوي
خبرة
دارة جلجل
آبار الشميطاء
أم أطى
جبل معودة
جبل الجفر «الأسود»
بدائع هويشلة
مياه بني حسارب قديمًا
وادي المعدن
بئر المعدن
معدن الشجرتين
الكلفية
جبل كف
آبار الصفوية
وادي اللوى
جبل المفيح
الشواطئ
جبل صفو
جبل مخيط
جبل شعن
الحمادة
وادي المياه «اللوى قديمًا»
وادي الصفوة
بلدة أو هجرة
وادي
بئر
موقع تعديني
منطقة رملية
جبل أو سلسلة جبال
طريق معبد
١٠ كيلو
٥ كيلو
الخريطة من إعداد المؤلف وتنفيذ سعد الماضي

خلاصة البحث

امرؤ القيس بن حُجْر الكندي من الشعراء المكثرين لذكر المنازل والديار.

وقد ذكر في بداية معلقته سبعة مواضع هي:

الدخول، وحومل وسقط اللوى، وتوضح، والمقراة، ومأسل، ودارة جلجل.

وقد اختلف المتقدمون والمتأخرون في تحديد هذه المواضع.

من القدماء من قال: إنها في ناحية اليمامة، و منهم من قال: إنها في حمى ضرية في وسط عالية نجد بين إمَّرَة وأسود العين، ومنهم من أشمل بها وقال إنها في الشام.

ويكاد يجمع المتأخرون على أنها في عالية نجد الجنوبية.

وبما أني لست مع هؤلاء أولئك؛ فقد قمت بدراسة أقوال المتقدمين والمتأخرين والمقارنة بينها، كما قمت بما تمكنت من جمعه من أبيات الشعر العربي التي ورد فيها ذكر لهذه المواضع، وكذلك أقوال علماء اللغة.

ومن هذه الأقوال مجتمعة، وعلى ضوء النصوص القديمة خرجت بنتيجة حددت بها أماكن تلك المواضع على النحو التالي:

الدخول وحومل:

بما أن علماء البلدان في وقتنا الحاضر يرون أن الدخول وحومل وبينهما «سقط اللوى» تقع في «عالية نجد الجنوبية» جنوب الطريق السريع الذي يربط بين الرياض والطائف على بعد مائة كيل؛ حيث قالوا:

إن الدخول الذي عناه امرؤ القيس هو الهضب أو الماء المسمى بهذا الاسم الواقع على خط العرض ٤٥° ٢٤َ ٢٢ْ وخط الطول ٣٤° ٤٨َ ٤٣ْ.

وأن «حوملاً» هو ذاك الجبل الواقع عن الدخول غرباً على بعد خمسة عشر

كيلاً، وأن سقط اللوى هو تلك الجبيلات التي تعلوها رمال بين الدخول وحومل المسماة قديماً «شَرَاف» وحالياً «مُشْرِف».

وبما أنهم يرون أن منازل بني كندة في تلك الناحية؛ فقد حددوا المواضع الأخرى التي ورد ذكرها مع الدخول وحومل قريبة منهما.

وحيث أنني لست معهم فيها ذهبوا إليه من أن عالية نجد الجنوبية من منازل بني كندة، وأن تحديدهم لهذه الأماكن في تلك الناحية لا يعضده نص قديم يعتمد عليه؛ فقد اجتهدت في تحديد منازل بني كندة إبان وجودهم في نجد؛ فاتضح لي أن منازلهم كانت في وسط العالية وما كان منها شمالاً وشمالا شرقياً؛ ولذا فقد كان بحثي عن الدخول وحومل وكذا بقية المواضع ضمن هذا النطاق من الأرض.

وقادني البحث والتحري إلى أن «الدخول» الذي عناه امرؤ القيس هو عرق من الرمل مازال محتفظاً باسمه يقع شمال شرق «التَّيْسِيَّة الجنوبية -حزن مُلَيْحة قديماً- وقد كتب على الخريطة باسم «الدخول» ومنه «خِبَّة الدخول» و«خَشْم الدخول» وهذه المسميات معروفة لدى سكان تلك الناحية.

أما حومل: فغير معروف بمسماه القديم، وهو يقع جنوباً من الدخول غير بعيد منه. قال القدماء عنه:

«إنه رمل يركب القُفَّ» وهذا الرمل الذي أشاروا إليه يمر من حوله «طريق الحج البصري» وهو يقع بين منزل «المجازة» - الثمامي حالياً- غرب بلدة «أم عُشَر» الواقعة شرقي الدهناء جنوب غرب «حفر الباطن» وبين منزل «الينسوعة» المسماة حالياً «بُرَيْكة الأَجْرَدِي» شرقي بلدة «قبَة»

وعندما يصدر حاج البصرة من «الينسوعة» مصعدين مع وادي «الأَجْرَدي» يكون على يسارهم رمال متكاوسة اسمها القديم «ضَفِرَة حومل» وفي مجرى الوادي خبراء واسعة فيها شجر طلح. وقد وقع في هذه الخبراء يوم أيام العرب في الجاهلية اسمه «يوم طلحات حومل» أو «يوم حومل».

أما سقط اللوى:

فهو مسقط الرمل الواقع بين الدخول وحومل مقابل لحزن بني يربوع وقد سماه مؤلف «كتاب بلاد العرب» باسم اللوى عندما كان يصف الطريق من «حَجْر اليمامة» إلى «الكوفة»

وحسب وصف المتقدمين فإن توضح والمقراة تقعان شرقاً من اللوى.

توضح والمقراة:

ذكرهما امرؤ القيس بقوله:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال الشيخ محمد بن بليهد عن توضح «إنها أرض قريبة من الهضب يقال لها اليوم التوضحيات عن جبل الحَمْل جنوباً.

وخالفه في هذا التحديد مؤلف «معجم عالية نجد» حيث قال: «إن توضح هي أبرق المضياح... أبرق واسع يقع في بلاد المَضْجَع، شرقاً من رمل عرق سبيع، وغرباً من الدخول...».

ولست معهما فيما حدداه؛ لأن «توضح» حسبما ذكرها القدماء غير واقعة في عالية نجد الجنوبية، وإنما تقع في الجهة الشمالية الشرقية من عالية نجد، وقد حدد مكانها شيخ من بني تميم عندما دار الحوار بينه وبين رجال من بني تميم حيث قال لهم:

(هل وجدتم توضح التي يقول فيها امرؤ القيس:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

وهي بين رمل السَّبخة وأُود...

قال: أما والله لوجئت في ليلة مظلمة لوقفت على فم طويها.) انتهي

وقد تعرفنا على رمل السَّبخة وأود، وهما بعيدان عن عالية نجد الجنوبية

وبتعرفنا على هذين المكانين تمكنا من تحديد الحَيِّز الذي تقع فيه «توضح» وهي بئر انطمرت منذ القدم. وهي قريبة من «المقراة» شرقي رمال الدهناء.

أما المقراة فقال عنها الشيخ البليهد: إنها وادي «القِمْرى» الذي في عالية نجد الجنوبية، وخالفه في هذا التحديد مؤلف «معجم عالية نجد» فقال: إنها «جفرة الصاقب» الواقعة غرباً من القمرى.

وبما أن الدخول وحومل اللذين عناهما امرؤ القيس بعيدان عن المكانين اللذين حدداهما، وأن قوليهما لم يعضدهما نص قديم؛ فيمكنني القول بأن المقراة التي ذكرها امرؤ القيس واقعة في «حزن بني يربوع» قرب «توضح» وقد ذكرها الشاعر ابن مقبل بقوله:

للمازنية مصطاف ومرتبع مما رأت أود فالمقراة فالجرع

وقد قلت فيما تقدم إنني لا أستبعد أن تكون المقراة هي بئر «سامودة» الواقعة على خط العرض ٣٣° ٥٤َ ٢٧َ وخط الطول ٠٢° ٥٥َ ٤٤ْ.

وهذه الأماكن التي ذكرها ابن مقبل متقاربة يشاهد بعضها بعضاً.

ومن يسلك الطريق المزفت المتفرع من طريق «حفر الباطن» متجهاً شمالاً قاصداً لينة ورفحاء، وبداية من محطة وقود «البطيحان»» شرقي الدهناء.

فإن المسافر على هذا الطريق عندما يصل إلى بلدة «أم عشر» يشاهد على يساره بالقرب من الطريق رمالاً ممتدة من رمال الدهناء؛ هذه الرمال تسمى حتى وقتنا الحاضر رمال «الجُرَع».

وإذا سار على هذا الطريق متجاوزاً بلدة «أم عشر» باتجاه الشمال فسوف يصل إلى بلدة «سامودة».

وبئر سامودة التي قلنا إنها «المقراة قديماً» تقع شمالاً من القرية على بعد خمسة أكيال فقط على يمين الطريق.

وإذا سار على الطريق نفسه من بلدة سامودة فإن آبار «أوُد» المسماة الآن

آبار «العَوْد» تكون على يمين الطريق على بعد ثلاثة أكيال، وهي تبعد عن بلدة «سامودة» قرابة خمسة عشر كيلاً.

وآبار «أود» واقعة على خط العرض ٢٥° ٥٨َ ٢٧ْ وخط الطول ٠٦ً ٤٧َ ٤٤ْ وكل من المقراة وتوضح وأود واقعة في الطرف الجنوبي الغربي من «حزن بني يربوع» مقابلة للدخول وحومل.

وقد استتبع تحقيقي لهذه الأماكن تحقيق بعض الأماكن التاريخية والجغرافية مثل: وادي ذي طلوح، والينسوعة، والقسوميات، وأود، وماء طَلَح، والرقمتين، وغير ذلك من المواضع.

مأسل:

هذا هو الموضع الذي لم أتوصل إلى تحقيق مكانه، وإن كنت أرى أنه يقع شمالاً في بلاد بني كلب أو قريباً منها؛ لأن صاحبتي امرىء القيس من هذه القبيلة.

دارة جلجل:

هذه الدارة واقعة في وسط عالية نجد وبالتحديد في حمى ضرية وسط رمال «عريق الدَّسم» - رميلة اللوى قديماً- وتسمى الآن «دارة الجَفْر» وهي واقعة على خط العرض ٤٤ً ٤٠َ ٢٤ْ وخط الطول ٠٤َ ٣٢ً ٤٢ْ.، وقد استتبع تحقيق دارة جلجل التعرف على بعض الأماكن التاريخية والجغرافية.

مثل: دارة جلجل الحجازية، ووادي المياه، وماء البردان، ومعدن الشجرتين ، وجبل الذهلول وغير ذلك من المواضع. والله الموفق.

الفهارس

١- فهرس: محتويات الكتاب.

٢- فهرس: المصادر والمراجع.

٣- فهرس: الأماكن.

٤- فهرس: الخرائط، وصور المعالم وأطلال المنازل.

فهرس محتويات الكتاب

	الصفحة
مدخل البحث.	٥
الدخول وحومل.	١٥
أقوال قدماء البلدانيين حول الدخول وحومل والتعليق عليها.	٢٣
آراء علماء البلدان في الوقت الراهن حول الدخول وحومل ومناقشتها.	٣١
منازل بني كِنْدَة في نجد.	٤٢
ما يستفاد من النصوص المتقدمة.	٤٦
جو مطلع القصيدة.	٤٨
علماء اللغة، وكلامهم عن الأماكن الواردة في المعلقة.	٥٠
تحقيق الدخول وحومل.	٥٢
الرحلات المدانية.	٥٧
يوم طلحات حومل.	٦٢
ماء طَلَح.	٦٨
الرحلة الثانية للبحث عن حومل.	٦٩
روضة الثَّمَد.	٧٨
سقط اللوى.	٨٤
مكان سقط اللوى الذي قصده امرؤ القيس.	٨٩
توضح.	٩٤
أقوال قدماء علماء البلدان عن «توضح».	٩٧
رمل السَّبِخَة.	١٠١
أُوْدُ.	١٠٣
الرحلات الميدانية إلى حَزْن بني يربوع.	١١١

حديث يوم ذي طلوح.	١١٢
ماء طَلَح.	١١٦
أُوْدُ	١٢٤
القسوميات	١٣٠
وادي ذي طلوح.	١٣٢
مواصلة الرحلة الميدانية.	١٤٠
الينسوعة.	١٤٢
المقراة.	١٥٩
أقوال علماء البلدان في زمننا هذا عن المقراة.	١٦٣
مأسل.	١٦٨
رأيي حول مأسل.	١٧١
دارة جلجل.	١٧٣
آراء الباحثين في وقتنا الحالي حول دارة جلجل.	١٧٣
تحقيقي لمكان «دارة جلجل».	١٨٠
تمهيد الطريق أمام الرحلات الميدانية.	١٨٠
غمر ذي كندة.	١٨٢
الغمير وغمر ذي كندة.	١٨٥
دارة جلجل الحجازية.	١٨٩
دارة جلجل النجدية.	١٩٢
وادي المياه.	١٩٤
البَرَدان.	١٩٧

حَسَلاَت. ٢٠٦
دارة الأسود. ٢٢١
الأسودان. ٢٢٢
المِكْلاَة. ٢٢٨
تحديدي لمعدن الشجرتين ومائه البَرَدان. ٢٣٤
خلاصة القول في تحقيق «دارة جلجل». ٢٣٥
خلاصة البحث. ٣٣٨

المصادر والمراجع

١- أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع: بقلم حمد الجاسر. منشورات دار اليمامة - الرياض. الطبعة الأولى.

٢- الأصمعيات: اختيار الأصمعي. تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . الطبعة الخامسة. دار المعارف - القاهرة.

٣- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني. تحقيق لجنة من الأدباء.

٤- الأمكنة والمياه والجبال: محمود الزمخشري. تحقيق د. السلعراني. مطبعة السعدون - بغداد.

٥- أيام العرب قبل الإسلام: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي: جمع وتحقيق ودراسة د. عادل البياتي. عالم الكتب - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٦- أيام العرب قبل الإسلام: محمد أبو الفضل إبراهيم وزميلاه. المكتبة العصرية - بيروت.

٧- بلاد العرب: الحسن بن عبد الله الأصفهاني. تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي. نشر دار اليمامة - الرياض. الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

٨- التعليقات والنوادر: الهجري. ترتيب حمد الجاسر. طبع شركة العبيكان - الرياض-.

٩- كتاب الجوهرتين: الهمداني. أعده للنشر حمد الجاسر. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

١٠- خزانة الأدب: البغدادي. تحقيق عبد السلام هارون. الجزء (١١) الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م نشر مكتبة الخانجي - القاهرة.

١١- ديوان ابن مقبل: تحقيق عزة حسن. دمشق ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.

١٢- صحيح الأخبار: محمد بن بليهد. الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
١٣- صفة جزيرة العرب: الهمداني. تحقيق محمد الحوالي وإشراف حمد الجاسر. نشر دار اليمامة - الرياض سنة ١٣٩٧هـ ١٩٩٧م.
١٤- لسان العرب: ابن منظور. أعاد بناءه على الحرف الأول يوسف خياط. نشر دار الجيل ودار لسان العرب - بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١٥- مجلة العرب: مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري: تصدر عن دار اليمامة بالرياض.
١٦- المسالك والممالك: ابن خرداذبة. دار صادر - بيروت . طبع مدينة ليدن.
١٧- معجم البلدان: ياقوت الحموي. دار بيروت للطباعة والنشر. طبع سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١٨- معجم بلاد القصيم: محمد العبودي. مطابع الفرزدق. الطبعة الثانية. سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
١٩- معجم عالية نجد: سعد بن جنيدل. منشورات دار اليمامة - الرياض طبع سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٢٠- معجم شمال المملكة: حمد الجاسر: الطبعة الأولي سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٢١- معجم مااستعجم: البكري. تحقيق مصطفى السقّا. عالم الكتب - بيروت .الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٢٢- معجم معالم الحجاز: عاتق البلادي. الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٣- معجم المنطقة الشرقية: حمد الجاسر. دار اليمامة - الرياض. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٢٤- معجم اليمامة: عبد الله بن خميس. الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٢٥- كتاب المناسك: أبو اسحاق الحربي. تحقيق حمد الجاسر. دار اليمامة - الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٦- ملوك كندة: جونار أولندر. ترجمة وتحقيق د. عبد الجبار المطلبي. دار الحرية للطباعة - بغداد. سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٢٧- نظرات في كتاب تاج العروس: حمد الجاسر الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٢٨- النقائض بين جرير والفرزدق: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي. دار صادر بيروت. طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٥م.
٢٩- كتاب الوحشيات: أبو تمام. الطبعة الثالثة دار المعارف بالقاهرة.
٣٠- بعض الخرائط المعدة من قبل «المساحة العسكرية» والمساحة الجوية بوزارة البترول والثروة المعدنية.

فهرس الأماكن

-أ-

أبان الأبيض: ٢٠٠.

الآبار السَّبع: ١٢٢، ١٤٢، ١٤٩، ١٥١.

آبار الينسوعة: ١٤٢.

أبرقا حُجْر: ٤٤, ٤٦.

أبرق المضياح: ٩٤، ٩٥، ١٠٠.

أبرقية: ١٩٤.

أبو شفلح: ٢١٨.

اثبيت: ١٠٩.

أجا: ٢٢٢.

الأجردي: ٥٨، ٥٩, ٧٠, ١٣٤، ١٣٨.

أُريْكَة: ٢٣.

أسفل أُوْد: ١١٥، ١١٩، ١٢٤، ١٢٨، ١٥١.

الأسياح: ٦٠, ١٣٦, ١٣٧.

أسود الجفر: ٢٢٢، ٢٢٣.

أسود العين: ٢٣، ٢٥, ٢٩، ٣٦, ٥٤، ١٦٠.

الأشماط: ٢٢٥.

أضاخ: ٤٥.

أعشاش: ٦٤.

الأُفاقة: ٦٤.

الأفلاج: ٢٦.

أقماع الدهناء: ١٣٥.
إمَّرَة: ٢٣، ٢٥، ٢٩، ٣٦، ٥٤، ١٦٠.
أم عُشَر: ٥٣، ٧٠، ٨٠، ٨٨، ٩٠، ٩١، ١٤١، ١٥٠، ١٥١، ١٦١.
أنف الزوراء: ١١٤.
الأوانة: ٢٦
أود: ٢٩، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٠، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٥، ١١٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤.
أوطاس: ١٨٦.
الإياد: ٦٤، ١٠٤، ١٠٧، ١٣٢، ١٤٠.

- ب -

الباطن: ١٣٦، ١٤٠.
بدايع ريمان: ٢٠٥.
بدايع الضبطان: ٢٠٢، ٢٠٥.
البردان: ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤.
برقة حسلة: ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥.
بريكة الأجردي: ٥٦، ٥٨، ٦٠، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٢.
البساتين: ٦٩، ٨١.
بستان ابن عامر: ١٨٦، ١٩٠.
بستان الغمير: ١٨٧، ١٨٩.
البشوك: ٦٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٨، ١٥١.
البصرة: ٤٣، ٥٨، ١٠٨، ١٣٣.

البضيع: ٢٩.
بطن ظبي: ٣٣.
بطن عاقل: ٤٤، ٤٦.
بطن فلج: ١٠٤، ١٠٨، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٩، ١٦٢.
بطن قَوّ: ٣٢، ٣٣.
بطن المذنب: ١١٥، ١٤١، ١٤٩.
بطن مليحة: ٧٩، ٨٠.
بقيعاء الجنوبية: ٢٠٥.
بقيعاء اللهيب: ٢٠٢.
بلقاء: ١٠٥، ١٠٨.
البيسوعة: ١٤٤.
بيشة: ٢٦، ١٩٩

- ت -

توضح: ١٩، ٢٣، ٢٧، ٢٩، ٥٤، ٥٧، ٦١، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٦، ١٥٤، ١٥٩.
التوضحية: ٣٩، ٩٦.
التوضيحات: ٩٤، ٩٥.
التَّيْسِيَّة: ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٧، ٨٠، ٨٩، ١١٧، ١١٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩.
تيماء: ١١.

- ث -

ثُرَيَّا: ١٧٤.
الثريا: ٤٥، ٤٧.
الثعلبية: ٦٠، ١٠٥، ١٠٩.

الثمامي: ٨٠، ١٦٢.
ثمد القسوميات: ١٣٠.
ثهلان: ٢٢١.
الثيتل: ٣٨.
الثيتلة: ٣٨.

- ج -

جبل الأوشال: ٢٢١.
جبال جُلْجُل: ١٦٩.
جبال النجج: ١٩٤، ٢٢٥.
جبل الجفر: ٢٢٠.
جبل طي: ١٦٨.
جبلة: ٧٧.
الجديلة: ٤٦.
جرثم: ٢٨.
الجرع: ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٤.
الجَرْعاء: ٢٣.
الجزيرة: ٩٨.
جُفاف: ٦٠.
جفر بني الأدرم: ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١.
جَفْرة: ٢٢٠، ٢٢٥.
جفرة الصَّاقب: ٨٦، ٩٥، ١٦٣، ١٦٤.
جلاجل: ١٧٥، ١٩٢.
الجماء: ٢٨.

جمد الوَقْب: ١٨٨.
الجُنَيْنَة: ١٠٧
جَوّ امْ عْمَارَة: ١١٩, ١٢٥, ١٢٨, ١٥١.
جو تذرع: ٢٥.
جو كتيفة: ٨٤.
جوف طويلع: ١٠٥.
الجونين: ١٠٩.

- ح -

حِبِّر: ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤.
الحجاز: ٢٥, ٤٩.
حْجَرَةْ البْشُوك: ١٢٣.
حُجَرة الخَنْبَشْ: ١٢٣، ١٥٠.
الحُجَيْلاء: ٩٨.
حَجْر اليمامة: ٩٠.
حَرْس: ٢٥, ٢٦.
الحرورية: ٢٨.
حرَّة عُوَير: ٢٥.
حرة كِشْب: ١٩٥.
الحَزْن: ٢٩، ٥٥، ٦٠، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ١٠٣، ١٠٤, ١٠٧, ١٦٤.
حَزن بني يربوع: ٥٢، ٥٦، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٨١، ٩٠، ١٠٨، ١١٢، ١١٧, ١١٨، ١١٩، ١٢٣، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩.
حزن مليحة: ٦٥، ٦٧, ٦٨, ٦٩, ١٣٦, ١٣٩،

حزن الينسوعة: ٦٧، ٦٩، ٨١.
حزما واهب: ٢١٢.
حَسْلَة: ٢٠٩، ٢١٠.
حَسَلاَت: ١٧٦، ١٨٠، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠.
الحَطَّامة: ١١٤.
الحَفْر: ١١٩، ١٣٠.
حَفْرُ بني الأدرم: ١٩٧، ٢١٧، ٢١٩.
الحليف: ٢٣.
حمى ضرية: ٣٤، ٣٦، ٤٤، ٤٦، ٥٤، ٨٩، ١٦٠، ١٧٦، ١٧٨، ١٨١، ٢٢١.
الحمل: ٩٤.
حوايا: ١٠٥، ١٠٩.
حوضيات: ٢٦.
حَوْمَل: ١٥، ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٩، ٨٤، ٩٠، ١٠٧، ١٣٧.

- خ -

الخبراء: ٥٦، ٦٢، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ٧١، ١٣٤، ١٣٧.
خبراء البَيْسُوعَة: ١٤١، ١٤٣.
خبراء اليَنْسُوعَة: ١٤٣، ١٤٥، ١٥١.
خبراء مَاوِيَّة: ١٤٣.
خِبَّة الدخول: ٥٣، ٦١.
الخَبِيثات: ٣٩.
الخَرج: ٣٨، ٩٦.
الخرب: ٢١٢.

خشم الدخول: ٥٣ ، ٦١
خشم الطليحي: ٧٧.
خفق واهب: ٢١٢.
خَوْرُ الْعَوْد: ١٢٦.

- د -

دارة الأسود: ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥.
دارة جُلجل: ٤٦، ٤٩، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٩٨، ٢٢٤، ٢٣٥.
دارة جلاجل: ١٧٤ ، ١٧٥.
دارة جلجل الحجازية: ١٨٩.
دارة جلجل النجدية: ١٨٣، ١٨٩ ، ١٩٢.
دارة شُعَبَى: ١٧٨، ١٨٠ ، ٢١٨، ٢١٩.
دارة عَسْعَسْ: ٤٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠.
دارة قُنَيْع: ١٧٨ ، ١٨٠.
دارة مأسل: ١٦٩.
دارة وسط: ١٧٦ ، ١٨٠
الدّخول: ١٥ ،١٧ ،١٨، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤ ، ٥١ ، ٨٤ ، ٩٠، ١٠٧.
الدخيلي: ٣٩ ، ٤٠.
دمخ: ٢٨.
الدهناء: ١٩، ٣٩، ٥٦، ٦٠، ٦٥، ٦٩ ، ٨٠، ٨٨، ٩٧، ١٣٣، ١٣٥،

١٦٢، ١٦٤.

- ذ -

ذات الدخول: ٢٣.
ذات عرق: ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩.
ذات العُشر: ٦٠.
ذات فرقين: ١٠٨.
ذ قان: ٢٦.
ذو بَيْض: ٧٨.
ذو سدير: ٢٥، ٢٦، ٢١٤.
ذو الطَّبَسَيْن: ٩٩، ١٠٣، ١٠٧.
ذو طَلَح: ١١٦.
ذو طُلُوح: ٦٥، ٦٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٠.
الذهلول: ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢٧، ٢٣٤.
الذنائب: ٢١٢.
الذنوب: ٢١٢.
ذنيب الذيب: ١٤٩.
الذيبية: ١٤٩.
الذئب: ٢١٤.

- ر -

رامتان: ١٠٧.
الرَّضم «منهل»: ١٩٤.

رقمتا فلج: ١٤٣.
الرقمتان «روضتان»: ١٤٣، ١٤٤، ١٦٢.
الرقمتان «قريتان»: ١٤٣، ١٤٥، ١٤٩، ١٦٢.
رقمة فلج: ١٠٤، ١٠٨، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥١.
الركاء: ١٦٨.
رملة بني الأدرم: ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١٧.
رمل السَّبخة: ٥٤، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٥٤، ١٦٥.
رملة العريق: ١٩٤.
رمل الغضا: ٢٠٩.
الرَّنية: ٢٣.
روضة الثمد: ٧٨، ٧٩.
رُوَيَّة: ٦٦، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ١١٧.
رويان: ٧٥.
ريع كُعَضَبْ: ٢١٨.

- ز -

الزَّهاليل: ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣.
الزهلول: ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣.
زهلولة: ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥.

ـ س ـ

ساميودة: ٥٣، ٦٩، ٨٨، ٩١، ١٣٠، ١٥٤، ١٦٥.
الستار: ٢١٤.
سجا: ٢٨.
سُحَامُ: ٧ ، ٨، ٣٥.

السُّرَّة: ٢٦.
السَّريف: ١٧٤.
السَّفح: ٧٨.
سَفَار: ١١٤
سقط اللوى: ١٥، ٤٠، ٤٨، ٦١، ٨٤، ٨٥، ٨٩، ١٠١.
سلع: ٢٨.
سلمى: ٢٢٢.
السَّهباء: ٩٦.
السَّوادة: ١٦٣، ١٦٨.
السَّيل الكبير: ١٨٣.

- ش-

الشَّام: ٢٦ ، ٢٩، ٥٤.
الشَّرف: ٤٥، ٤٧.
شراف: ٨٤ ، ٨٥.
شُعَبَى: ٤٥، ٤٧، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٧، ٢١٨.
شعب العَسِيبيَّات: ٢١١.
شعْعَفَة وْسَيْط: ١٢٣ ,١٣٦.
شعيب السِّهل: ٧٠، ١٣٧، ١٣٩.
شعيب القسومي: ١٢٠، ١٤٠، ١٤١، ١٥٠، ١٥١.
الشقيراء: ٢١٩.
الشِّيحة: ٥٢، ٦٤، ٦٥ ,٦٦ ,٩٠، ١٠١.

ـ ص ـ

صاحتان: ٠٨

الصاقب: ١٥، ١٦.

صحراء طحال: ٣.

صحراء اللوى: ٢٣.

صفا الأطيط: ٨.

صفو: ٢٢٧.

الصَّفويَّة: ١٩٤.

الصُّمَان: ٢٨.

الصَّمْدِ: ٦٢، ٧٥، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٥، ١٥١.

صَمْدُ طَلَح: ١٠٥، ١١٤، ١٢٤، ١٣٦، ١٥١.

الصمعورية: ٢٠٢، ٢٠٥.

- ض -

ضارج: ١١.

ضبع: ٢٢٥.

ضِرية: ٤٥، ٨٧، ١٧٦، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٧.

ضفِرة حَوْمَل: ٦٢، ٦٣، ٧٥.

ضليَع المعدن: ٢٣١.

ضيم: ٣٢.

- ط -

الطائف: ١٨٣.

طحال: ٧٥، ٧٦، ٧٨، ١١٧.
طخفة: ٧٧، ٢١٣.
الطراق: ١٣٨.
طلحات حومل: ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٨، ١١٦، ١٣٧.
طَلَحَ: ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٦٨، ٧٦، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١١٢، ١٢٢، ١٣٦، ١٥١.
طلحة: ١١٩، ١٢٠، ١٣٦، ١٥٢.
الطليحي: ٦٠، ٦٦، ٦٨، ٧٦، ٧٧، ١١٧، ١١٨، ١٢٤.
طمية: ٤٦، ٤٩، ١٧٦.
طويق: ٣٨.
الطيري: ١٧٤.

- ع -

عاسم: ٨.
عالج: ٢٩.
عالية نجد: ٣٧، ٨٦، ١٠٦، ١٦٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٢.
عالية نجد الجنوبية: ١٩، ٢٠، ٣١، ٣٥، ٣٩، ٥٦، ٨٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠٧، ١٦٠، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٤، ١٩٢.
عالية نجد الوسطى: ٥٠.
عرجاء: ٦٦.
عرعر: ٢٣. ٣١، ٣٢.
عراعر: ٣١، ٣٣.
عرفة: ٣٢.

عرقة: ٢٥.
عرق الدخول: ٥٣، ٦١، ٦٩، ٨٠.
عرق سبيع: ١٦، ٨٤، ٩٤.
العرمة: ٤٠.
عرق المظهور: ٥٢، ٥٧، ٦٠، ١٣٤.
عروق الأسياح: ٧٠.
عرض شمام: ١٦٨.
العذيب: ٥، ١١.
العرفطانة: ١٩٦.
عريق الدسم: ٨٩، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٧.
العزيمة: ٣٩.
العشر: ١٠١.
عفيف: ١٩٤، ٢١١، ٢٢٨.
عسعس: ٨٧، ٨٨.
عفر الزهاليل: ١٩٩، ٢٠٢.
العلاة: ٣٧، ٣٨.
العُلَيَّة: ٢٣، ٢٤، ٣٧، ٣٨.
العناقة: ٢٣.
عمايتان: ٨.
عماية العليا: ١٦٩.
عمودان: ٢٠٠.
عمود العمود: ٢٠٠.
العَوْد: ١٠٩، ١١٠، ١٢٨، ١٥٤.

عيبة القسومية: ١١٩، ١٣٠، ١٣١.
عين كنده: ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٩.

- غ -

غابر: ٢٥، ٢٦.
غبار: ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٨.
غبير: ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٨.
غْبَاشَة: ١١٩، ١٣٠، ١٥١.
غْبَيْشَان: ١١٩، ١٣٠، ١٥١.
الغبيط: ١٤٠.
الغرابة: ٢١١.
الغروب: ٢٨.
الغمار: ١٨٥.
غمر ذي كندة: ١٧٦، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦.
الغمير: ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢.
غمرة: ٨٧.

- ف -

فدك: ١١٤.
فرغ الحفر: ٥٩، ٦٠، ١٠٩.
فرغ القبة: ٥٩، ٦٠، ٦٨، ١٠٩.
فيد: ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧.
فيضة أم الحمير: ٧٩.
فيضة أم السروج: ٧٩.
فيضة أم عشر: ١٢٠، ١٤٠.

فيضة أم عواقيل: ١٢٠، ١٤٠، ١٤١.
فيضة سامودة: ١٦٥.

- ق -

قاع العويند: ٩٨.
قاع واهب: ٢١٢.
قبة: ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٥، ٦٦، ٧٦، ١١٧، ١٢٤، ١٣٧.
قطن: ١١.
القرعاء: ٨٦.
قرقرى: ٢٧، ٣٨، ٩٦.
قرن ظبي: ١٧١.
قرن المنازل: ١٨٣، ١٩٠.
القسومية: ١١٤، ١١٦، ١٣٤، ١٣٧، ١٤١، ١٥١.
القسوميات: ١١٥، ١١٩، ١٢٤، ١٣٠، ١٥١.
القصيم: ٤٧، ٤٩، ٦٠، ٦٤، ٧٠، ١١٧.
القُفّ: ٢٩، ٣٤، ٥٥، ٨١، ١٠١.
قلبان العود: ١٢٨.
القمرى: ٩٥، ١٦٣، ١٦٤.
قنيع: ٤٥.
القنفذة: ١٠٤، ١٠٨، ١٣٢، ١٤٠، ١٥٠.

- ك -

كاظمة: ١٣٣.

كبد نجد: ٤٧.
كُتَيفة: ٨٤ ، ٢٠٠.
الكثيب «ماء»: ٧٨.
كثيب حربة: ٢٩.
كريب: ١١٤، ١٢٤، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٠.
كريم: ١٢٤، ١٣٤، ١٣٧.
الكُلاَب: ٤٣، ٤٧.
كلواذة: ١١٢.
كلية: ٧٨.
كليوان: ٢٢٧، ٢٣٢.
كليوين: ٢٣٢.
الكوفة: ٤٣، ٩٠، ١٠٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧.

ـ ل ـ

اللوى: ٢٨، ٥٧، ٦١، ٨٩، ٩٠.
لوى مليحة: ٦٣، ٨٩، ٩٠، ٩١.
اللساسة: ٢١٢.
لينة: ٩٠، ١٥٤، ١٦٢.

ـ م ـ

مأسل: ٤٩، ٥٠، ٩٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١.
مأسل الجمح: ١٦٨.
المالحة: ٦٤.
ماوان: ٣٨.

مَاوِيَّة: ١٠١، ١٤٤.
المتثلم: ٢٨.
المجازة: ٨٠، ٩٠، ١٠٢.
مذعى: ٢٣.
المجيمر: ١١.
المدينة: ٥٩، ٢١٧.
مَرْعش: ٢٥.
مزاليج: ٣٩.
مِسْكة: ٢٠٢، ٢٠٥.
المستراد: ٦٤.
مسحلان: ١٠٨.
المذنب: ١٤٩.
مشرف: ٨٤، ٨٥.
المصلوق: ٢٣.
مصودعة: ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٣.
المطيوي: ٢١٧.
المضاجع: ٢٦.
المضيح: ٢١٢، ٢١٣.
المضجع «المجضع»: ٣٣، ٩٤.
معدن الشجرتين: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٤.
المقراة: ١٩، ٢٣، ٥٥، ٥٧، ٦١، ٨٦، ٩٤، ٩٩، ١٠٤، ١٠٥، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥.
مكة: ٢٦، ٥٨، ٥٩، ١١٤، ١٨٣، ١٨٦.

مكة الرقة: ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢.
المكلاة: ١٩٤، ٢٢٨، ٢٣٢.
مليحة: ٥٦، ٦٢، ٦٣ ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٥، ٧٨، ٨٩.
المنبجس: ١٩٦.
منازل بني كنده: ٣٦، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ١٦٠، ١٧٤.
المنخرة: ٨٥.
منعج: ١٠٤، ١٠٨، ١١٥.
موزار: ٢٥.
مويسل: ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١.

- ن -

النايع: ٢٠٠.
النائعان: ١٩٩، ٢٠٠.
النويع: ٢٠٠.
النباج: ٦٠.
نجفة مليحة: ٦٤.
النَّخش: ٤٠.
نخلة الشامية: ٤٦، ١٧٦، ١٨٧.
نساح: ٣٨.
نعام: ٣٧، ٣٨.
نعمان: ٣٢.
نعمان الأراك: ٢٣.
نفود الجرع: ١٦٢.
النِّير: ٢٨.

— و —

واقصة: ٨٦.

واهب: ٢١٢، ٢١٣.

الودكاء: ٢٦.

وسيط: ١٢٢، ١٣٦.

وسط: ١٨٠.

وشحى: ٢٦.

وضاخ: ٧٨.

الوقبي: ٥٧، ٥٨، ٥٩.

وادي الأجردي: ٦٩، ٧٠، ١١٠، ١١٨، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩.

وادي الباطن: ١٣٥، ١٤٢.

وادي التسرير: ٤٧.

وادي الجريب: ٤٧، ١٧٧، ١٩٤، ٢١٤.

وادي حُراض: ١٨٣.

وادي الدواسر: ٣١.

وادي ذي طلوح: ١١٠، ١١٢، ١١٨، ١٢٠، ١٣١، ١٣٥، ١٣٩، ١٤١، ١٥٠، ١٥١.

وادي ذي كريب: ١٣٩.

وادي الرشاء: ٤٧.

وادي الرُّمة: ١٣٦، ١٩٤.

وادي رنية: ٣١.

وادي الزرقاء: ١٨٧.

وادي السِّهل: ٦٧، ٧٢، ١١٠، ١١٨، ١٣٤.
وادي سمر: ١٧٤.
وادي الشبرم: ١٩٤.
وادي طيب اسم: ١٣٤.
وادي فلج: ١٣٤، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١.
وادي الفيضة: ١٨٤.
وادي قبة: ١٣٤.
وادي القبوري: ٣٩.
وادي قُلَيِّب الخيل: ١٣٤.
وادي كندة: ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠.
وادي اللوى: ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٤.
وادي المعدن: ٢٣١.
وادي المياه: ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٤، ٢١٧.
وادي الملحاء: ١٩٠.
وادي نجخ: ٢٠٥.
وادي نخلة الشامية: ١٨٢، ١٨٤، ١٩٠.
وادي الهَدَّار: ٣٨.
وادي هو يشلة: ٢١٨.

- هـ -

الهزمة: ٢٧، ٣٨.
الهضب: ٣١، ٩٤، ٩٦، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٠، ١٩٢.
هضب الدخول: ١٥، ١٦، ٢٨، ٨٤، ٩٥.

هضب الدواسر: ٣١، ٣٣، ١٧٤، ١٧٧.
هضب ذات رؤوس: ٨٧.
هضب ذي إقدام: ٨.
هضب القليب: ٢١٢، ٢١٣.
هويشلة: ٢١٨.

- ي -

يذبل: ٥، ١١.
اليمامة: ١٩، ٢٣، ٢٤، ٣٧، ٣٨، ٤٣، ٥٤، ٩٧، ١٠٤، ١٠٦، ١٥٩، ١٦١، ١٦٤.
الينسوعة: ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٩، ٧٠، ٧١، ١٠١، ١٠٢، ١١٤، ١١٥، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٧، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩.
الينسوعتان: ١٤٣.

فهرس الخرائط، وصور المعالم وأطلال المنازل

خريطة رقم (١) موضح عليها أماكن: الدخول، وحومل، واللوى، وتوضح والمقراة، ووادي ذي طلوح، وماء «طلح» وغيرها من الأماكن التاريخية والجغرافية. ٧٤

خريطة رقم (٢) موضح عليها موقع «دارة جلجل» وماء البردان»، ومعدن الشجرتين، ووادي المياه، وغيرها من المواضع. ٢٣٦

صورة رقم (١) منظر من هضب الدخول الواقع في «عالية نجد الجنوبية» ١٦

صورة رقم (٢) منظر جبل «سُحَام» المسمى حديثاً «حومل» الواقع في «عالية نجد الجنوبية». ١٧

صورة رقم (٣) منظر جبل «الصَّاقب» الواقع في «الجفرة» التي قيل عنها إنها «المقراة». في «عالية نجد الجنوبية». ١٧

صورة رقم (٤) منظر «الخبراء» التي حدثت فيها معركة «يوم طلحات حومل» وهي واقعة في وادي «الأجردي» شرق بلدة «قبة». ٧٢

صورة رقم (٥) منظر جانب من رمل «ضَفِرة حَوْمَل» المشرفة على الخبراء وعلى الطَّلَحات. ٧٣

صورة رقم (٦) منظر رمل «حَوْمَل» الذي يركب «القُفَّ» شرق «بريكة الأجردي». صورة رقم (٧) منظر إحدى آبار «طَلْحَة» – طَلَحَ قديماً – وبجوارها الأحواض ٧٣

الحجرية التي تشرب منها الإبل.
صورة رقم (٨) منظر بئر ثانية من آبار «طَلَح» وقد بدت آثار أرشية الدلاء في الحجارة. ١٢١
صورة رقم (٩) منظر «صَمْدُ طَلَح» وهو الذي أوقد عليه بنو يربوع ثلاثة أيام عندما بلغهم مجيء الغزو، ويسمى حالياً «شْعَفَة وْسَيْط». ١٢٣
صورة رقم (١٠) منظر جانب من جَوّ أمّ عْمَارة «أسفل أُوْد قديماً» ويرى بجانبة آثار الآرام التي ذكرها الفرزدق في شعره. ١٢٦
صورة رقم (١١) منظر جانب من آثار أسفل «أُوْدش وهي الآرام. ١٢٧
صورة رقم (١٢) منظر ثالث لآرام «أسفل أود». ١٢٧
صورة رقم (١٣) منظر آثار الرقمة الشمالية بجوار روضة الرقمة. من الجهة الشمالية الشرقية. ١٤٦
صورة رقم (١٤) منظر آثار قرية الرقمة الجنوبية، شرقي روضة الرقمة. ١٤٦
صورة رقم (١٥) منظر من آثار قرية الرقمة الجنوبية، ويرى جانب من روضة الرقمة. ١٤٧
صورة رقم (١٦) منظر: إحدى آبار «الينسوعة» المسماة الآن «الآبار السبع». ١٤٧
صورة رقم (١٧) منظر: بعض الآبار السبع المطمورة، ويرى شمالاً غربياً منها «بطن المذنب» الذي سلكه الغزاة. ١٤٨
صورة رقم (١٨) منظر: أساسات مبنى مربع الشكل يقع جنوب ١٤٨

الآبار السبع. آبار «الينسوعة قديماً».
صورة رقم (١٩) منظر: وسط وادي ذي طلوح، ويرى على ضفته بعض الآثار القديمة. ١٥٢
صورة رقم (٢٠) منظر: مجرى وادي ذي طلوح وهو متجه ليصب في رقمة فلج «أم عشر حالياً». ١٥٢
صورة رقم (٢١) منظر: أعالي وادي ذي طلوح وهو قادم من جهة «أود». ١٥٣
صورة رقم (٢٢) منظر: لرقمة فلج التي يدفع فيها وادي ذي طلوح المسماة حالياً «روضة أم عشر». ١٥٣
صورة رقم (٢٣) منظر: البئر الأولى الغربية من آبار «أُوْد» المسماة حالياً آبار «العَوْد». ١٥٦
صورة رقم (٢٤) منظر: البئر الثانية من آبار «أود» وهي منقورة بالصخر. ١٥٧
صورة رقم (٢٥) منظر: البئر الخامسة من آبار «أُود» الستِّ وهي عميقة جداً كبقية الآبار ومنقورة في الصخر. ١٦٦
صورة رقم (٢٦) منظر: بئر «المقراة» - سامودة حالياً - ويرى حوضها عند مقدمة السيارة. ١٦٦
صورة رقم (٢٧) منظر بئر المقراة من تحت الطي، وهي منقورة في الصخر وفوهتها ضيقة. ٢٠٨
صورة رقم (٢٨) منظر: من هضاب حَسَلات الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من جبال شُعَبى. ٢٠٨
صورة رقم (٢٩) منظر آخر من هضاب حسلات الجميلة. ٢٠٨
صورة رقم (٣٠) منظر هضبة حسلة الواقعة غرب مجرى وادي ٢١٦

«الجرير».
صورة رقم (٣١) منظر برقة حسلة وتقع جنوباً من الهضبة. ٢١٦
صورة رقم (٣٢) منظر آثار قصر القاضي المساحقي الذي بناه في «دارة الجفر» - دارة جلجل قديماً-. ٢٢٦
صورة رقم (٣٣) منظر جانب من «دارة جلجل» ويرى من وراء النفود جبل الذهلول. ٢٢٦
صورة رقم (٣٤) منظر: حفر منجم «معدن الشجرتين» الواقع غربي «المكلاة» حيث وجدنا الذهب وقد تحول إلى معزى!!. ٢٣٣

من محتوى هذا الكتاب

* **امرؤ القيس الكندي** من الشعراء المكثرين لذكر المنازل والديار، وقد ذكر في بداية معلقته أماكن هي:

الدخول، وحومل، وسقط اللوى، وتوضح، والمقراة، ودارة جلجل، ومأسل.

ورغم شهرة هذه الأماكن فقد لفَّهَا الغموض؛ بحيث خفي أمر تحديدها على بعض المتقدمين. منهم من قال: إنها في اليمامة، ومن قال: إنها في حمى ضرية، ومن قال: إنها في الشام. أما الباحثون في وقتنا الحاضر فلهم تحديد مغاير.

وهذا الاختلاف حَدَا بمؤلف هذا الكتاب إلى استعراض آراء المتقدمين والمتأخرين، وحصر النصوص الواردة من شعر ونثر؛ فاهتدى إلى أماكنها الصحيحة، فنقلها من الجنوب إلى الشمال؛ كما حَوَّل بعضها من جبال إلى رمال. إلى جانب تحقيق كثير من الأماكن التاريخية والجغرافية، وبالله التوفيق.

* **كتب صدرت للمؤلف:**

١- نظرات في معاجم البلدان «الكتاب الأول».

٢- نظرات في معاجم البلدان «الكتاب الثاني».

٣- نظرات في معاجم البلدان «الكتاب الثالث».

٤- عكاظ: الأثر المعروف سماعاً المجهول مكاناً.

٥- مع امرىء القيس بين الدخول وحومل. «وهو هذا الكتاب».

* طرق الحج والتجارة من اليمامة وحَجْرها. «طور الإعداد».

المؤلف

ص.ب ٣٩٢ الدوادمي ١١٩١١

AL-OBEIKAN
P08 000543
SR- 30,00

للطباعة الإلكترونية
هاتف 4783582 فاكس 4779883